فهرس العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت

مقدمة المؤلف

الفصل الاول

اصول النظرة الاسلامية الى الكون والانسان والحياة

طرق المعرفة وادواتها في الاسلام

الاصل الاول : طرق المعرفة

الاصل الثاني : دعوة الانبيا والرسل

الاصل الثالث : حجية العقل والوحى

الاصل الرابع : العقل والوحى لا يتعارضان

الاصل الخامس : حقيقة العالم مقولة غير خاضعة لتفكيرنا

الاصل السادس : الكون مخلوق لله

الاصل السابع : نظام الكون الحالى ليس ابديا

الاصل الثامن : العلة والمعلول

الاصل التاسع : الوجود ليس مساوقا للطبيعة المادية

الاصل العاشر: خضوع الكون لهداية خاصة

الاصل الحادي عشر: الكون نظام كامل

الاصل الثاني عشر: الحكمة في خلق الكون

الاصل الثالث عشر: الانسان

الاصل الرابع عشر: خلق الانسان بفطرة سليمة

الاصل الخامس عشر: الانسان كائن حر الارادة

الاصل السادس عشر: الانسان مخلوق قابل للتربية والتاديب

الاصل السابع عشر: الانسان كائن مسؤول

الاصل الثامن عشر: ملاك التفاضل بين الناس

الاصل التاسع عشر: ثبات الاسس الاخلاقية

الاصل العشرون : العلاقة بين عمل الانسان والظواهر الكونية

الاصل الواحد والعشرون : العلاقة بين تقدم الامم او تخلفها وبين عقائدها واخلاقها

الاصل الثاني والعشرون : وضوح المستقبل البشري

الاصل الثالث والعشرون : كرامة الانسان وحريته

الاصل الرابع والعشرون : رؤية الاسلام للعقل الانس اني

الاصل الخامس والعشرون : الانسجام بين الحرية الفردية ومبدا التكامل المعنوي

الاصل السادس والعشرون : لا اكراه في الدين

كليات في العقيدة

الفصل الثاني

التوحيد ومراتبه وابعاده

الاصل السابع والعشرون : وجود الله تعالى

التوحيد هو الاصل الموحد بين الشرائع

الاصل الثامن والعشرون : التوحيد الذاتي ومعانيه

الاصل التاسع والعشرون : التوحيد في الصفات

الاصل الثلاثون : التوحيد في الخالقية

الاصل الواحد والثلاثون : التوحيد في الربوبية

الاصل الثانى والثلاثون : التوحيد فى الحاكمية والتقنين

الاصل الثالث والثلاثون : التوحيد فى العبادة

كليات فى العقيدة

الفصل الثالث

فى صفات اللّه س بحانه

الاصل الرابع والثلاثون : الصفات الجمالية والجلالية لله سبحانه

الاصل الخامس والثلاثون : طرق معرفة صفاته سبحانه

الاصل السادس والثلاثون : صفات الذات وصفات الفعل

صفات اللّه الثبوتية

الاصل السابع والثلاثون : صفاته الذاتية

الف : العلم الازلى

ب : القدرة الواسعة

ج : الحياة

د : الارادة والاختيار

اللّه وصفات الفعل

الاصل الثامن والثلاثون : كون اللّه متكلما

الاصل التاسع والثلاثون : هل القرآن مخلوق ام قديم ؟

الاصل الاربعون : كون اللّه صادقا

الاصل الواحد والاربعون : كون اللّه حكيما

صفات اللّه السلبية

الاصل الثاني والاربعون : ان الله لا يرى بالعين مطلقا

الصفات الخبرية

الاصل الثالث والاربعون

كليات في العقيدة

الفصل الرابع

العدل الالهي

الاصل الرابع والاربعون : العدل من الصفات الجمالية

الاصل الخامس والاربعون : ادراك العقل للحسن والقبح

الاصل السادس والاربعون : تجليات العدل الالهي في مجالي التكوين والتقنين

الاصل السابع والاربعون : الهدفية في خلق الانسان

القضا والقدر

الاصل الثامن والاربعون : القضا والقدر في الكتاب والسنة

الاصل التاسع والاربعون : معنى القدر والقضا

الف : القدر

ب : تفسير القضا

الاصل الخمسون : لاتنافي بين القضا والقدر والاختيار

الاصل الواحد والخمسون : الاختيار حقيقة مسلمة

الاصل الثاني والخمسون : لاجبر ولاتفويض بل امر بين امرين

الاصل الثالث والخمسون : لاتنافي بين علم الله الازلي وحرية الانسان

كليات في العقيدة

الفصل الخامس

النبوة العامة

الادلة على ضرورة النبوة

الاصل الرابع والخمسون : بعث الرسل للهداية والارشاد

الاصل الخامس والخمسون : الهدف من بعثة الانبيا تقوية الاسس التوحيدية

طرق معرفة الانبيا

الاصل السادس والخمسون

الاصل السابع والخمسون : العلاقة المنطقية بين دعوى النبوة والمعجزة

الاصل الثامن والخمسون : الفرق بين المعجزة والكرامة

الاصل التاسع والخمسون : الفرق بين المعجزة والسحر

الف : عدم التعلم في المعجزة :

ب : عدم امكان معارضة المعجزة :

ج : التحدي :

د : عدم المحدودية :

الوحي والنبوة

الاصل الستون : صلة النبي بعالم الغيب

الاصل الواحد والستون : الوحي ليس وليد نبوغ الانبيا وتفكرهم الخاص

عصمة الانبيا

الاصل الثاني والستون : مراتب عصمة الانبيا

الاصل الثالث والستون : عصمة الانبيا من كل معصية وذنب

الاصل الرابع والستون : عصمة الانبيا عن الخطا والزلل

الاصل الخامس والستون : الانبيا مبراون عن الامراض المنفرة

الاصل السادس والستون : دراسة الايات الدالة على عدم العصمة

الاصل السابع والستون : منشا العصمة وسببها

الاصل الثامن والستون : لاتنافي بين العصمة والاختيار

الاصل التاسع والستون : العصمة لاتلازم النبوة

كليات في العقيدة

الفصل السادس

النبوة الخاصة

الاصل السبعون : طرق اثبات النبوة الخاصة

القرآن او المعجزة الخالدة

الاصل الواحد والسبعون : الاعجاز الادبي للقرآن

الاصل الثاني والسبعون : المجالات الاخرى للاعجاز القرآني

الاصل الثالث والسبعون : الاعجاز القرآني في مجال اسرار الكون واخبار المستقبل

الاصل الرابع والسبعون :القرائن والشواهد على نبوة النبي (ص)

الف : النبي الاكرم وسوابقه المشرقة :

ب : النقا من تلوث البيئة الاجتماعية :

ج : محتوى الدعوة الاسلامية :

د : ادوات الدعوة ووسائلها:

ه : شخصية المؤمنين به وخصالهم :

و : التاثير الايجابى فى البيئة الاجتماعية , وتاسيس حضارة عظيمة :

الاصل الخامس والسبعون : تصديق النبى السابق

الاصل السادس والسبعون : معاجز اخرى للرسول (ص) غير القرآن

الف : شق القمر:

ب : المعراج :

ج : مباهلته مع اهل الكتاب :

خصائص نبوة رسول الاسلام (ص)

الاصل السابع والسبعون : عالمية دعوة النبى الاكرم (ص) ورسالته

الاصل الثامن والسبعون : ان نبى الاسلام (ص) خاتم الانبيا

الاصل التاسع والسبعون : كمال الدين الاسلامى

1 حجية العقل :

2 رعاية الاهم عند مزاحمة المهم :

3 فتح باب الاجتهاد:

4 الاحكام الثانوية :

الاصل الثمانون : السهولة والاعتدال من خصائص الشريعة الاسلامية

الاصل الواحد والثمانون : صيانة القرآن من التحريف

الاصل الثانى والثمانون : مناقشة الروايات الدالة على تحريف القرآن وردها

كليات في العقيدة

الفصل السابع

الامامة والخلافة

الاصل الثالث والثمانون : الشيعة لغة واصطلاحا

الاصل الرابع والثمانون : الامامة مسالة الهية

الاصل الخامس والثمانون : الامامة والخطر الثلاثي المشؤوم : الروم والفرس والمنافقون

الاصل السادس والثمانون : تعيين الامام والخليفة في احاديث الرسول (ص)

1 حديث يوم الدار

2 حديث المنزلة

3 حديث السفينة

4 حديث ((امان الامة))

5 حديث الثقلين

الاصل السابع والثمانون : حديث الغدير

الاصل الثامن والثمانون : حديث الغدير من الاحاديث المتواترة

الاصل التاسع والثمانون : كفاة الخليفة المنتخب قطعت كيد الاعدا

الاصل التسعون : تعيين الخليفة اصل متفق عليه

الاصل الواحد والتسعون : ما هي وظائف الامام بعد وفاة الرسول (ص)؟

الاصل الثاني والتسعون : لزوم عصمة الامام

الاصل الثالث والتسعون : الائمة الاثنا عشر

الاصل الرابع والتسعون : مودة اهل البيت (ع)

الامام الثانى عشر

الغيبة والظهور

الاصل الخامس والتسعون : ظهور مصلح عالمى فى آخر الزمان

الاصل السادس والتسعون : المصلح العالمي هو الامام المهدي ـ عجل اللّه فرجه الشريف

الاصل السابع والتسعون : الامام المهدى ولي الهى غائب عن الانظار

الاصل الثامن والتسعون : وكلا الامام المهدي ـ عجل اللّه فرجه الشريف

الاصل التاسع والتسعون : غيبة بعض الانبيا والاوليا فى الامم السابقة

الاصل المائة : وجود الامام المعصوم لطف الهي في حضوره وغيابه

الاصل الواحد بعد المائة : الامام المهدي وطول العمر

الاصل الثاني بعد المائة : علائم ظهور الامام المهدي عجل اللّه فرجه الشريف

كليات في العقيدة

الفصل الثامن

عالم ما بعد الموت

الاصل الثالث بعد المائة : يوم القيامة

الاصل الرابع بعد المائة : ضرورة المعاد

الاصل الخامس بعد المائة : جواب الشبهات المثارة حول المعاد

الاصل السادس بعد المائة : معاد الانسان هو جسماني وروحاني

الاصل السابع بعد المائة : البرزخ

الاصل الثامن بعد المائة : السؤال في القبر

الاصل التاسع بعد المائة : تفسير المعاد بالتناسخ ورده

الاصل العاشر بعد المائة : الفرق بين التناسخ والمسخ

الاصل الحادي عشر بعد المائة : اشراط الساعة

الاصل الثاني عشر بعد المائة : النفخ في الصور

الاصل الثالث عشر بعد المائة : مراحل الحساب والقيامة

الاصل الرابع عشر بعد المائة : الشفاعة

الف : الشفاعة في القرآن

ب : الشفاعة في الروايات

الاصل الخامس عشر بعد المائة : طلب الشفاعة في الدنيا

الاصل السادس عشر بعد المائة : التوبة

الاصل السابع عشر بعد المائة : الانسان ينال جزا اعماله

الاصل الثامن عشر بعد المائة : الخلود في الجحيم خاص بالكفار

الاصل التاسع عشر بعد المائة : الجنة والنار مخلوقتان

كليات في العقيدة

الفصل التاسع

في معالم الايمان والكفر

الاصل العشرون بعد المائة : حد الايمان والكفر

الاصل الواحد والعشرون بعد المائة : الايمان مشروط بالالتزام بالعمل الصالح

الاصل الثاني والعشرون بعد المائة : لا يجوز تكفير المسلم المعتقد بالاصول الثلاثة

الاصل الثالث والعشرون بعد المائة : البدعة

الاصل الرابع والعشرون بعد المائة : التقية

الاصل الخامس والعشرون بعد المائة : التقية واجبة في بعض الحالات فقط

الاصل السادس والعشرون بعد المائة :التوسل

الاصل السابع والعشرون بعد المائة : التوسل باسما الله الحسنى ودعا الصالحين

الاصل الثامن والعشرون بعد المائة : البدا

الاصل التاسع والعشرون بعد المائة : الرجعة

الاصل الثلاثون بعد المائة : عدالة الصحابة

الاصل الواحد والثلاثون بعد المائة : محبة النبي وآله (ص)

الاصل الثاني والثلاثون بعد المائة : اقامة مجالس العزا

الاصل الثالث والثلاثون بعد المائة : صيانة الاثار الاسلامية

الاصل الرابع والثلاثون بعد المائة : زيارة قبور المؤمنين

الاصل الخامس والثلاثون بعد المائة : المنع عن الغلو

امور في الفروع

الفصل العاشر

الحديث والاجتهاد والفقه

الاصل السادس والثلاثون بعد المائة : مصادر التشريع والحديث

الاصل السابع والثلاثون بعد المائة : حجية الاحاديث المروية عن ائمة اهل البيت (ع)

الف ـ النقل عن رسول الله (ص)

ب : الرواية من كتاب على (ع)

ج : الالهامات الالهية

الاصل الثامن والثلاثون بعد المائة : تدوين الحديث

الاصل التاسع والثلاثون بعد المائة : الاجتهاد

بعض الاحكام الفقهية المختلف فيها

الاصل الاربعون بعد المائة : حجية قول الصحابي وروايته

الاصل الواحد والاربعون بعد المائة : التقليد

الاصل الثاني والاربعون بعد المائة : الوضوء

مسح الارجل مكان غسلها

الاصل الثالث والاربعون بعد المائة : ما يصح السجود عليه

الاصل الرابع والاربعون بعد المائة : الجمع بين الصلاتين

الاصل الخامس والاربعون بعد المائة : الزواج المؤقت (المتعة)

الاصل السادس والاربعون بعد المائة : وضع اليد اليمنى على اليسرى في القراة

الاصل السابع والاربعون بعد المائة : لاتجوز صلاة التطوع جماعة

الاصل الثامن والاربعون بعد المائة : الخمس

الاصل التاسع والاربعون بعد المائة : دور الشيعة في بنا الحضارة الاسلامية

الاصل الخمسون بعد المائة : الوحدة بين المسلمين

العقيدة الاسلامية على ضوء مدرسة اهل البيت

عن ابن عباس :سال رجل رسول الله (ص) وقال : ما راس العلم يارسول الله ؟ قال (ص): ((معرفة الله حق معرفته)).

التوحيد للصدوق : 285

قال الامام الصادق (ع):

((ان افضل الفرائض واوجبها على الانسان معرفة ربه والاقرار له بالعبودية)).

بحار الانوار: 55/4

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد رسول الله , الخاتم لما سبق , والفاتح لما انغلق , والمعلن الحق بالحق ,والدافع جيشات الاباطيل , والدامغ صولات الاضاليل , وعلى اهل بيته المطهرين , موضع سره , ولجا امره , وعيبة علمه ,وموئل حكمه , وكهوف كتبه , وجبال دينه , الذين بهم اقام انحنا ظهره , واذهب ارتعاد فرائصه , دعائم الاسلام وولائج الاعتصام .
ان التدين , والتوجه الى الدين لهو ـ بحق ـ من اقدم التوجهات البشرية التي سجلها التاريخ الانساني , واكثرهااصالة , وتجذرا في الحياة والتاريخ .
فالحياة البشرية ـ بشهادة الوثائق التاريخية القطعية ـ لم تخل قط في اي فترة من فتراتها, من التوجه الى الدين , ومن الاحساس الديني .
والعصر الحاضر (عصر التكنولوجيا والتقدم المادي) وبخاصة الانسان الغربي الذي كان مرتبطا اكثر من الاخرين بهذاالتقدم ومعطياته وان شهد نوعا من النكوص , والابتعاد عن الدين , وعن القضايا المعنوية ظنا بان المنهج المادي كفيل بحل جميع المشكلات البشرية , الا انه سرعان ما رجع عن ذلك التصور, وادرك ان العلم المادي الذي تصور انه قادر على تحقيق اماني البشرية في العدل والحرية والسلام , ليس بمفرده قادرا على منح السعادة للبشرية بل لابد ان يكون في جنبه الاحساس الديني والقضايا المعنوية , والا انهار تماسك المجتمع البشري , وتفتتت الروابط والعلاقات الاجتماعية وتفسخت العائلة .
وهكذا اصبحت البشرية تعود مرة اخرى الى فطرتها, وتقبل على الدين ومفاهيمه ومعارفه , وحلوله .
وفي الحقيقة فان النكسة المادية في مجال منح السعادة للبشرية , وتحقيق امانيها في الحرية والعدل والسلام صارت سببا للبحث مجددا عن معين الدين الصافي , ونبعه العذب بعدفترة من حرمان نفسها من مزايا الدين وفضائله , فاذا هي في عودتها القوية الى ضالتها هذه كالظمن الذي حرم من الماردحا طويلا من الزمن .
ان هذه الظاهرة الان من الوضوح والجلا بحيث لا يحتاج المر الى اقامة دليل او شاهد عليها.
فهي ظاهرة يعرفها جيدا كل من له اطلاع على مجريات الساحة العالمية في العصر الحاضر, والمام بوقائعها, وحوادثها.
ولقد بلغ التوجه الجديد الى الدين من القوة بمكان حتى اصبح محط اهتمام المراكز العلمية العليا في شتى نقاط العالم ,وراح المفكرون يتحدثون عنه , حتى انه لا يمر يوم او اسبوع اوشهر الا وتطلع علينا عشرات الدراسات والمقالات بل الابحاث المفصلة والمعمقة حول قضية الدين , وظاهرة التدين ,والقضايا الروحية والدينية .
وهذه الظاهرة وان كانت تخيف بعض الزعما الماديين ,حيث يتصورون ان عودة البشرية الى الدين والتدين , يعدتهديدا للكيان السياسي والمادي ولكننا نتفال بها, وبالتالي فنحن جد مسرورين بعودة البشرية الى احضان الدين الدافئة ,وشواطئه الامنة , غير اننا الى جانب ذلك التفاؤل والاستبشار,وهذا الابتهاج والسرور, لا يمكن ان نتجاهل نقطة مهمة تدعوللقلق وهي ان هذا التعطش المتزايد والمتصاعد, ان لم يروبصورة صحيحة وسليمة , وسمح للافكار غير الصحيحة بان تعرض تحت عنوان الدين , لم يجد الانسان المعاصر(والانسان الغربي منه بالذات) ضالته المنشودة بل يكون مثله مثل المستجير من الرمضا بالنار, وربما آل به الامر ـ لو حدث هذا ـ الى ان يعرض عن الدين , ويناى عن التدين .
ولهذا فان على الكتاب الملتزمين الواعين , وعلما الدين المخلصين الذين لمسوا الدا, وعرفوا الدوا, وادركوا الحاجة ,وعلموا بالعلاج , ان يبادروا الى تقديم الاجابة الصحيحة للجموع البشرية المقبلة على الدين , والعائدة الى فطرتها,ويقوموا بعرض المفاهيم والحلول الدينية بالشكل اللائق ,والصورة السليمة , ويسهلوا ـ بذلك ـ لطلا ب الحقيقة , وبغاة الحق طريق الوصول الى الفيض الالهي الجاري زلالا, نقيالاشوب فيه , صافيا لا غبش عليه , ساطعا لا يعلوه غبار.

ان علـى علما الامة الحريصين على الدين , والمهتمين بشؤون المسلمين ممن يحملون هم الامة , ويـشـعرون بـالمسؤولية , ويدركون اهميتها, وعبئها كوظيفة شرعية ,وواجب الهي , ان لا يسمحوا لاشـخـاص غـيـر صـالـحين , ولالاصحاب المطامع والاغراض المريضة , بعرض عقائدهم السقيمة , وآرائهم الباطلة على الناس باسم الدين وتحت يافطته .
نـحن اذ نعتبر ((الاسلام)) آخر واكمل الشرائع الالهية , ونعتقدبان هذا الدين يلبي كل الاحتياجات الـبـشـريـة الى يوم القيامة سوا منها الفردية او الاجتماعية , نرى ان من الواجب علينا في هذا العصر ((عـصـر الاتصالات)) ان نستفيد من جميع الوسائل والادوات المتقدمة , لعرض المفاهيم الدينية , ونشر العقائد,والتعاليم الاسلامية بشكلها الصحيح .
هـذا مـن جـانب , ومن جانب آخر نعتقد ان طريقة اهل البيت والعترة النبوية الطاهرة هي الحقيقة , وهي المعبر الامن الى معين ((الاسلام)) الصافي النقي , بعيدا عن تدخل الايدي الغريبة والمريبة .
فـقـد كـان لـلاسـس والـمـبـادئ المتينة التي انطوت عليها هذه الطريقة , وهذه المدرسة , وكذا لاسـتـنـادهـا الـى اهـل البيت النبوي , طيلة التاريخ الاسلامي , جاذبية كبرى دفعت بعشاق الحق , وبالباحثين عن الحقيقة الى اعتناقها, والدفاع عنها.
وهـنـا نـطـوي صفحة هذه المقدمة التوضيحية , ونبدا بعرض ,وبيان الاصول الاسلامية في مجال العقيدة والشريعة , مزيجة ومقرونة بالادلة القاطعة , والبراهين الساطعة .
ومـن البديهي ان اطروحة بيان العقائد الاسلامية الكاملة تتوقف على بيان كليات في مجال نظرية المعرفة ونظرة الاسلام الى الكون والحياة والانسان .
فان بيان هذا القسم في اية مدرسة عقائدية , كفيل بايقافناعلى رؤيتها, ونظرتها العامة , الى مجموعة النظام الكوني ,والعالم الامكاني .
ونـحـن هـنـا ـ تـجنبا من التطويل في الكلام ـ نعمد الى عرض اسس هذا القسم على نحو الايجاز, والاخـتـصار, ومن المعلوم ان المزيد من التفصيل في كل اصل من هذه الاصول موكول الى الكتب الكلامية المؤلفة بيد علما اهل البيت .
واللّه نـسـال ـ في الخاتمة ـ ان يجعل هذه الخطوة عملا من شانه توضيح صورة الاسلام الحنيف انه الموفق والمعين .
جعفر السبحاني .
قـم المشـرفة .

الفصل الاول

اصول النظرة الاسلامية الى الكون والانسان والحياة

طرق المعرفة وادواتها في الاسلام

الاصل الاول : طرق المعرفة

يستعين الاسلام لمعرفة الكون , وللوصول الى الحقائق الدينية بثلاثة انواع من الادوات مع انه يعتبر لكل واحد منها مجالا مختصا به .
وهذه الادوات هي :
1 الحس , واهم الحواس هما حاستا السمع والبصر.
2 الـعـقـل الـذي يـكتشف الحقيقة في مجال محدود وخاص , منطلقا في ذلك من اصول ومبادئ خاصة .
3 الوحي الذي هو وسيلة لارتباط ثلة ممتازة ومميزة من البشربعالم الغيب .
وفـي امكان البشرية جميعا ان يستفيدوا من الطريقين الاولين في معرفة الكون وفي فهم الشريعة كـذلك , بينما الطريق الثالث خاص بمن شملته العناية الالهية , وابرز نموذج لهذا النمط من الناس هم رسل اللّه وانبياؤه الكرام1 .
هذا مـضـافـا الـى ان ادوات الـحـس ومـا يـسمى بالحواس الخمس , لا يستفادمنها الا في مجال المحسوسات , كما لا يستفاد من اداة العقل الا في مجال محدود يملك العقل مبادئه .
عـلـى حين يكون مجال الوحي اوسع نطاقا واكثر شمولية , كما انه نافذ في جميع الاصعدة سوا في مجال العقيدة او في اطار الوظائف والتكاليف .
ولقد تحدث القرآن الكريم حول هذه الادوات الثلاث في آيات متعددة ناتي هنا بنموذجين منها:
فقد قال تعالى عن الحس والعقل :
(واللّه اخـرجـكـم مـن بـطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والا بصاروالا فئدة لعلكم تشكرون)2.
والـمـراد مـن الافئدة في الاية ـ وهي جمع فؤاد ـ بقرينة لفظتي :((السمع)) و((البصر)) هو العقل البشري .
عـلـى ان ذيـل الايـة المذكورة الذي يتضمن امرا بالشكر يفيد ان على الانسان ان يستفيد من هذه الادوات الثلاث لان الشكر يعني صرف كل نعمة في موضعها المناسب .

وحول ((الوحي)) قال سبحانه :
(وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)3.
ان الانسان المتدين يستفيد ـ في معرفة الكون والحياة , والعقيدة والدين ـ من الحس , ولكن غالبا ما تكون المدركات الحسية اساساومنطلقا لاحكام العقل اي ان تلك المدركات تصنع الارضية للفكروحكمه , كما انه قد يستفاد من العقل والفكر في معرفة الله وصفاته وافعاله وتكون حصيلة كل واحدة من هذه الطرق والادوات مقبولة ,ونافذة ومعتبرة في اكتشاف الحقيقة ومعرفتها.

الاصل الثاني : دعوة الانبيا والرسل

تتلخص دعوة الانبيا والرسل في امرين :
1 ـ العقيدة .
2 ـ العمل .
وتتمثل مهمتهم في مجال ((العقيدة)) في الدعوة الى الايمان بالله , وصفاته الجمالية والجلالية , وافعاله .
بينما المقصود من ((العمل)) هو التكاليف والاحكام التي يجب ان تقوم الحياة الفردية والاجتماعية على اساسها.
والمطلوب في مجال العقيدة انما هو العلم واليقين , ومن المسلم انه لا يكون شي ما حجة , (وبعبارة اخرى : لا يتسم بالحجية) الا ما يؤدي الى هذا الامر المطلوب .
ولهذا يجب على كل مسلم ان يصل في عقائده الى اليقين , فليس له ان يكتفي في هذا المجال بمجرد التقليد, فياخذ عقائده تقليدا, ويعتنقهامن غير تحقيق .
واما في مجال الوظائف والتكاليف (العمل) فان ما هو المطلوب فيها هو تطبيق الحياة على اساسها, والاخذ بموازينها في جميع المجالات الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .
وفي هذا الصعيد ثمت ـ بالاضافة الى اليقين ـ طرق اخرى ايضا قدايدتها الشريعة وفرض علينا الاعتماد عليها للوصول الى هذه التكاليف والوظائف , والرجوع الى المجتهد الجامع للشرائط هو احد الطرق التي ايدها واقرها صاحب الشريعة .

الاصل الثالث : حجية العقل والوحي

نحن نعتمد في اخذ العقائد والاحكام الدينية على حجتين الهيتين هما:العقل والوحي .
وعمدة الفرق بين هذين هو اننا نستفيد من ((الوحي)) في جميع المجالات , بينما نستفيد من ((العقل)) في مجالات خاصة .
والمقصود من ((الوحي)) هو كتابنا السماوي ((القرآن الكريم)) والاحاديث التي تنتهي اسنادها الى رسول الله (ص).
واما احاديث ائمة اهل البيت (ع) فبما انها تنتهي الى رسول الله (ص), وتنبع منه , تسمى جميعها بالاضافة الى احاديث النبي (ص) بالسنة ,وتعتبر من الحجج الالهية .
ان العقل والوحي يؤيد كل منهما حجية الاخر واذا اثبتنا بحكم العقل القطعي حجية الوحي فان الوحي بدوره يؤيد كذلك حجية العقل في مجاله الخاص به .
ان القرآن الكريم يقود ـ في كثير من المواضع ـ الى حكم العقل وقضائه , ويدعو الناس الى التفكر والتدبر العقلي في عجائب الخلق ,ويستعين هو كذلك بالعقل لاثبات مضامين دعوته , وليس ثمت كتاب سماوي كالقرآن الكريم يحترم المعرفة العقلية (والقضايا المدلل عليهابالعقل السليم) فالقرآن زاخر بالبراهين العقلية في صعيد العقائد, حتى انها تفوق الحصر.
ولقد اكد ائمة اهل البيت (ع) على حجية العقل واحكامه في المجالات التي يحق للعقل الحكم فيها, حتى ان الامام السابع موسى بن جعفر(ع) عده احدى الحجج اذ يقول : ((ان لله على الناس حجتين :
حجة ظاهرة وحجة باطنة , فاما الظاهرة فالرسل والانبيا والائمة , واما الباطنة فالعقول))4.

الاصل الرابع : العقل والوحي لا يتعارضان

لما كان الوحي دليلا قطعيا, وكان العقل مصباحا منيرا جعله الله في كيان كل فرد من افراد النوع الانساني , ـ لذلك ـ لزم ان لا يقع اي تعارض بين هاتين الحجتين الالهيتين .
ولو بدا تعارض بدائي احيانا بين هاتين الحجتين , فيجب ان يعلم بانه ناشئ من احد امرين : اما ان استنباطنا من الدين في ذلك المورد غيرصحيح , واما ان هناك خطا وقع في مقدمات البرهان العقلي , لان الله الحكيم تعالى لايدعو الناس الى طريقين متعارضين مطلقا.
وكما انه لا يتصور اي تعارض حقيقي بين العقل والوحي , كذلك لايحدث اي تعارض بين ((العلم)) و ((الوحي))

مطلقا, واذا لوحظ نوع من التعارض بين هذين في بعض الاحايين فانه ايضا ناشئ من احد امرين : اماان يكون استنباطنا من الدين في هذا الموضع استنباطا خاطئا, واما ان العلم لم يصل في هذا الموضوع الى المرحلة القطعية .
ان التعارض ينشا غالبا من الشق الثاني اي عندما تتلقى بعض الفرضيات العلمية على انها حقائق قطعية , وعند ذلك يحدث التصوربان هناك تعارضا بين العلم والدين .

الاصل الخامس : حقيقة العالم مقولة غير خاضعة لتفكيرنا

في مجال الامور التكوينية ذات الواقع المستقل عن الفكر والتصور, تكون الحقيقة مقولة ذات صفة ابدية وخالدة بمعنى ان الانسان لو توصل عن طريق احدى الادوات الحسية الى معرفة امر واقعي كحقيقة من الحقائق فان ما اكتشفه يكون حقا ثابتا, دائما وابدا.
واما اذا اكتشف امرا بعضه معلوم ومطابق للحقيقة , وبعضه الاخرخطا كان ذلك القسم الذي يتسم بسمة الحقيقة , حقيقة الى الابد, بمعنى انه لا ولن يتغير ابدا بتغير الظروف وانقلابها.
وبعبارة اخرى , ان النسبية في الحقائق , بمعنى كون حصيلة معرفة في زمان عين الحقيقة , وفي زمان آخر عين الخطا, لا تتصور في مجال المعرفة التي ترتبط بالتكوينيات .
فاذا كان حاصل ضرب 2 * 2 يساوي 4 مثلا امرا ثابتا, فان هذايكون ثابتا مطلقا, واذا لم يكن هكذا فهو ليس هكذا مطلقا.
فلا يمكن ان تكون حصيلة معرفة من المعارف في مرحلة خاصة عين الحقيقة وفي مرحلة اخرى ترتدي ردا الخطا.
ان النسبية في المعارف والمدركات انما تتصور في الامور التي ليس لها واقعية سوى فكر الانسان وتصديقه وتكون من مواضعاته فمثلا,المجتمع الغربي مختار وحر في انتخاب نظام حكومته فاذا اتفقوا ذات يوم على صيغة معينة للحكم اتسمت تلك الصيغة بسمة الحقيقة ما داموامتفقين عليها.
واما اذا اتفقوا ـ ذات يوم ـ على عكسها, كانت الصيغة الثانية هي الحقيقة , وفي نفس الوقت يكون كل من المعرفتين في ظرفها الخاص عين الحقيقة .
ولكن الامور التي لها بذاتها محل مشخص ومحدود خارج الذهن ,اذا وقعت في اطار الادراك بصورة صحيحة وثابتة تكون صحيحة للابد,وكان خلافها كذلك باطلا دائما وابدا.
وبتعبير آخر, ان كل شي له واقعية خارجية ورا ذهن الانسان فالمعرفة الواقعة عليه يدور امرها بين الصحة والخطا, واما الامورالاعتبارية التي يصنعها الذهن لاجل اغراض اجتماعية , كصيغة الحكومة , والرئاسة والملكية فهي تتسم بالنسبية وتوصف بها وتكون حقيقة في ظرف دون آخر.
الكون في نظر الاسلام .

الاصل السادس : الكون مخلوق للّه

الكون ـ اي كل ما سوى اللّه ـ مخلوق للّه تعالى , وليس واقع الكون هذاسوى التعلق , والربط باللّه تعالى , وليست الكائنات في غنى عن الحق تعالى ولا لحظة واحدة , ومعنى قولنا: ان الكون مخلوق للّه , هو ان الكون خلق بارادة اللّه ومشيئته , وان نسبته الى اللّه ليس من نمط نسبة الولد الى الوالد, فليست العلاقة بين الكون وبين اللّه علاقة توليد, وولادة , يقول سبحانه : (لم يلد ولم يولد)5.

الاصل السابع : نظام الكون الحالي ليس ابديا

النظام الحالي للكون ليس خالدا ولا ابديا, بل سينهدم ويندثر بعد زمان يعلمه اللّه وحده على وجه التحديد, ويقوم مكانه نظام آخر هو العالم الاخروي وما يسمى بالمعاد, كما يقول تعالى : (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا للّه الواحد القهار) 2.
وفي قوله سبحانه : (انا للّه وانا اليه راجعون)3 اشارة الى هذه الحقيقة .

الاصل الثامن : العلة والمعلول

النظام الكوني الراهن قائم على اساس العلة والمعلول , وتقوم بين ظواهره واجزائه رابطة العلية والمعلولية .
وتاثير كل ظاهرة في ظاهرة اخرى متوقف على الاذن الالهي والمشيئة الالهية , وقد تعلقت المشيئة الالهية الحكيمة بتحقيق فياضيته غالبا عن طريق النظام السببي , وعبر الاسباب والمسببات .
ومن الواضح ان الاعتقاد بتاثير الظواهر بعضها في بعض , لا يعني الاعتقاد بخالقيتها قط, بل المقصود هو ان تلك

الاسباب والعلل توفر باذن الله ومشيئته - ارضية تحقق ظواهر اخرى , وان اي نوع من انواع التاثير والتاثر مظهر من مشيئة الله وارادته الكلية .
وقد اشار القرآن الكريم الى كلا المطلبين المذكورين ونعني خضوع الظواهر الطبيعية لقانون العلية وكذا توقف تاثير كل علة وسبب في الكون على الاذن الالهي الكلي .
ففي المجال الاول نكتفي بذكر الاية التالية :
(وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم)6.
وفي المجال الثاني نكتفي بالاية التالية ايضا:
(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه)2 3.

الاصل التاسع : الوجود ليس مساوقا للطبيعة المادية

الوجود ليس مساوقا للطبيعة المادية , فهو لا ينحصر في المادة وحدهابل هو اوسع من المادة ومن ما وراها الذي اطلق عليه القرآن اسم عالم الغيب في مقابل عالم الشهادة .
وكما ان الظواهر المادية يؤثر بعضها في بعض باذن الله تعالى كذلك تؤثر الموجودات الغيبية في عالم الطبيعة بالاذن الالهي .
وبعبارة اخرى : هي وسائط للفيض الالهي .
ويتحدث القرآن الكريم عن تاثير ملائكة الله وتسببها لحوادث العالم الطبيعي اذ يقول :
(فالمدبرات امرا)7.
(وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة)8.
نستنتج من الايات الصريحة السابقة :
ان عالم الخلق بقسميه : الطبيعة وما ورا الطبيعة مع ما يسوده من النظام السببي قائم برمته بمشيئة الله سبحانه ومرتبط به ,بلا استثنا.

الاصل العاشر: خضوع الكون لهداية خاصة

ان الكون حقيقة تخضع لهداية خاصة , وان جميع ذرات العالم - كل في مرتبته - تتمتع بحسب ما هي عليها بنور الهداية .
كما وان مراتب هذه الهداية العامة والشاملة تتكون من الهداية الطبيعية , والغريزية والتكوينية .
ولقد ذكر القرآن الكريم في آيات عديدة بهذه الهداية التكوينية والعامة ناتي فيما يلي بواحدة منها:
(ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى)9.

الاصل الحادي عشر: الكون نظام كامل

ان نظام الخليقة الحاضر هو النظام الاكمل والاحسن , وان جهاز الوجودقد صور على افضل صورة , فلا يمكن تصور ما هو اكمل وافضل مماعليه الان .
يقول القرآن الكريم : (الذي احسن كل شي خلقه)10.
والدليل العقلي يدعمه , وذلك لان فعل اي فاعل يتناسب - من حيث الكمال والنقص - مع ما عليه الفاعل من حيث الصفات والكمالات ,فاذا كان الفاعل منزها عن اي نقص من حيث الصفات الوجودية , كان فعله كذلك عاريا عن اي نوع من انواع النقص والعيب .
وحيث ان الله تعالى يوصف بكل الكمالات الوجودية على وجههاالاتم الاكمل يكون فعله ايضا - وبطبيعة الحال - اكمل فعل وافضله .
هذا مضافا الى ان كون الله حكيما يقتضي ما دام خلق العالم الاحسن ممكنا, ان لا يوجد غيره .
والجدير بالذكر ان ما في العالم الطبيعي مما يسمى بالشرورلاينافي النظام الاحسن للوجود, وتوضيح هذه النقطة سياتي في ابحاث ((التوحيد في الخالقية)).

الاصل الثاني عشر: الحكمة في خلق الكون

حيث ان العالم مخلوق لله الذي هو الحق المطلق وفعله , فان مصنوعه كذلك حق ويتسم بالحكمة , فلا مجال للعبثية واللاهدفية فيه .

وقد اشار القرآن الكريم الى هذا الموضوع في آيات عديدة نذكرواحدة منها هنا:
(ماخلقنا السماوات والارض ومابينهما الا بالحق)11.
علـى ان غـايـة هذا العالم والانسان انما تتحقق عندما تقوم القيامة ,كما قال الامام امير المؤمنين علي (ع): ((فان الغاية القيامة)) 12.
الانسان في نظر الاسلام .

الاصل الثالث عشر: الانسان

الانـسـان كـائن مركب من الروح والجسد, وجسده يتلاشى بعد الموت وتتفرق اجزاؤه , الا ان روحه تواصل حياتها, وموت الانسان لا يعني فناه , ولهذا فانه سيمر بحياة برزخية حتى تقوم القيامة , ولقد اشـار الـقـرآن الكريم عند بيان مراتب خلق الانسان وتكونه , الى آخر مرحلة من تلك المراحل , وهي التي تتحقق بنفخ الروح في جثمانه اذ يقول :
(ثم انشاناه خلقا آخر)13.
كما ان القرآن اشار الى حياة الانسان البرزخية في عدة آيات ايضا,ومن تلك الايات قوله :
(ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)14.

الاصل الرابع عشر: خلق الانسان بفطرة سليمة

يـولـد كـل انـسـان بفطرة نقية توحيدية بحيث اذا بقي بعيدا عن تاثير العوامل الخارجية (كالتربية والصداقة والاعلام) التي تسبب انحراف عقيدته ,سلك طريق الحق .
فـلـيـس ثمة شرير بالولادة والخلقة بل الشرور والقبائح امور ذات صفة عارضة وطارئة تنشا بسبب العوامل الباطنية والاختيارية .
ولهذا فان فكرة المعصية الذاتية في بني آدم , المطروحة من قبل المسيحية المعاصرة , لا اساس لها من الصحة قط.
يـقـول القرآن الكريم في هذا الصدد: (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها) 15.
الاصل الخامس عشر: الانسان كائن حر الارادة . الانـسـان كـائن حـر الارادة , مـخـير, يعني انه بعد ان يدرس النواحي المختلفة لموضوع ما في ضوء العقل , يختار فعله او تركه , دون اجبار.
يقول القرآن الكريم : (انا هديناه السبيل اما شاكرا واماكفورا) 2.
ويقول ايضا: (وقل الحق من ربكم فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر)16.
الاصل السادس عشر: الانسان مخلوق قابل للتربية والتاديب . حـيث ان الانسان يتمتع بفطرة سليمة وقوة تمكنه من معرفة الخير والشر,كما انه كائن مخير غير مجبور, لذلك كله فهو موجود قابل للتربية والتاديب , قادر على سلوك طريق الرشد والتكامل , وباب العودة الى الله مفتوح عليه , اللهم الا ان يتوب الى الله لحظة المعاينة , ومشاهدة الموت التي لا تقبل فيها التوبة , ولا تنفع فيها العودة الى الله .
ومن اجل هذا تكون دعوة الانبيا موجهة الى جميع البشر حتى نظير فرعون كما يقول تعالى :
(فقل هل لك الى ان تزكى # واهديك الى ربك فتخشى)17.
وعلى هذا الاساس يجب ان لا ييأس الانسان من الرحمة والمغفرة الالهيتين كما يقول تعالى :
(لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا)18.
الاصل السابع عشر: الانسان كائن مسؤول . حـيث ان الانـسـان يتمتع بنور العقل وموهبة الاختيار لذلك فانه كائن مسؤول , مسؤول امام الله , وامام الانبيا, والقادة الالهيين , وامام غيره من ابنا البشر الاخرين , وامام العالم .
وقد صـرح الـقـرآن الـكريم بهذه المسؤولية التي تقع على الانسان في آيات عديدة يقول : (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا)19.
ويقول كذلك : (ايحسب الانسان ان يترك سدى)20.
ويقول الرسول الاكرم محمد (ص): ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))21.
الاصل الثامن عشر: ملاك التفاضل بين الناس . لا فـضـل لانـسـان على انسان آخر الا بما يكسبه , ويحصل عليه من الكمالات المعنوية , وافضل هذه الـكـمالات التي هي ملاك التفوق والافضلية هو التقوى كما يقول تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)22.
وعـلـى هـذا الاسـاس لا تـكـون الخصائص العرقية والجغرافية وغيرهامن وجهة نظر الاسلام سببا للتمييز, ومبررا للتفاخر والتكبر, والاستعلاعلى الاخرين .
الاصل التاسع عشر: ثبات الاسس الاخلاقية . الاسـس الاخلاقية التي تمثل ـ في الحقيقة ـ اسس الهوية الانسانية , ولهاجذور فطرية , اسس ثابتة وخالدة , وهي لا تتغير بسبب مضي الزمان وطرؤ التحولات والتطورات الاجتماعية .
فـمـثلا, حسن الوفا بالعهد والعقد, او حسن مقابلة الاحسان بالاحسان ,قضية خالدة , وحقيقة ثابتة مطلقا, وهذا القانون الاخلاقي لا يتغير ابدا.

وهكذا الحكم بقبح الخيانة وخلف الوعد.
وعلى هذا الاساس فان في الحياة البشرية الاجتماعية طائفة من الاصول والاسس التي امتزجت بالفطرة , والطبيعة البشرية وتكون ثابتة وخالدة .
وقد اشار القرآن الكريم الى بعض هذه الاصول والاسس العقلية الاخلاقية الثابتة اذ قال : (هل جزا الاحسان الا الاحسان)23.
(ما على المحسنين من سبيل)2.
(فان الله لايضيع اجر المحسنين)3.
(ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى وينهى عن الفحشا والمنكروالبغي)4.
الاصل العشرون : العلاقة بين عمل الانسان والظواهر الكونية . ان اعمال الانسان وتصرفاته مضافا الى انها تستتبع اجرا, او عقابا مناسبالها في اليوم الاخر (القيامة), لا تخلو من نتائج حسنة او سيئة في هذه الدنيا, لان ثمت قوى شاعرة ومدركة وصفت في القرآن الكريم بالمدبرات (فالمدبرات امرا) 24 تدبر امور الكون باذن الله , ولن تقف من اعمال الانسان حسنة كانت او سيئة موقف المتفرج , وفي الواقع ان عمل الانسان فعل , وبعض حوادث العالم المنتهية الى تلك المدبرات ردة فعل على عمله وهذه حقيقة كشف الوحي القناع عنها, وتوصل اليها الانسان بعلمه الى درجة ما ايضا.
وللقرآن الكريم في هذا المجال آيات عديدة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي : (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماوالارض)25.
الاصل الواحد والعشرون : العلاقة بين تقدم الامم او تخلفها وبين عقائدها واخلاقها. ان تقدم الامم او تخلفها نابع من علل وعوامل داخلية تعود في الاغلب الى عقائدها واخلاقها, وبالتالي الى سلوكها انفسها, مضافا الى بعض العوامل الخارجية .
على ان هذا الاصل لا يتنافى مع مبدا القضا والقدر الالهيين , لان هذاالاصل (اي تاثير سلوك الامم في مصيرها) هو نفسه من مظاهر التقديرالالهي الكلي .
يعني ان المشيئة الالهية الكلية تعلقت بان تصنع الامم هي مصائرهاكان يحظى المجتمع الذي يقيم علاقاته الاجتماعية على اساس العدالة ,بحياة طيبة , ومستقرة , ويكون وضع الامة التي تقيم علاقاتها الاجتماعية على خلاف ذلك سيئا, وحالتها متدهورة .
ان هذا الاصل هو ما يسمى حسب مصطلح القرآن الكريم بالسنن الالهية حيث قال : (فلما جاهم نذير ما زادهم الا نفورا # استكبارا في الارض ومكرالسيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا)26.
وقال : (وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين # وتلك الايام نداولها بين الناس)27.
الاصل الثاني والعشرون : وضوح المستقبل البشري . ان مستقبل البشرية واضح لا ابهام فيه , صحيح ان حياة البشرية اقترنت في الاغلب مع الوان مختلفة من التمييز, والفوضى , الا ان هذا الوضع لن يستمر الى الابد, بل يتحرك التاريخ البشري باتجاه مستقبل مشرق يسودفيه العدل , ويخيم عليه القسط الشامل , وتكون الحاكمية في الارض لمن اسماهم القرآن الكريم بالصالحين اذ قال تعالى :
(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون)28.
ويقول ايضا:
(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كمااستخلف الذين من قبلهم)2.
وعلى هذا الاساس فان النصر النهائي في مستقبل التاريخ , وفي خاتمة المطاف في حلبة الصراع المستمر بين الحق والباطل انما هوللحق دون سواه , وان تاخر ذلك بعض الشي وطال الامد, كما يقول القرآن الكريم :
(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)3.
الاصل الثالث والعشرون : كرامة الانسان وحريته . يحظى الانسان ـ حسب رؤية القرآن الكريم ـ بكرامة خاصة الى درجة انه اصبح مسجودا للملائكة كما قال تعالى :(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البروالبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)29.
وحيث ان جوهر الحياة الانسانية يكمن في حفظ الكرامة والعزة , لهذا منع الاسلام من اي عمل يضر بهذه الموهبة , وبعبارة اكثر وضوحا , ان اي نوع من التسلط على الاخرين وكذا قبول السلطة من الاخرين ممنوع من وجهة نظر الاسلام منعا باتا, فلابد ان يعيش المر حرا كريما بعيدا عن اي شكل من اشكال الصغار والذل .
قال الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع): ((ولا تكن عبدغيرك وقد جعلك الله حرا))30.
كما قال ايضا: ((ان الله تبارك وتعالى فوض الى المؤمن كل شي الا اذلال نفسه))31.
ومن الواضح جدا ان الحكومات الالهية المشروعة لاتنافي هذاالاصل كما سياتي توضيحه مستقبلا.
الاصل الرابع والعشرون : رؤية الاسلام للعقل الانس اني . ان للعقل الانساني مكانة خاصة في رؤية الاسلام ونظره , وذلك لان مايميز الانسان عن سائر الاحيا بل ويجعله مفضلا عليها هو عقله ومدى قوته التفكيرية .
من هنا دعي البشر ـ في آيات عديدة من القرآن الكريم ـ الى التفكروالتامل , والتدبر والتعقل , الى درجة , عدت تنمية

القوة العقلية , والتفكرفي مظاهر الخلق , من علائم العقلا وذوي الالباب قال تعالى في القرآن الكريم : (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا)32.
هذا وان الايات التي ترتبط بضرورة التفكر والتامل في مظاهر الخلقة اكثربكثير من ان يمكن سردها في هذا البيان المقتضب .
وعلى اساس هذه الرؤية نجد القرآن الكريم ينهى الناس عن التقليد الاعمى , وعن الاتباع غير المدروس للابا والاجداد.
الاصل الخامس والعشرون : الانسجام بين الحرية الفردية ومبدا التكامل المعنوي . ان الحريات الفردية (الشخصية) في المجالات الاقتصادية السياسية مقيدة في الاسلام بان لا تنافي مبدا التكامل المعنوي للانسان كما هي مقيدة بان لا تضر بالمصالح العامة .
وفي الحقيقة ان حكمة التكليف بالوظائف والواجبات الدينية في الاسلام تكمن في ان الاسلام يريد بهذه الوظائف التي يكلف بها الانسان ان يحافظ على كرامته الذاتية , وفي الوقت نفسه يضمن سلامة واستمرارالمصالح الاجتماعية .
ان منع الاسلام من الوثنية , ونهيه المؤكد عن تعاطي ومعاقرة الخمر وماشابه ذلك انما هو للحفاظ على الكرامة الانسانية (فردا وجماعة) وبهذاتتضح حكمة التشريعات الجزائية في الاسلام ايضا.
فالقرآن الكريم يعتبر القصاص ضمانا للحياة الانسانية اذ يقول :
(ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب)33.
يقول النبي الاكرم محمد (ص): ((ان المعصية اذا عمل بها العبد لم تضر الا عاملها, فاذا عمل بها علانية , ولم يغير اضرت بالعامة)).
ويضيف الامام جعفر الصادق بعد نقل هذا الحديث قائلا: ((ذلك انه يذل بعمله دين الله , ويقتدي به اهل عداوة الله))34.
الاصل السادس والعشرون : لا اكراه في الدين . ان من مظاهر الحرية الفردية في الاسلام هو ان لا يجبر الشخص على قبول الدين واعتناقه كما قال تعالى :
(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)35.
وذلك لان الدين المطلوب في الاسلام هو الاعتقاد والايمان القلبيان وهما لا يتحققان في قلب الانسان بالعنف والقهر, والقسروالاجبار, بل ينشئان بعد حصول مقدمات اهمها اتضاح الحق والباطل وتميز احدهما عن الاخر.
فاذا حصلت مثل هذه المعرفة اختار الانسان الحق في ظروف طبيعية قطعا.
صحيح ان ((الجهاد)) هو احد الفرائض والواجبات الاسلامية المهمة جدا, ولكن لا يعني الجهاد قط اجبار الاخرين على اعتناق الاسلام , بل المقصود منه ازالة الموانع والعراقيل عن طريق الدعوة الاسلامية وابلاغ الرسالة الالهية الى مسامع الناس في العالم كيما يتبين الرشد من الغي .
ومن الطبيعي اذا منع ارباب الثروة والسلطة انطلاقا من الدوافع المادية والشيطانية من ابلاغ الرسالة الالهية الهادية الى مسامع الناس وافئدتهم , اقتضت فلسفة النبوة (وهي هداية البشرية وارشادهم) ان يقوم المجاهدون بازالة هذه الموانع , والعراقيل , لتتوفر الشروطوالظروف اللازمة لابلاغ دعوة الحق الى ابنا البشرية .
اتضح مما سبق من الابحاث ـ رؤية الاسلام حول الكون والانسان والحياة ـ على ان هناك نقاطا واصولا اخرى ايضا سناتي بها في مكانهاالمناسب .
وها نحن نشرع في استعراض مواقف الاسلام ورؤاه في صعيدالمعتقدات والاحكام .
كليات في العقيدة . 1.
الفصل الثاني . التوحيد ومراتبه وابعاده . الاصل السابع والعشرون : وجود الله تعالى . ان الاعتقاد بوجود الله اصل مشترك بين جميع الشرائع السماوية , واساسايكمن الفارق الجوهري والاساسي بين الانسان الالهي المتدين (مهما كانت الشريعة التي ينهجها) والفرد المادي , في هذه المسالة .
ان القرآن الكريم يعتبر وجود الله امرا واضحا وغنيا عن البرهنة ,ويرى ان الشك والتردد في هذه الحقيقة امر غير مبرر, بل ومرفوضا كماقال : (افي الله شك فاطر السموات والارض)36.
الا انه رغم وضوح وجود الله وبداهته قد وضع القرآن الكريم امام من يريد معرفة الله عن طريق التفكر والبرهنة , وازالة جميع الشكوك والاحتمالات المضادة عن ذهنه , طرقا تؤدي هذه المهمة وابرزها هو:
1 ـ احساس الانسان بالحاجة الى كائن اعلى , هذا الاحساس الذي يتجلى في ظروف وحالات خاصة , وهذا هو ندا الفطرة الانسانية التي تدعوه الى مبدا الخلق يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله)37.
ويقول ايضا: (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون)38.
2 ـ الدعوة الى مطالعة العالم الطبيعي والتامل في عجائب المخلوقات التي هي آيات واضحة , ودلائل قوية على وجود الله انهاآيات تدل على تاثير ودور العلم والقدرة , والتدبير الحكيم في عالم الوجود: (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب)39.
ان الايات في هذا المجال كثيرة وما ذكرناه ليس سوى نماذج من ذلك .
ومن البديهي ان ما ذكرناه لا يعني بالمرة ان الطريق الى معرفة وجود الله واثباته يختص في هذين الطريقين , بل

هناك طرق عديدة اخرى لاثبات وجود الله اتى بها علما العقيدة , والمتكلمون المسلمون في مؤلفاتهم المختصة بهذه المواضيع .
التوحيد هو الاصل الموحد بين الشرائع . تقوم جميع الشرائع والمناهج السماوية على اساس التوحيد كماوان الاعتقاد بالتوحيد هو ابرز اصل مشترك بين تلك الشرائع , وان كان هناك شي من الانحراف لدى اتباع بعض تلك الشرائع في هذه العقيدة المشتركة وفيما ياتي مراتب التوحيد وابعاده في ضؤ القرآن الكريم والاحاديث الشريفة , والبراهين العقلية :
الاصل الثامن والعشرون : التوحيد الذاتي ومعانيه . ان اول مرتبة من مراتب التوحيد هو التوحيد الذاتي , وللتوحيد الذاتي معنيان :
الف : ان الله واحد, لا مثيل له ولا نظير ولا شبيه ولا عديل .
ب : ان الذات الالهية المقدسة ذات بسيطة لا كثرة فيها, ولا تركب .
يقول الامام علي بن ابي طالب (ع) حول كلا المعنيين :
1 - ((هو واحد ليس له في الاشيا شبه)).
2 - ((وانه عز وجل احدي المعنى لا ينقسم في وجود ولا وهم ولاعقل))40.
وسورة ((الاخلاص)) التي تعكس عقيدة المسلمين في مجال التوحيد تشيرالى كلا القسمين :

فقوله تعالى : (ولم يكن له كفوا احد) اشارة الى القسم الاول .
وقوله تعالى : (قل هو الله احد) اشارة الى القسم الثاني .
وعلى هذا الاساس يكون ((التثليث)) باطلا من وجهة نظر الاسلام ,وقد صرح القرآن الكريم في آيات عديدة بعدم صحة ذلك .
كما ان هذه المسالة تناولتها الكتب الكلامية (العقيدية) بالبحث المفصل وفندت التثليث بطرق مختلفة , ونحن نكتفي هنا بذكر طريق واحد:
ان التثليث بمعنى كون الاله ثلاثا لا يخلو عن احد حالين :
اما ان يكون لكل واحد من هذه الثلاثة وجود مستقل , وشخصية مستقلة , اي ان يكون كل واحد منها واجدا لكل حقيقة الالوهية , وفي هذه الصورة يتنافى هذا مع التوحيد الذاتي بمعناه الاول (اي كون الله لانظير له).
واما ان تكون هذه الالهة الثلاثة ذات شخصية واحدة , لا متعددة ويكون كل اله جزا من تلك الحقيقة الواحدة , وفي هذه الصورة يكون التثليث كذلك مستلزما للتركب , ويخالف المعنى الثاني للتوحيد الالهي (اي بساطة الذات الالهية).

الاصل التاسع والعشرون : التوحيد في الصفات

المرتبة الثانية من مراتب التوحيد هو: التوحيد في صفات الذات الالهية .
نحن نعتقد ان الله تعالى موصوف بكل الصفات الكمالية , وان العقل والوحي معا يدلا ن على وجود هذه الكمالات في الذات الالهية المقدسة .
وعلى هذا الاساس فان الله عالم , قادر, حي , سميع , بصير و و.
وهذه الصفات تتفاوت فيما بينها من حيث المفهوم , فما نفهمه من لفظة ((عالم)) غير ما نفهمه من لفظة : ((قادر)).
ولكن النقطة الجديرة بالبحث هو ان هذه الصفات كما هي متغايرة من حيث المفهوم هل هي في الواقع الخارجي متغايرة ام متحدة ؟.
يجب القول في معرض الاجابة على هذا السؤال : حيث ان تغايرهافي الوجود, والواقع الخارجي , يستلزم الكثرة والتركب في الذات الالهية المقدسة , لذلك يجب القول حتما بان هذه الصفات مع كونها مختلفة ومتغايرة من حيث المعنى والمفهوم الا انها في مرحلة العينية الخارجية ,والواقع الخارجي متحدة .
وبتعبير آخر: ان الذات الالهية في عين بساطتها, واجدة لجميع هذه الكمالات , لا ان بعض الذات الالهية ((علم)) وبعضها الاخر ((قدرة))والقسم الثالث هو ((الحياة)) بل هو سبحانه ـ كما يقول المحققون : ـ علم كله وقدرة كله وحياة كله .
وعلى هذا الاساس فان الصفات الذاتية لله تعالى , مع كونها قديمة وازلية فهي في نفس الوقت عين ذاته سبحانه لا غيرها.
واما ما يقوله فريق من ان الصفات الالهية قديمة وازلية ولكنهازائدة على الذات غير صحيح , لان هذه النظرة تنبع ـ في الحقيقة ـ من تشبيه صفات الله بصفات الانسان وحيث ان صفات الانسان زائدة على ذاته فقد تصوروا انها بالنسبة الى الله كذلك .
يقول الامام جعفر الصادق (ع): ((لم يزل الله ـ جل وعز ـ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم , والسمع ذاته ولا مسموع , والبصر ذاته ولا مبصر,والقدرة ذاته ولا مقدور))41.
ويقول الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع): ((وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه , لشهادة كل صفة انها غير الموصوف ,وشهادة كل موصوف انه غير الصفة))42 43.

الاصل الثلاثون : التوحيد في الخالقية

المرتبة الثالثة من مراتب التوحيد هي التوحيد في الخالقية , بمعنى انه لاخالق الا الله , وان الوجود برمته مخلوقه , وقد اكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة اذ قال :
(قل الله خالق كل شي وهو الواحد القهار)44.
(ذلكم الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو)45.
وليس الوحي وحده يثبت ذلك بل يقول به العقل ويؤكده , لان كل ما سوى الله ممكن محتاج , وترتفع حاجته ويتحقق وجوده من جانب الله .
ان التوحيد في الخالقية لا يعني نفي اصل السببية والعلية في عالم الوجود, لان تاثير كل ظاهرة مادية في مثلها منوط باذ نالله , ووجودالسبب وسببيته كلاهما من مظاهر المشيئة الالهية , فالله سبحانه هو الذي اعطى النور, والضوء للشمس والقمر, واذا اراد سلبه عنهما فعل ذلك دون مانع ومنازع , ولهذا كان الخالق الوحيد بلا ثان .
وقد ايد القرآن الكريم ـ كما اسلفنا في الاصل الثامن ـ قانون العلية ونظام السببية في الكون كما قال الله : (يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماكيف يشا)46.

فقد صرحت الاية المذكورة بتاثير الرياح في تحريك السحاب وسوقها.
ان تعميم خالقية الله على جميع الظواهر الطبيعية لايستلزم ابدا ان ننسب افعال البشر القبيحة الى الله تعالى , لان كل ظاهرة من الظواهرالكونية لكونها كائنا امكانيا وان كان مستحيلا ان ترتدي ثوب الوجود من دون الاستناد الى القدرة , والارادة الالهية الكلية .
ولكن في مجال الانسان يجب ان نضيف الى ذلك , ان الانسان لكونه كائنا مختارا, وموجودا ذا ارادة , فهو يفعل او يترك بارادته واختياره بحكم التقدير الالهي اي ان الله قدر وشا ان يفعل الانسان ما يريد فعله بارادته , ويترك ما يريد تركه بارادته , لهذا فان اصطباغ الفعل البشري من حيث كونه طاعة او معصية لله تعالى ناشئ من نوعية ارادته واختيارالانسان نفسه .
وبعبارة اخرى : ان الله واهب الوجود, والوجود مطلقا مستند اليه ,ولا قبح في الامر من هذه الناحية كما قال : (الذي احسن كل شي خلقه)47.
ولكن جعل وجود هذا الفعل مطابقا او غير مطابق لمعايير العقل والشرع , نابع في الحقيقة من كيفية اختيار الانسان وارادته , وعزمه .
ولايضاح المقصود ناتي بمثال :
ان الاكل والشرب من افعال الانسان بلا ريب فيقال اكل فلان وشرب , ولكن كلا من الفعلين يشتملان على جهتين :
الاولى : الوجود, وهو الاصل المشترك بينه وبين سائر الموجودات .
الثانية : تحديد الوجود وصبه في قالب خاص وانصباغه بعنواني الاكل والشرب , فالفعل من الجهة الاولى منسوب الى الله سبحانه , فلاوجود في الكون الا وهو مفاض منه تعالى , ولكنه من الجهة الثانية منسوب الى العبد اذ هو الذي باختياره وقدرته صبغ الوجود بصبغة خاصة واضفى عليه عنواني الاكل والشرب , فهو بفمه يمضغ الغذاوييلع الما.
وبعبارة اخرى : ان الله سبحانه هو الذي اقدر العبد على ايجادالفعل , وفي الوقت نفسه اعطى له الحرية لصرف القدرة في اي نحو شا,وهو صرفها في مورد الاكل والشرب .

الاصل الواحد والثلاثون : التوحيد في الربوبية

المرتبة الرابعة من مراتب التوحيد هو: التوحيد في الربوبية وتدبير الكون والانسان .
والتوحيد الربوبي يكون في مجالين :
1 ـ التدبير التكويني .
2 ـ التدبير التشريعي .
وسنتحدث عن التدبير التشريعي في اصل مستقل , فيما بعد,ونركز في هذا الاصل على التدبير في المجال التكويني .
ان تاريخ الانبيا يشهد بان مسالة التوحيد في الخالقية لم تكن قطموضع نقاش في اممهم واقوامهم , وانما كان الشرك ـ لو كان ـ في تدبيرالكون وادارة العالم الطبيعي الذي كان يتبعه الشرك في العبادة .
فمشركو عصر النبي ابراهيم الخليل (ع) كانوا يعتقدون بوحدة خالق الكون , الا انهم كانوا يعتقدون خطا بان النجوم والكواكب هي الارباب والمدبرات لهذا الكون , وقد تركزت مناظرة ابراهيم لهم على هذه المسالة كما يتضح ذلك من بيان القرآن الكريم48 .
وكذا في عهد النبي يوسف (ع) الذي كان يعيش بعد النبي ابراهيم الخليل (ع) فان الشرك كان في مسالة الربوبية , وكان الله بعد ان خلق الكون , فوض امر تدبيره وادارته الى الاخرين .
ويتضح هذا جليا من الحوار الذي دار بين يوسف الصديق (ع)واصحابه في السجن اذ يقول :(ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار)49.
كما ويستفاد من آيات القرآن الكريم ان مشركي عصر الرسالة كانوايعتقدون بان بعض مصيرهم انما هو بايدي معبوداتهم اذ يقول : (واتخذوامن دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا)50.
ويقول ايضا: (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون # لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون)51.
ان القرآن الكريم يحذر المشركين في آيات عديدة بان ما يعبدونه من الارباب المختلفة غير قادرة على جلب نفع الى عابديها ولا دفع ضررعنهم ابدا.
ان هذه الايات تكشف عن ان مشركي عصر الرسالة المحمدية كانوايعتقدون بان تلك المعبودات تضر او تنفع عبادها 52 وهذا هو كان الدافع لهم الى عبادتها.
ان هذه الايات ونظائرها مما يعكس ويصور عقائد المشركين في عصر الرسالة , تحكي عن انه رغم انهم كانوا يعتقدون بالتوحيد في الخالقية , الا انهم كانوا مشركين في بعض الامور المتعلقة بربوبية الحق تعالى , اذ كانوا يعتقدون بان معبوداتهم مؤثرة ـ على نحو الاستقلال ـ في الامور والاشيا, اي انها فاعلة في صفحة الكون من دون اذن الله ومشيئته بل بصورة مستقلة وحسب مشيئتها وارادتها لا غير, وهي من صفات الرب الحقيقي .
ولقد عمد القرآن الكريم ـ بهدف منع اولئك المشركين عن عبادة الاصنام بصورة جذرية ـ الى ابطال هذا الاعتقاد الفاسد وهذا التصورالخاطئ , وقال بان هذه الاصنام لاتضر ولاتنفع ولامثقال ذرة , فليس لهم اي تدبير وربوبية .

ففي بعض الايات يندد القرآن بالمشركين لكونهم يتخذون لله تعالى نظيراوندا, وشبيها ومثيلا, اذ يقول : (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله)53.
وقد ورد تقبيح اتخاذ الند لله في آيات قرآنية اخرى ايضا54ويتضح من الايات المذكورة ان المشركين كانوا يعتقدون بان لتلك الاصنام شؤونا مثل شؤون الله سبحانه , ثم انطلاقا من هذا التصور كانوايحبون تلك الاصنام ويودونها بل ويعبدونها وبعبارة اخرى : لقد كان المشركون يعبدون تلك الاوثان والاصنام لكونها ـ حسب تصورهم وزعمهم ـ ((اندادا)) و ((نظرا)) لله سبحانه في التدبير.
ان القرآن الكريم ينقل عن المشركين يوم القيامة بانهم يقولون تنديدا بانفسهم وباصنامهم : (تالله ان كنا لفي ضلال مبين # اذ نسويكم برب العالمين)55.
اجل ان دائرة ربوبية الله واسعة , ومن اجل هذا كان مشركو عصرالرسالة موحدين في امور هامة كالرزق والاحيا والاماتة والتدبير الكلي للكون كما يقول القرآن الكريم : (قل من يرزقكم من السما والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامرفسيقولون الله فقل افلا تتقون)4.
(قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون # سيقولون لله قل افلا تذكرون # قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم # سيقولون لله قل افلا تتقون)56.
ولكن هؤلا الافراد انفسهم ـ كما مر في آيات سورة مريم وسورة يس ـ ينسبون بعض الامور والشؤون مثل النصر في القتال والحفظ في السفر, وما شابه ذلك , الى معبوداتهم واصنامهم ويعتقدون بتاثيرهاالذاتي والمستقل في مصائرهم .
وابرز من كل ذلك , الشفاعة التي كانوا يرون انها حق طلق لتلك الاصنام وكانوا يعتقدون بانها تشفع من غير اذن الله , وان شفاعتها مفيدة لامحالة ومؤثرة قطعا وجزما.
وعلى هذا فلا منافاة بين ان يكون بعض الافراد يعتقدون بتدبير الله لبعض الامور دون سواه فيكونون موحدين في هذا المجال , بينمايعتقدون بتدبير الاصنام والاوثان لامور وجوانب اخرى من مصائرهم وشؤونهم كالشفاعة والاضرار والانفاع والاعزاز والمغفرة , فيكونون مشركين في هذه المجالات .
ولكن ((التوحيد في الربوبية)) يفند كل لون من الوان تصورالاستقلال , والتاثير المستقل عن الاذن الالهي كليا كان , او جزئيا.
فهو يبطل اي اسناد, لتاثير غير الله في مصير الانسان والكون ,وتدبير شؤونها بمعزل عن الاذن الالهي وبهذا يبطل ويرفض عبادة غير الله تعالى .
ان الدليل على التوحيد الربوبي واضح تمام الوضوح , لان تدبير عالم الخلق , في مجال الانسان والكون , لا ينفصل عن مسالة الخلق , وليس شيئا غير عملية الخلق .
فاذا كان خالق الكون والانسان واحدا, كان مدبرهما بالطبع والبداهة واحدا كذلك , لوضوح العلاقة الكاملة بين عملية التدبير وعملية الخلق للعالم .
ولهذا فان الله تعالى عندما يصف نفسه بكونه خالق الاشيا يصف نفسه في ذات الوقت بانه مدبرها (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى يدبر الامر)57.
وفي آية اخرى يعتبر التناسق والانسجام السائد والحاكم على الكون دليلا على وحدة مدبر العالم اذ يقول : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا)2.
ان التوحيد في التدبير لاينافي وجود مدبرات اخرى تقوم بوظائفهاباذن الله في صفحة الكون , فهي بالحقيقة مظاهر لربوبية الحق تعالى .
ولهذا فان القرآن الكريم مع تاكيده الشديد على التوحيد في الربوبية والتدبير يصرح بوجود مدبرات اخرى في صفحة الكون اذ يقول :(فالمدبرات امرا)58.

الاصل الثاني والثلاثون : التوحيد في الحاكمية والتقنين

بعد ان ثبت ـ في الاصل السابق ـ ان للكون مدبرا حقيقيا واحدا هو الله تعالى وان تدبير العالم وحياة الانسان بيده دون سواه , كان تدبير امرالانسان في صعيد الشريعة ـ سوا في مجال الحكومة او التقنين او الطاعة او الشفاعة او المغفرة ـ برمته بيده تعالى , ومن شؤونه الخاصة به , فلايحق لاحد ان يتصرف في هذه المجالات والاصعدة من دون اذن الله تعالى , ولهذا يعتبر التوحيد في الحاكمية , والتوحيد في التشريع ,والتوحيد في الطاعة , والتوحيد في الشفاعة والمغفرة من فروع التوحيدفي التدبير وشقوقه ولوازمه .
فاذا كان النبي (ص) حاكما على المسلمين فان هذا نابع من اختيار الله تعالى اياه لهذا المنصب .
وانطلاقا من هذه العلة ذاتها تجب اطاعته (ص) بل ان اطاعته نفس اطاعة الله , قال تعالى :
(من يطع الرسول فقد اطاع الله)59.
وقال ايضا: (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)60.
فلو لم يكن الاذن الالهي ما كان النبي (ص) حاكما ولا مطاعا.
فحكومته وطاعته مظهر لحاكمية الله وطاعته .

كما ان تحديد الوظيفة وتشخيص التكليف بما انه من شؤون الربوبية , لم يحق ولا يحق لاحد ان يحكم بغير ما امر الله بـ ه, وان يقضي بغير ما انزل : (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون)61.
وهكذا تكون الشفاعة ومغفرة الذنوب من حقوق الله الخاصة به فلايقدر احد ان يشفع لاحد من دون اذنه تعالى :(من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه)62.
وعلى هذا الاساس يكون شرا صكوك الغفران وبيعها, تصورا بان لاحد غير المقام الربوبي ان يهب الجنة لاحد, او يخلص احدا من العذاب الاخروي كما هو رائج في المسيحية , امرا باطلا لا اساس له من الصحة في نظر الاسلام كما جا في القرآن الكريم :
(فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله)63.
فالموحد - في ضوء ما قلناه - يجب ان يعتقد - في مجال الشريعة -بان الله وحده لا سواه هو الحاكم والمرجع , الا ان يعين الله شخصا للقيادة ,وبيان الوظائف الدينية .

الاصل الثالث والثلاثون : التوحيد في العبادة

ان التوحيد في العبادة هو الاصل المشترك والقاعدة المتفق عليها بين جميع الشرائع السماوية .
وبكلمة واحدة : ان الهدف الاسمى من بعث الانبيا والرسل الالهيين هو التذكير بهذا الاصل كما يقول : (ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)64.
ان جميع المسلمين يعترفون في صلواتهم اليومية بهذا الاصل ويقولون : (اياك نعبد)65.
وعلى هذا الاساس فان وجوب عبادة الله وحده , والاجتناب عن عبادة غيره امر مسلم لا كلام فيه , ولا يخالف احد في هذه القاعدة الكلية ابدا, وانما الكلام هو في ان بعض الاعمال والممارسات هل هي مصداق لعبادة غير الله ام لا؟
وللوصول الى القول الفصل في هذا المجال يجب تحديد مفهوم العبادة تحديدا دقيقا, وتعريفها تعريفا منطقيا, بغية تمييزما يدخل تحت هذا العنوان ويكون عبادة , مما لا يكون كذلك , بل يؤتى به من باب التعظيم والتكريم .
لاشك ولا ريب في ان عبادة الوالدين والانبيا والاوليا حرام وشرك , ولكن مع ذلك يكون احترامهم واجبا وعين التوحيد: (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا)66.
والان يجب ان نرى ما هو العنصر الذي يميز ((العبادة)) عن ((التكريم))؟ وكيف يكون العمل الواحد في بعض الموارد (مثل سجودالملائكة لادم , وسجود يعقوب واولاده ليوسف) عين التوحيد, ولكن نفس العمل يكون في موارد اخرى عين الشرك والوثنية .
ان الجواب على هذا السؤال يتضح من البحث السابق الذي كان حول التوحيد في التدبير.
ان العبادة (التي نفيت عن غير الله ونهي عنها) عبارة عن خضوع انسان امام شي او شخص باعتقاد ان بيده مصير العالم كله او بعضه , اوبيده اختيار الانسان ومصيره , وانه مالك امره , وبتعبير آخر: ربه .
اما اذا كان الخضوع امام كائن ما لا بهذا الاعتقاد, انما من جهة كونه عبدا صالحا لله , وصاحب فضيلة وكرامة , او لكونه منشا احسان ,وصاحب يد على الانسان , فان مثل هذا العمل يكون مجرد تكريم وتعظيم لا عبادة له .
ولهذا السبب بالذات لا يوصف سجود الملائكة لادم , او سجوديعقوب وابنائه ليوسف بصفة الشرك والعبادة فهذا السجود كان ينبع من الاعتقاد بعبودية آدم ويوسف الى جانب كرامتهما ومنزلتهما عند الله ,وليس نابعا من الاعتقاد بربوبيتهما او الوهيتهما.
بالنظر الى هذه الضابطة يمكن الحكم في ما يقوم به المسلمون في المشاهد المشرفة من احترام وتكريم لاوليا الله المقربين , فان من الواضح ان تقبيل الضرائح المقدسة , او اظهار الفرح والسرور يوم ميلاد النبي وبعثته (ص) لا ينطوي الا على تكريم النبي الكريم ولا يقصد منه الا اظهارمودته ومحبته ولا تكون ناشئة من امور مثل الاعتقاد بربوبيته قط.
وهكذا الحال في الممارسات الاخرى مثل انشا القصائد والاشعارفي مدح اوليا الله او مراثيهم , وكذا حفظ آثار الرسالة , واقامة البنا على قبور عظما الدين , فانها ليست بشرك ولا بدعة .
واما كونها ليست بشرك فلانها تنبع من مودة اوليا الله (لا الاعتقادبربوبيتهم).
واما كونها ليست ببدعة ايضا فلان جميع هذه الاعمال تقوم على اساس قرآني وروائي , وينطلق من اصل وجوب محبة النبي وآله .
فاعمال التكريم هذه مظهر من مظاهر ابراز هذه المودة والمحبة التي حث عليها الكتاب والسنة (وسياتي توضيح هذا الموضوع في الفصل المتعلق بالبدعة مستقبلا).
وفي المقابل يكون سجود المشركين لاصنامهم مرفوضا ومردودالكونه نابعا من الاعتقاد بربوبيتها ومدبريتها وان بيدها قسما من شؤون الناس او على الاقل لان المشركين كانوا يعتقدون بان العزة والذلة ,والمغفرة والشفاعة بايدي تلك الاصنام

كليات في العقيدة

الفصل الثالث

في صفات اللّه س بحانه

الاصل الرابع والثلاثون : الصفات الجمالية والجلالية للّه سبحانه

حيث ان الذات الالهية لا مثيل لها ولا نظير, ولا يتصور للّه عديل ولا شبيه ,فهو سبحانه اعلى من ان يعرفه الانسان بالكنه , اي ليس للانسان سبيل الى معرفة حقيقة الذات الالهية , على حين يمكن معرفته تعالى عن طريق صفاته الجمالية والجلالية .
والمقصود من الصفات الجمالية هي الصفات التي تدل على كمال اللّه في وجوده وذلك كالعلم والقدرة , والحياة , والارادة والاختيار وماشابه ذلك وتسمى بالصفات الثبوتية ايضا.
والمقصود من الصفات الجلالية هي الصفات التي يجل اللّه تعالى عن وصفه بها, لان هذه الصفات تدل على نقص الموصوف بها وعجزه ,واللّه تعالى غني غنى مطلقا, ومنزه عن كل نقص وعيب .
والجسمانية , والاحتياج الى المكان والزمان , والتركيب وامثاله من جملة هذه الصفات , وتسمى هذه الصفات ايضا بالصفات السلبية في مقابل الصفات الثبوتية (التي مر ذكرها اولا) والمقصود في كلتاالتسميتين واحد.

الاصل الخامس والثلاثون : طرق معرفة صفاته سبحانه

لقد اسلفنا في بحث المعرفة ان ابرز طرق المعرفة بالحقائق تتمثل في :الحس , والعقل , والوحي .
ويمكن لمعرفة الصفات الالهية الجمالية والجلالية الاستفادة من الطريقين التاليين :
1 ـ طريق العقل : فان التامل في عالم الخلق , ودراسة الاسرار الكامنة فيه والتي تدل برمتها على انها مخلوقة للّه , تقودنا الى كمالات اللّه الوجودية , فهل يمكن ان يتصور احد ان بنا الكون الشاهق قد تم من دون علم وقدرة واختيار.
ان القرآن الكريم يدعو ـ تاييدا لحكم العقل في هذا المجال بالتدبر في الايات التكوينية في صعيد الافاق والانفس اذ يقول : (قل انظروا ماذا في السماوات والارض)67.
اي انظروا نظرة تدبر وتامل لتكتشفوا الحقائق العظيمة .
على ان من البديهي ان العقل يسلك هذا الطريق بمعونة الحس ,اي ان الحس يبدا اولا باكتشاف وادراك الموضوع بصورة عجيبة , ثم يعتبر العقل عظمة الموضوع , وتكوينه العجيب , دليلا على عظمة الخالق وجماله .
2 ـ طريق الوحي : فبعد ان اثبتت الادلة القاطعة النبوة والوحي ,واتضح ان الكتاب الذي اتى به النبي (ص) وكذا قوله كان برمته من جانب اللّه , كان من الطبيعي ان يكون في مقدور الكتاب والسنة ان يساعداالبشرية في معرفة صفات اللّه , فقد ذكرت صفات اللّه الجمالية والجلالية في هذين المصدرين بافضل نحو.
ويكفي ان نعرف انه جا بيان قرابة 140 صفة للّه تعالى في القرآن الكريم , ونكتفي هنا بذكر آية واحدة تذكر بعض تلك الصفات : (هو اللّه الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان اللّه عما يشركون # هو اللّه الخالق البارئ المصور له الاسما الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم)68.
هذا والجدير بالذكر ان هناك من احتج بعجز البشر عن معرفة الموجود الاعلى فترك البحث عن صفات اللّه , ونهى عن ذلك , وهؤلا في الحقيقة هم ((المعطلة)) لانهم حرموا الانسان من المعارف السامية التي ارشد اليها العقل والوحي معا.
ولو كان البحث والنقاش حول هذه المعارف ممنوعا حقا لكان ذكركل هذه الصفات في القرآن الكريم , والامر بالتدبر فيها غير ضروري بل لغوا.
ويجب ان نقول ـ مع بالغ الاسف ـ ان هذا الفريق حيث انه اوصدعلى نفسه باب المعرفة , وقع نتيجة لتعطيل البحث العلمي في ورطة ((تجسيم اللّه وتشبيهه واثبات الجهة له سبحانه)).

الاصل السادس والثلاثون : صفات الذات وصفات الفعل

تنقسم الصفات الالهية من جهة اخرى الى قسمين :
الف : صفات الذات .
ب : صفات الفعل .
والمقصود من (صفات الذات) هي الصفات التي يلازم تصورهاتصور الذات الالهية , كالعلم والقدرة والحياة , وان لم يصدر منه سبحانه فعل من الافعال .

والـمقصود من (صفات الفعل) هي الصفات التي توصف الذات الالهية بها بملاحظة صدور فعل ما منـه تعالى , كالخالقية , والرازقية وماشابه ذلك من الصفات التي تنتزع من مقام الفعل , ويوصف بها الله تعالى بعد ملاحظة ما صدر منه من الافعال .
وبعبارة اخرى مالم يصدر من الله فعل كالخالقية والرازقية والغفارية والراحمية لا يمكن وصفه فعلا بالخالق والرازق وبالغفار والرحيم , وان كان قادرا ذاتا على الخلق والارزاق والمغفرة والرحمة .
ونـذكـر فـي الـخـاتـمة بان كل صفات الفعل التي يوصف بها الله تعالى نابعة من كماله الذاتي , وان الكمال الذاتي المطلق له تعالى هو مبدا جميع هذه الكمالات الفعلية ومنشؤها.

صفات الله الثبوتية

بـعدمـا تبين انقسام الصفات الالهية الى صفات ثبوتية وسلبية , وذاتية فعلية ينبغي ان نطرح على بساط البحث اهم المسائل والقضايا المتعلقة بها.

الاصل السابع والثلاثون : صفاته الذاتية

الف : العلم الازلي

علم الله ـ لكونه عين ذاته ـ ازلي , كما انه مثل ذاته مطلق , ولا نهاية له .
ان الله تـعالى ـ مضافا الى علمه بذاته ـ يعلم بكل شي مما سوى ذاته , كليا كان ام جزئيا, قبل وقوعه وتحققه , وبعد وقوعه وتحققه .
ولقد اكد القرآن الكريم على ذلك تاكيدا كبيرا اذ قال : (ان الله بكل شي عليم)69.
وقال ايضا: (الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)70.
ولـقـد ورد مـثل هذا التاكيد المكرر والقوي على ازلية العلم الالهي ,وسعته واطلاقه في الاحاديث المروية عن ائمة اهل البيت (ع) مثل قول الامام جعفر الصادق (ع):
((لم يزل عالما بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كونه وكذلك علمه بجميع الاشيا))71.

ب : القدرة الواسعة

ان قدرة الله مثل علمه ازلية , ولكونها عين ذاته فهي مثل علمه تعالى ,مطلقة وغير محدودة .
ان القرآن الكريم يؤكد على سعة قدرة الله ويقول : (وكان الله على كل شي قديرا)72.
ويقول : (وكان الله على كل شي مقتدرا) 4.
وقال الامام جعفر الصادق (ع):
((الاشيا له سوا علما وقدرة وسلطانا, وملكا واحاطة))73.
واما اذا كـان ايـجاد الاشيا المستحيلة والممتنعة ذاتا خارجة عن اطار القدرة الالهية , فليس ذلك لاجل نقص في القدرة الالهية , بل لاجل عدم قابلية الشي الممتنع , للتحقق والوجود (فهو نقص في جانب القابل لا في جانب الفاعل).
يقول الامام علي (ع) في الرد على من سال حول ايجادالممتنعات : ((ان الله تبارك وتعالى لاينسب الى العجز, والذي سالتني لايكون))74.

ج : الحياة

ان الله الـعـالـم الـقـادر حي كذلك قطعا, لان الصفتين السابقتين من خصوصيات الموجود الحي وتوابعه , ومن هذا تتضح دلائل الحياة الالهية ايضا.
على ان صفة الحياة التي يوصف بها الحق تعالى هي مثل سائرالصفات الالهية منزهة عن كل نقص , ومن كل خصوصيات هذه الصفة في الانسان وما شابهه (كعروض الموت), وحيث ان الله حي بالذات لهذالاسبيل للموت الى ذاته المقدسة كما يقول :
(وتوكل على الحي الذي لايموت)75.

د : الارادة والاختيار

ان الفاعل الواعي لفعله اكمل من الفاعل غير الواعي لفعله , كما ان الفاعل المريد لفعله المختار فيه (وهو الذي اذا اراد ان يفعل فعل , واذا لم يردان يفعل لم يفعل) اكمل من الفاعل المضطر المجبور, اي الذي ليس امامه الا احد امرين : اما الفعل واما الترك .
وبالنظر الى ما قلناه , وكذلك نظرا الى ان اللّه اكمل الفاعلين في صفحة الوجود, فان من البديهي ان نقول ان اللّه فاعل مختار, وليس تعالى بمجبور من جانب غيره , ولا بمضطر من ناحية ذاته .
والمقصود من قولنا: ان اللّه مريد, هو انه تعالى مختار وليس بمجبور ولا مضطر.
ان الارادة ـ بمعناها المعروف في الانسان والذي هو امر تدريجي وحادث ـ لا مكان لها في الذات الالهية المقدسة .
من اجل هذا وصفت الارادة الالهية في احاديث اهل البيت (ع)بانها نفس ايجاد الفعل وعين تحققه , منعا من وقوع الاشخاص في الانحراف والخطا في تفسير هذه الصفة الالهية وتوضيحها.
قال الامام موسى بن جعفر(ع): ((الارادة من الخلق : الضمير ومايبدو لهم بعد ذلك من الفعل واما من اللّه تعالى فارادته : احداثه لاغير,ذلك لانه لايروي ولايهم ولا يتفكر, وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق .
فارادة اللّه , الفعل , لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك , كما انه لا كيف له))76.
فظهر مما ذكرناه : ان وصفه سبحانه في مقام الذات بانه مريد,بمعنى انه مختار ووصفه به في مقام الفعل بمعنى انه موجد ومحدث .

اللّه وصفات الفعل

والان بعد ان اطلعنا على امهات المطالب المتعلقة بصفات الذات ينبغي التعرف على بعض صفات الفعل .
وندرس هنا ثلاث صفات فقط من صفات الفعل :
1 التكلم .
2 الصدق .
3 الحكمة .

الاصل الثامن والثلاثون : كون اللّه متكلما

ان القرآن الكريم يصف اللّه تعالى بصفة التكلم اذ يقول : (وكلم اللّه موسى تكليما)77.
وقال ايضا: (وما كان لبشر ان يكلمه اللّه الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا)78.
وعلى هذا الاساس لاشك في كون التكلم احدى الصفات الالهية .
انما الكلام هو في حقيقة التكلم وان هذه الصفة هل هي من صفات الذات ام من صفات الفعل ؟ اذ من الواضح ان التكلم بالشكل الموجودعند الانسان لا يجوز تصوره في الحق تعالى .
وحيث ان صفة التكلم مما نطق بها القرآن الكريم , ووصف بها اللّه ,لذلك يجب الرجوع الى القرآن نفسه لفهم حقيقته كذلك .
ان القرآن يقسم تكلم اللّه مع عباده ـ كما عرفنا ـ الى ثلاثة انواع , اذيقول : (وما كان لبشر ان يكلمه اللّه الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا انه علي حكيم)79.
اذن فلا يمكن للبشر ان يكلمه اللّه الا من ثلاث طرق :
1 - ((وحيا)) الالهام القلبي .
2 - ((او من ورا حجاب)) كان يكلم اللّه البشر من دون ان يراه كتكلم اللّه مع موسى (ع).
3 - ((او يرسل رسولا)) اي ملكا يوحي الى النبي باذن اللّه تعالى .
ففي هذه الاية بين القرآن تكلم اللّه بانه تعالى يوجد الكلام تارة من دون واسطة , واحيانا مع الواسطة , عبر ملك من الملائكة .
كما ان القسم الاول تارة يكون عن طريق الالقا والالهام الى قلب النبي مباشرة , وتارة بالالقا الى سمعه ومنه يصل الكلام الى قلبه .
وعلى كل حال يكون التكلم بصوره الثلاث بمعنى ايجاد الكلام وهو من صفات الفعل .
ان هذا التفسير والتحليل لصفة التكلم الالهي هو احد التفاسير التي يمكن استفادتها بمعونة القرآن وارشاده وهدايته .
وهناك تفسير آخر لهذه الصفة وهو: ان اللّه اعتبر مخلوقاته من كلماته فقال : (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا)80.
فالمقصود من ((الكلمات)) في هذه الاية هو مخلوقات اللّه التي لايقدر شي غير ذاته سبحانه على احصائها وعدها, ويدعم هذا التفسيرللكلمة وصف القرآن الكريم المسيح ابن مريم (ع) بانه ((كلمة اللّه)) اذ قال :(وكلمته القاها الى مريم)81.

ان الامام امير المؤمنين (ع) فسر تكلم الله تعالى في احدى خطبه واحاديثه بانه ايجاد وفعل , فقال :
((يقول لمن اراد كونه ((كن)), لا بصوت يقرع , ولا بندا يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه , انشاه ومثله))82.
فاذا كان الكلام اللفظي معربا عما في ضمير المتكلم , فما في الكون من عظائم المخلوقات الى صغارها يعرب عن علم الله تعالى وقدرته وحكمته .

الاصل التاسع والثلاثون : هل القرآن مخلوق ام قديم ؟

اتضح من البحث المتقدم الذي تضمن تفسيرا لحقيقة كلام الله , بنحوين ,ان التفسير الثاني لا يخالف التفسير الاول , وانه سبحانه متكلم بكلاالوجهين .
كما ثبت ان كلام الله حادث وليس بقديم , لان كلامه هو فعله , ومن الواضح ان الفعل حادث , فينتج من ذلك ان ((التكلم)) امر حادث ايضا.
ومع ان كلام الله حادث قطعا فاننا رعاية للادب , وكذا درا لسؤالفهم لا نقول : ان كلام الله (القرآن) مخلوق اذ يمكن ان يصفه احد في ضوء ذلك بالمجعول والمختلق والا فان ما سوى الله مخلوق قطعا.
يقول سليمان بن جعفر الجعفري : سالت الامام علي بن موسى بن جعفر(ع): يا ابن رسول الله اخبرني عن القرآن اخالق او مخلوق ؟فاجاب (ع) قائلا: ((ليس بخالق ولا مخلوق , ولكنه كلام الله عزوجل))83.
وهنا لابد من التذكير بنقطة تاريخية في هذا المجال وهي انه طرحت في اوائل القرن الثالث الهجري , في عام 212 ه في اوساطالمسلمين مسالة ترتبط بالقرآن الكريم , وهي : هل القرآن حادث اوقديم ؟.
وقد صارت هذه المسالة سببا للفرقة والاختلاف الشديدين , على حين لم يمتلك القائلون بقدم القرآن اي تبرير صحيح لمزعمتهم , لان هناك احتمالات يكون القرآن حسب بعضها حادثا, وحسب بعضها الاخرقديما.
فاذا كان المقصود من القرآن هو كلماته التي تتلى وتقرا, او الكلمات التي تلقاها الامين جبرائيل , وانزلها على قلب رسول الله (ص) فان كل ذلك حادث قطعا ويقينا.
واذا كان المقصود هو مفاهيم الايات القرآنية ومعانيها, والتي يرتبطقسم منها بقصص الانبيا, وغزوات الرسول الاكرم (ص), فهي ايضا لايمكن ان تكون قديما.
واذا كان المقصود هو علم الله بالقرآن لفظا ومعنى فان من القطعي والمسلم به هو ان علم الله قديم , وهو من صفات الذات , ولكن العلم غيرالكلام كما هو واضح .

الاصل الاربعون : كون الله صادقا

ومن صفاته سبحانه ((الصدق)) وهو القول المطابق للواقع في مقابل الكذب الذي هو القول المخالف للواقع .
فالله تعالى صادق لا سبيل للكذب الى قوله , ودليل ذلك واضح تمام الوضوح , لان الكذب شيمة الجهلة , والعجزة والجبنا والله منزه عن ذلك كله .
وبعبارة اخرى , ان الكذب قبيح والله منزه عن القبيح .

الاصل الواحد والاربعون : كون الله حكيما

ومن الصفات الكمالية الالهية ((الحكمة)) كما يوحي بذلك تسميته تعالى بالحكيم .
والمقصود من كون الله حكيما:
اولا: ان افعال الله تعالى تتسم بمنتهى الاتقان والكمال .
ثانيا: ان الله تعالى منزه عن الافعال الظالمة , والعابثة .
ويدل نظام الخلق الرائع العجيب على المعنى الاول حيث اقيم صرح الكون العظيم على اتم نظام واحسن صورة , اذ يقول :
(صنع الله الذي اتقن كل شي)84.
ويشهد بالمعنى الثاني قوله تعالى :
(وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا)85.
وهو امر يدعمه العلم والعقل كلما تقدم بهما الزمن , ووقفنا على اسرار الكون وقوانينه .

صفات الله السلبية

الاصل الثاني والاربعون : ان الله لا يرى بالعين مطلقا

ذكرنا عند تصنيف صفات الله تعالى ان الصفات الالهية على نوعين :صفات الجمال , وصفات الجلال , وان ما هو من سنخ الكمال ومقولته يسمى ((الصفات الجمالية)) او ((الثبوتية)), وما هو من مقولة النقص وسنخه يسمى ((الصفات الجلالية)) او ((السلبية)).
والهدف من الصفات السلبية هو تنزيه ذات الله سبحانه من النقص ,والحاجة والفقر.
ان الله تعالى ـ لكونه غنيا موصوفا بالكمال المطلق ـ منزه عن كل وصف يحكي النقص , والحاجة والفقر, ولهذا قال علما العقيدة المسلمون (علما الكلام) ان الله ليس بجسم ولا جسماني , ولا محلالشي , ولا حالا في شي , ذلك لان كل هذه الخصوصيات ملازمة للنقص والاحتياج ومستتبعة للفقر والامكان , وهي تعارض كونه غنيا غنى مطلقا,وتنافي كونه واجب الوجود قطعا ويقينا.
هذا ومن الصفات التي تحكي النقص كون الشي مرئيا, ذلك لان الشي لا يكون مرئيا الا بعد تحقق شروط ضرورية هي :
الف : ان يكون في مكان وجهة خاصة .
ب : ان لا يكون في ظلمة , بل يشع عليه النور.
ج : ان يكون بينه وبين الرائي فاصلة معينة ومسافة مناسبة .
ومن الواضح ان هذه الشرائط من آثار الكائن الجسماني ومن خصائص الموجود المادي لا الاله ذي الوجود الاسمى والاعلى من ذلك .
هذا مضافا الى ان كون الله مرئيا لا يخلو من حالتين :
اما ان يكون كل وجوده مرئيا.
واما ان يكون بعض وجوده مرئيا.
وفي الصورة الاولى يكون الله المحيط , محاطا ومحدودا.
وفي الصورة الثانية يكون الحق تعالى ذا اجزا وابعاض .
وكلا الامرين لا يليقان بالله سبحانه فهو تعالى محيط غير محاط به ,مطلق غير مقيد, منزه عن التركب والتبعض .
على ان ما قلناه يرتبط بالرؤية الحسية والبصرية , لا الرؤية القلبية ,والشهود الباطني الذي يتحقق للمر بفضل الايمان الكامل , واليقين الصادق فان هذا القسم خارج عن محط البحث , واطار النقاش ولا ريب في امكان وقوعه بل وقوعه لاوليا الله , وعبادة الصالحين المقربين .
قال ذعلب اليماني ـ وهو من اصحاب الامام علي (ع) ـ قلت للامام (ع) هل رايت ربك يا امير المؤمنين ؟.
قال الامام (ع): ((افاعبد ما لا ارى)).
فقال ذعلب : وكيف تراه ؟.
فقال (ع): ((لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان))86.
ان الرؤية بالبصر علاوة على كونها ممتنعة عقلا, مرفوضة من جانب القرآن الكريم , فقد صرح القرآن الكريم بنفي امكان ذلك .

فعندما طلب النبي موسى (ع) مـ نالله (تحت الحاح وضغط من قومه) ان يريه نفسه رد عليه سبحانه بالنفي المؤكد المؤبد كما يقول :قائلا: (رب ارني انظر اليك قال لن تراني)2.
ويمكن ان يسال احد: اذا كانت رؤية الله بالبصر والعين غير ممكنة فلماذا قال القرآن الكريم : (وجوه يومئذ ناضرة # الى ربها ناظرة)3.
والجواب على ذلك هو: ان المقصود من النظر في الاية الكريمة ,هو انتظار الرحمة الالهية , لان في الاية شاهدين على ذلك :
1 ـ ان النظر في هذه الاية نسب الى الوجوه وقال ما معناه : ان الوجوه المسرورة تنظر اليه ولو كان المقصود هو رؤية الله بالبصر لنسب النظر الى العيون لا الى الوجوه .
2 ـ ان الكلام في هذه السورة عن فريقين : فريق يتمتع بوجوه مسرورة مشرقة وقد بين ثوابها بقوله : (الى ربها ناظرة).
وفريق يتسم بوجوه حزينة مكفهرة وقد بين جزاها وعقابها بقوله :(تظن ان يفعل بها فاقرة).
والمقصود من الفقرة الثانية واضح وهو ان هذا الفريق يعلم بانه سيصيبه عذاب يفقر الظهر, ويكسره ولهذا فهو ينتظر مثل هذا العذاب الاليم .
وبقرينة المقابلة بين هذين الفريقين يمكن معرفة المقصود من الاية الاولى وهو ان اصحاب الوجوه المسرورة تنتظر رحمة الله , فقوله تعالى :(الى ربها ناظرة) كناية عن انتظار الرحمة الالهية , ولهذا النوع من التكنية وذكر شي وارادة شي آخر كناية نظائر في المحاورات العرفية فيقال فلان عينه على يد فلان اي انه ينتظر افضاله وانعامه عليه .
وخلاصة القول , انه كما ينتظر اصحاب الوجوه الحزينة عذاباالهيا, ينتظر اصحاب الوجوه المسرورة رحمة الهية كنى بها بالنظر اليه جريا على العادة المالوفة في المحاورات العرفية العربية , وبقرينة المقابلة التي هي من قوانين البلاغة وقواعدها.
هذا مضافا الى انه يجب ان لا يكتفى في تفسير الايات القرآنية بية واحدة بل لابد من استعراض ما يشابهها من الايات من حيث الموضوع ,والتوصل الى المفهوم الحقيقي بعد ملاحظة مجموعة تلك الايات .
وفي مسالة الرؤية لو لاحظنا كل الايات المتعلقة بها في القرآن الكريم , بالاضافة الى الاحاديث الشريفة في هذا المجال لاتضح عدم امكان رؤية الله تعالى في نظر الاسلام من دون غموض .
وفي خاتمة المطاف تفسر الرؤية الواردة في قصة موسى (ع) مع اصحابه , ان موسى (ع) اختار من قومه سبعين رجلا لميقات ربه لكي يشاهدوا نزول التوراة , فلما بلغوا الميقات اقترحوا عليه ان يريهم الله سبحانه , يقول تعالى :
(واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)87, وقال سبحانه :(يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالواارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم)2 فلما افاقوا بدعا من نبيهم موسى (ع)اقترحوا عليه شيئا آخر, فقالوا: انك تسمع كلام الله وتصفه لنا ادع ربك حتى يريك نفسه فتنقله الينا فاصروا والحوا في ذلك , فطلب موسى (ع)بضغط والحاح من قومه ان يريه الله ذاته مع علمه بامتناع رؤيته , وقال :(رب ارني انظر اليك) فوافاه الجواب : (قال لن تراني)3.
فتبين من ذلك ان طلب موسى لم يكن من تلقا نفسه بل كان اجابة لالحاح قومه المعروفين باللجاج والاصرار.

الصفات الخبرية

الاصل الثالث والاربعون

كل ما ذكر الى هنا من الصفات الالهية (ما عدا التكلم) كان برمته من نوع الصفات التي يقضي العقل باثباتها لله او نفيها عنه .
غير ان هناك مجموعة من الصفات وردت في آيات القرآن وفي السنة ولم يكن لها من مستند ومصدر سوى النقل مثل :
1 ـ يد الله : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) 88.
2 ـ وجه الله : (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم)2.
3 ـ عين الله : (واصنع الفلك باعيننا ووحينا)89.
4 ـ الاستوا على العرش : (الرحمن على العرش استوى)4.
والعلة في تسمية هذا النوع من الصفات , بالصفات الخبرية , هوثبوتها لله باخبار الكتاب والسنة بها فقط.
وللحصول على التفسير الواقعي لهذا النوع من الصفات يجب ايضاملاحظة كل الايات المتعلقة بهذا المجال .
كما انه يجب ان نعلم ان اللغة العربية شانها شان غيرها من اللغات الاخرى زاخرة بالكنايات والاستعارات والمجازات , وبما ان القرآن نزل بلغة القوم لذلك استخدم هذه الاساليب ايضا.
واليك الان بيان هذه الصفات وتفسيرها في ضوء ما مر.

الـف : فـي الاية الاولى قال تعالى : (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) لان مبايعة الرسول بمنزلة مبايعة المرسل .
ثم يقول بعد ذلك : (يد الله فوق ايديهم) وهذا يعني ان قدرة الله اعلى واقوى من قدرتهم ولا يعني ان لله يدا جسمانية حسية تكون فوق اياديهم .
ويشهد بذلك انه قال في ختام الاية وعقيب ما مر: (فمن نكث فانماينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما).
فمن نكث بيعته فلا يضر الله شيئا لان قدرة الله فوق قدرتهم .
ان هذا النمط من الكلام والخطاب الذي يتضمن تهديد الناكثين لعهدهم , والتنديد بهم , وامتداح الموفين بعهدهم وتبشيرهم , يدل على ان المقصود من ((يد الله)) هو القدرة والحاكمية الالهية .
علـى ان لـفظـة ((الـيـد)) تستخدم احيانا في جميع اللغات للكناية عن القدرة والقوة , والسلطة والـحاكمية , ومن هذا الباب قولهم : فوق كل يديد, اي فوق كل قوة قوة اعلى , وفوق كل قدرة قدرة اكبر.
ب : ان المقصود من الوجه الذي نسب الى الحق تعالى هنا هو ذاته سبحانه لا العضو الخاص الموجود في جسم الانسان وما يشابهه .
فالقرآن عندما يتحدث عن هلاك ما سوى الله وفنائه يقول : (كل من عليها فان)90.
ثم يخبر عقيب ذلك مباشرة عن بقا الذات الالهية ودوامها وانه لاسبيل للفنا اليها فيقول : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)91.
اي تبقى ذاته المقدسة , ولا تفنى ابدا.
مـن هذا البيان يتضح بجلا معنى الاية المبحوثة هنا ويتبين ان المقصود هو ان الله ليس في جهة او نقطة معينة , بل وجوده محيط بجميع الاشيا فاينما ولينا وجوهنا, فقد ولينا وجوهنا شطره .
ثم ان القرآن اتى لاثبات هذه الحقيقة العظيمة بوصفين لله تعالى :
1 ـ واسع : اي ان وجود الله لا نهاية له ولا حدود.
2 ـ عليم : اي انه عارف بجميع الاشيا.
ج : في الاية الثالثة يذكر القرآن الكريم ان نوحا (ع) كلف من جانب الله بصنع سفينة واعدادها.
وحيث ان صنع تلك السفينة كان في مكان بعيد عن البحر, لذلك استهزا قومه به , وسخر به الجهلة منهم , وآذوه .
ولـذا فـي مـثل هذه الظروف قال له الله تعالى : اصنع انت السفينة ولاتبالي , فانت تفعل ذلك تحت اشرافنا, وهو امر قد اوحينا نحن به اليك .
فـالمقصود من قوله (واصنع الفلك باعيننا) هو ان نوحا قام بما قام من صنع السفينة حسب امر الله له , ولـهذا فان الله سيحفظه ويكلاوه برعايته ,ويحميه , ولن يصل اليه من المستهزئين شي اذ هو في رعاية الله , ويعمل تحت عنايته .
د : ان الـعرش فـي الـلـغـة العربية بمعنى السرير, ولفظ ((الاستوا)) اذاجا مع لفظة ((على)) كان المعنى هو الاستقرار والاستيلا.
وحيث ان الملوك والامرا بعد ان جلسوا على منصة العرش يعمدون الى تدبير الامور, وتسييرها في بـلادهـم , لـهـذا كـان هـذا الـنـوع مـن الـتـعبير (اعني : الاستوا على العرش) كناية عن الاستيلا, والسيادة ,والقدرة على تدبير الامور, خاصة اذا نسب ذلك الى الله سبحانه .
هذا مضافا الى ان الادلة العقلية والنقلية اثبتت تنزه الحق تعالى عن المكان .
ومـمـا يـشـهـد بان الهدف من هذا النمط من التعابير, ليس هو الجلوس على السرير المادي , بل هو كناية عن تدبير امور العالم امران :
1 ـ ان هـذه الـعـبـارة جات في كثير من آيات الكتاب العزيز مسبوقة بالحديث عن خلق السماوات والارض , للاشارة الى ان هذا الصرح العظيم قائم من غير اعمدة مرئية .
2 ـ ان هذه العبارة جات في آيات كثيرة من الكتاب العزيز ملحوقة بالكلام عن تدبير العالم .
ان مـجـيـئ هذا الـتـعبير في القرآن الكريم مسبوقا تارة بالحديث عن الخلق , وملحوقا تارة اخرى بالحديث عن التدبير يمكن ان يساعدنا على فهم المقصود من الاستوا على العرش , وان القرآن يريد بـهـذه الـعـبارة ان يفهم البشرية ان خلق الوجود على سعته , وعظمته , لم يوجب خروج هذا الكون العظيم عن نطاق تدبيره ومشيئته , بل الله تعالى مضافا الى كونه خالق الكون , وموجده , فهو مدبره , ومصرف شؤونه .
وهـا نـحـن نختار من بين الايات العديدة في هذا الصعيد آية جامعة للحالتين (المذكورتين سابقا) تفيد ما ذكرناه :
(ان ربـكـم الله الـذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه)92 93.

كليات في العقيدة

.3

الفصل الرابع

العدل الالـهي

الاصل الرابع والاربعون : العدل من الصفات الجمالية

يعتقد المسلمون جميعا بعدل الله تعالى والعدل من الصفات الالهية الجمالية .
وينطلق هذا الاعتقاد من نفي القرآن لاي نوع من انواع الظلم عن الله تعالى , ووصفه بكونه ((قائما بالقسط)) كما يقول : (ان الله لا يظلم مثقال ذرة)94.
ويقول ايضا: (ان الله لا يظلم الناس شيئا)95.
ويقول كذلك : (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط)96.
ان العقل ـ مضافا الى الايات المذكورة ـ يحكم بوضوح بالعدل الالهي لان العدل صفة كمال , والظلم صفة نقص , والعقل يحكم بان الله تعالى مستجمع لجميع صفات الكمال , منزه عن كل عيب ونقص في مقام الذات والفعل .
والظلم اساسا نابع من احد عوامل ثلاثة :
1 ـ جهل الفاعل بقبح الظلم .
2 ـ احتياج الفاعل للظلم الى الظلم مع علمه بقبحه , او عجزه عن القيام بالعدل .
3 ـ كون فاعل الظلم سفيها غير حكيم , فهو لا يبالي باتيان الافعال الظالمة رغم علمه بقبحها, ورغم قدرته على القيام بالعدل .
ومن البديهي انه لا سبيل لاي واحد من هذه العوامل الى الذات الالهية المقدسة , فهو تعالى منزه عن الجهل , والعجز, وعن الاحتياج والسفه , ولهذا فان جميع افعاله تتسم بالعدل والحكمة .
ولقد اشار الشيخ الصدوق الى هذا اذ قال : ((والدليل على انه لا يقع منه عز وجل الظلم ولا يفعله انه قد ثبت انه تبارك وتعالى قديم غني عالم لا يجهل , والظلم لا يقع الا من جاهل بقبحه او محتاج الى فعله منتفع به))97.
كما اشار اليه المحقق نصير الدين الطوسي بقوله :
((واستغناؤه وعلمه يدلا ن على انتفا القبح عن افعاله تعالى))98.
ونظرا الى هذه الايات اتفق المسلمون على ثبوت العدل لله تعالى والاعتقاد بكونه عادلا.
الا انهم اختلفوا في تفسير العدل الالهي واختار كل فريق احدى النظريتين التاليتين :
الف : ان العقل البشري السليم يدرك بنفسه حسن الافعال وقبحها,ويعتبر الفعل الحسن علامة لكمال فاعله , والفعل القبيح علامة لنقصان فاعله .
وحيث ان الله مستجمع بذاته لجميع صفات الكمال , لهذا فان فعله كامل ومحمود, وذاته المقدسة منزهة عن كل فعل قبيح .
هذا ويجدر التذكير بنقطة هامة هنا, وهي ان العقل لا يحكم على الله بشي , ولا يقول : يجب على الله ان يكون عادلا, بل كل ما يفعله العقل هنا هو ان يكتشف واقعية الفعل الالهي , يعني انه بالنظر الى كمال الله المطلق , وتنزهه سبحانه عن كل نقص وعيب , يكتشف ان فعله كذلك في غاية الكمال , وانه منزه ايضا عن النقص , فهو بالتالي سيعامل عباده بالعدل , ولا يظلم احدا منهم ابدا.
وما ذكرته الايات القرآنية في هذا المجال انما هو في الحقيقة تاكيدوتاييد لما ادركه الانسان من طريق العقل .
وهذا هو ما اصطلح عليه في علم الكلام الاسلامي بمسالة الحسن والقبح العقليين , ويسمى القائلون بهذه النظرية بالعدلية , ويقف في طليعتهم الشيعة الامامية الاثنا عشرية .
ب ـ وتقابل تلك النظرية , نظرية اخرى وهي ان العقل البشري عاجز عن ادراك الحسن والقبح في الافعال حتى في صورتها الكلية ,وتحصر الطريق لمعرفة الحسن والقبح في الوحي الالهي , فما امر به الله فهو حسن وما نهى عنه فهو قبيح .
وعلى هذا الاساس فلو امر الله بالقا انسان بري في النار, اوادخال عاص في الجنة كان ذلك عين الحسن والعدل .
وقول هذا الفريق هو: ان وصف الله بالعدل ليس الا لكون هذاالوصف جا في القرآن الكريم ليس الا.

الاصل الخامس والاربعون : ادراك العقل للحسن والقبح

حيث ان مسالة الحسن والقبح العقليين تمثل الاساس والقاعدة للكثير من عقائد الشيعة الامامية , لذلك نشير فيما ياتي الى دليلين من ادلتهاالعديدة :
الف : ان كل انسان ـ مهما كان دينه ومسلكه , واينما حل من بقاع الارض ـ يدرك بنفسه حسن العدل , وقبح الظلم , وكذلك يدرك حسن الوفا بالعهد, وقبح نقضه , وحسن مقابلة ((الاحسان بالاحسان)) وقبح مقابلة ((الاحسان بالاساة)).
ودراسة التاريخ البشري تشهد بهذه الحقيقة وتؤكدها, ولم ير حتى اليوم انسان عاقل ينكرها قط.

ب : لو فرضنا ان العقل عجز تماما عن ادراك حسن الافعال وقبحها,واحتاج الناس في معرفة حسن جميع الافعال وقبحها الى الشرع , لزم من ذلك عدم امكان اثبات الحسن والقبح الشرعيين ايضا ذلك لاننا لو فرضناان الشارع اخبر عن حسن فعل او قبح آخر لا يمكننا ان نتوصل الى معرفة حسن ذلك الفعل او قبحه , بواسطة هذا الاخبار, ما دمنا نحتمل الكذب في اخبار الشارع , وكلامه الا اذا ثبت قبل ذلك قبح المين والكذب وتنزه الشارع عن هذه الصفة القبيحة , ولا يمكن اثبات ذلك الا من طريق العقل 99.
هذا مضافا الى انه يستفاد من الايات القرآنية ان العقل البشري قادرعلى ادراك حسن بعض الافعال او قبحها, ولهذا احتكم القرآن الى العقل واللب , ودعا الى تحكيمه اكثر من مرة اذ قال : (افنجعل المسلمين كالمجرمين #مالكم كيف تحكمون)100.
وقال ايضا: (هل جزا الاحسان الا الاحسان) 3.
وهنا يطرح سؤال لابد من الاجابة عليه وهو ان الله تعالى قال :(لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) 4.
والسؤال الان هو: اذن لا يمكن ان يسال الله عن اي فعل قام به والحال انه بنا على كون الحسن والقبح عقليين اذا فعل الله قبيحا ـافتراضا ـ يسال ويقال : لماذا فعل هذا الفعل ؟.
والجواب هو: انما لا يسال الله عن فعله لانه حكيم , والحكيم لايصدر منه القبيح قط, ففعله ملازم للحكمة ابدا, ولهذا لايبقى هناك مايستدعي المسالة والاستفسار.

الاصل السادس والاربعون : تجليات العدل الالهي في مجالي التكوين والتقنين

ان للعدل الالهي في مجالات التكوين والتشريع والجزا, مظاهر مختلفة نبينها واحدا بعد آخر:
الف : العدل التكويني : لقد اعطى الله تعالى لكل مخلوق خلقه , ما هولائق به , ولازم له , ولم تغب عنه القابليات عند الافاضة والايجادابدا.
يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: (ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى)101.
ب : العدل التشريعي : لقد هدى الله الانسان الذي يمتلك قابلية الرشدوالتكامل , واكتساب الكمالات المعنوية , بارسال الانبيا, وتشريع القوانين الدينية له كما انه لم يكلف الانسان بما هو فوق طاقته , ووسعه ,كما يقول : (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتا ذي القربى وينهى عن الفحشا والمنكروالبغي يعظكم لعلكم تذكرون)102.
وحيث ان العدل والاحسان وايتا ذي القربى توجب كمال الانسان وتوجب الافعال الثلاثة الاخرى (الفحشا والمنكر والبغي) سقوطه , امرسبحانه بالاعمال الثلاثة الاولى , ونهى عن الافعال الاخيرة .
ويقول عن ملائمة التكاليف الالهية لاستطاعة الانسان وقدرته وعدم كونها خارجة عن حدود هذه الاستطاعة ايضا: (لا يكلف الله نفسا الا وسعها)103.
ج : العدل في الجزا: ان الله لا ينظر الى المؤمن والكافر, والمحسن والمسي من حيث الجزا نظرة سوا قط, بل يجازي كلا طبقا لاستحقاقه ووفقا لعمله فيثيب المحسن , ويعاقب المسي .
وعلى هذا الاساس لا يعاقب من لم تبلغه تكاليفه عن طريق الانبياوالرسل , ولم تتم عليه الحجة كما يقول : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)104.
ويقول ايضا: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا)105.

الاصل السابع والاربعون : الهدفية في خلق الانسان

ان الله خلق الانسان , وكان لخلقه وايجاده هدف خاص , وهو وصول الانسان الى الكمال الانساني المطلوب الذي يتحقق في ظل عبادة الله ,وطاعته .
ولو كان وصول الانسان الى الهدف متوقفا على مقدمات , هياسبحانه تلك المقدمات , وسهل له طريق الوصول الى الهدف , والا كان خلق الانسان عبثا خاليا عن الهدف .
من هنا بعث الله انبياه ورسله وزودهم بالبينات والمعاجز, كما انه ترغيبا لعباده في الطاعة , وتحذيرا لهم عن المعصية ضمن تلك الرسالات وعده ووعيده , فبشروا وانذروا.
وهذا الذي قلناه هو خلاصة ما يسمى في كلام ((العدلية)) ب ((قاعدة اللطف)) وهي من فروع قاعدة الحسن والقبح العقليين , كما انها هي الاساس والمنطلق للكثير من قضايا العقيدة ومسائلها.

القضا والقدر

الاصل الثامن والاربعون : القضا والقدر في الكتاب والسنة

القضا والقدر من العقائد الاسلامية المسلمة التي وردت في الكتاب والسنة , وايدتها الادلة والبراهين العقلية القاطعة .
ان الايات التي تتحدث عن ((القضا والقدر)) كثيرة جدا ونحن ناتي بنماذج منها هنا:
يقول القرآن حول القدر: (انا كل شي خلقناه بقدر)106.
ويقول ايضا: (وان من شي الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) 2.
كما يقول حول القضا: (واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون)107.
ويقول ايضا: (هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا) 4.
وبالنظر الى هذه الايات والروايات العديدة في هذا الصعيد لايمكن لمسلم ان ينكر ((القضا والقدر)) وان لم يجب الالمام بتفاصيل هذه المسالة ومعرفة جزئياتها.
واساسا لا يصلح الخوض في هذه المسائل الدقيقة لمن لم يمتلك القابلية الذهنية والفكرية اللازمة لمثل هذه الحقائق الدقيقة , اذ طالما يمكن ان يتورط مثل هذا في شك او تردد في عقيدته , ويقع في الضلال في نهاية المطاف .
ولهذا قال الامام علي (ع) مخاطبا هذا الفريق من الناس :
((طريق مظلم فلا تسلكوه , وبحر عميق فلا تلجوه , وسر الله فلاتتكلفوه))108.
نعم تحذير الامام (ع) هذا موجه الى من لا يمكنه فهم هذه المعارف الدقيقة , وهضمها واستيعابها, بل وربما يؤدي به الدخول فيهاالى الضلال والانحراف .
ويشهد بهذا الموضوع انه (ع) طالما عمد ـ في موارد ومواضع اخرى ـ الى شرح وبيان مسالة القضا والقدر109.
ولهذا فاننا نشرح هذه المسالة في حدود معرفتنا مستعينين بالايات والروايات والعقل .

الاصل التاسع والاربعون : معنى القدر والقضا

((القدر)) في اللغة يعني المقدار, والقضا يعني الحتم والجزم .
يقول الامام الرضا (ع) في تفسيره للقدر والقضا: ((القدر هي الهندسة , ووضع الحدود من البقا, والفنا. والقضا هو الابرام , واقامة العين))110.
والان وبعد ان اتضح معنى القدر والقضا من حيث اللغة , نعمد الى بيان معناهما حسب المصطلح الديني .

الف : القدر

ان لوجود كل مخلوق من المخلوقات بحكم كونه من الموجودات الممكنة (اي موصوفا بصفة الامكان) حدا معينا, ومقدارا خاصا.
فلوجود ((الجماد)) مثلا حد خاص , ومقدار معين , ولوجود((النبات)) و((الحيوان)) مقدار وحد آخر.
وحيث ان الوجود المقدر لكل شي هو بدوره مخلوق لله تعالى ,لذا فان من الطبيعي ان يكون التقدير والتحديد نفسه تقديرا الهيا.
كما ان هذا التقدير من جهة كونه فعل الله يسمى ((التقدير الفعلي))ومن جهة كون الله يعلم به قبل خلقه يسمى ((التقدير العلمي)).
وفي الحقيقة ان الاعتقاد بالقدر, اعتقاد بخالقية الله بلحاظخصوصيات الاشيا.
وحيث ان هذا التقدير الفعلي مستند الى علم الله الازلي , لهذا فان الاعتقاد بالقدر العلمي يكون في حقيقته اعتقادا بعلم الله الازلي .

ب : تفسير القضا

ان ((القضا)) كما اسلفنا يعني الحتم والجزم بوجود الشي , ومن المسلم ان حتمية وجود اي شي وتحققه على اساس العلية والمعلولية رهن تحقق علته التامة , وحيث ان سلسلة العلل والمعلولات (وبالاحرى النظام العلي) تنتهي الى الله تعالى , لهذا فان حتمية تحقق اي شي يستند في الحقيقة ـ الى قدرة الله ومشيئته سبحانه .
وهذا هو قضا الله في مقام الفعل والخلق .
وعلم الله الازلي في مجال هذه الحتمية يكون قضا الله الذاتي .
كل ما سلف يرتبط بقضا الله وقدره التكوينيين , فعليا كان ام ذاتيا,وقد يكون ((القضا والقدر)) مرتبطين بعالم التشريع ومجاله , بمعنى ان اصل التشريع , والتكليف الالهي يكون قضا الله , وكذا تكون كيفيته وخصوصيته كالوجوب , والحرمة , وغير ذلك تقديرا تشريعيا لله تعالى .
وقد ذكر الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في جواب من سال عن حقيقة القضا بهذه المرحلة من ((القضا والقدر)) اذ قال :
((الامر بالطاعة , والنهي عن المعصية , والتمكين من فعل الحسنة ,وترك المعصية , والمعونة على القربة اليه ,

والخذلان لمن عصاه , والوعدوالوعيد, والترغيب والترهيب كل ذلك قضا الله في افعالنا وقدره لاعمالنا)) 111.
هذا ولعل اقتصار الامام امير المؤمنين (ع) ـ في الاجابة على سؤال السائل ـ على شرح ((القضا والقدر)) التشريعيين , كان رعاية لحال السائل ,اوالحاضرين في ذلك المجلس , لانه كان يستنبط من القضا والقدرالتكوينيين وشمولهما لافعال الانسان في ذلك اليوم الجبر وسلب الاختيار.
ولهذا ختم الامام (ع) كلامه المذكور بقوله : ((اما غير ذلك فلا تظنه فان الظن له محبط للاعمال)).
والمقصود هو ان قيمة الاعمال تنبع من كون الانسان مختارا ياتي بافعاله باختياروارادة منه , ومع فرض الجبر لا تبقى للافعال اية قيمة .
والحاصل ان ((القضا والقدر)) قد يكونان في مجال التكوين , وقديكونان في مجال التشريع .
ولكل من القسمين مرحلتان :
1 ـ الذاتي (العلمي).
2 ـ الفعلي .

الاصل الخمسون : لاتنافي بين القضا والقدر والاختيار

ان ((القضا والقدر)) في مجال افعال الانسان لا ينافيان اختياره , ومايوصف به من حرية الارادة قط, لان التقدير الالهي في مجال الانسان هوفاعليته الخاصة وهو كونه فاعلا مختارا مريدا, وان يكون فعله وتركه لاي عمل تحت اختياره وبارادته .
ان القضا الالهي في مجال فعل الانسان هو حتميته وتحققه القطعي بعد اختيار الانسان له بارادته .
وبعبارة اخرى , ان خلقة الانسان مجبولة على الاختيار, ومزيجة بحرية الارادة ومقدرة بذلك , وان القضا الالهي ليس الا هذا, وهو ان الانسان متى ما اوجد اسباب وقوع فعل ما تم التنفيذ الالهي من هذاالطريق .
ان بعض الاشخاص يعتبر كونه عاصيا, ظاهرة ناشئة من التقديرالالهي , ويتصور انه لا يقدر على اختيار طريق آخر غير ما يسلكه , في حين يرفض العقل والوحي هذا التصور لان العقل يقضي بان الانسان هوالذي يختار بنفسه مصيره وهو كذلك في نظر الشرع ايضا, اي انه حسب نظر الوحي يقدر ان يكون انسانا شاكرا صالحا, او كافرا طالحا.
(انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا)112.
وفي عصر الرسالة كان ثمت فريق من الوثنيين يتصورون ان ضلالهم ناشئ من المشيئة الالهية وكانوا يقولون : لو لم يرد الله ان نكون مشركين لما كنامشركين .
ان القرآن الكريم يروي منطقهم وتصورهم هذا بقوله : (سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شي)113.
ثم يقول في معرض الرد عليهم : (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقواباسنا).
وفي الختام نذكر بان سنن الله الكلية في عالم الخلق والتي تؤدي الى سعادة الانسان تارة , والى شقائه وخسرانه تارة اخرى , هي من مظاهر((القضا والقدر)) الالهيين , وان البشر هو الذي يختار احد هذين بنفسه .
وقد مرت الاشارة الى امور في هذا المجال في الابحاث السابقة المتعلقة بالانسان وموقعه في نظرة الاسلام الى الحياة . الانسان والاختيار.

الاصل الواحد والخمسون : الاختيار حقيقة مسلمة

ان اختيار الانسان , وحرية ارادته , حقيقة مسلمة وواضحة , وفي مقدوركل احد ان يدركه , ويقف عليه من طرق مختلفة نشير اليها فيما ياتي :
الف : ان وجدان كل شخص يشهد بانه قادر ـ في قراراته ـ على ان يختار احد الطرفين : الفعل او الترك , ولو ان احدا تردد في هذا الادراك البديهي وجب ان لا يقبل اية حقيقة بديهية ايضا.
ب : ان المدح والقدح للاشخاص المختلفين في كل المجتمعات البشرية الدينية وغير الدينية , علامة على ان المادح او القادح اعتبرالممدوح , او المقدوح فيه , مختارا في فعله , والا لما كان المدح والقدح منطقيا, ولا مبررا.
ج : اذا تجاهلنا اختيار الانسان وحرية ارادته , كان التشريع امرا لغواوغير مفيد ايضا, لان الانسان اذا كان مضطرا على سلوك دون اختياره ,بحيث لا يمكنه تجاوزه , والخروج عنه , لم يكن للامر والنهي والوعدوالوعيد, ولا الثواب والعقاب اي معنى .
د : نحن نرى طوال التاريخ البشري اشخاصا اقدموا على اصلاح الفرد, او المجتمع البشري وبذلوا جهودا في هذا السبيل فحصلوا على نتائجها وثمارها.
ان من البديهي ان تحقق هذه النتائج لا يتناسب مع كون الانسان مجبورا, لانه مع هذا الفرض تكون كل تلك الجهود لاغية وغير منتجة .
ان هذه الشواهد الاربعة تؤكد مبدا الاختيار, وحرية الارادة ,وتجعله حقيقة لا تقبل الشك والترديد.

على اننا يجب ان لا نستنتج من مبدا حرية الانسان وكونه مختارا ان الانسان متروك لحاله , وان ارادته مطلقة العنان , وانه ليس لله اي تاثير في فعله , لان مثل هذه العقيدة التي تعني التفويض تنافي اصل احتياج الانسان الدائم الى الله , كما ان ذلك يحدد دائرة القدرة والخالقية الالهيتين , ويقيدهما, بل حقيقة الامر هي على النحو الذي سياتي بيانه في الاصل التالي .

الاصل الثاني والخمسون : لاجبر ولاتفويض بل امر بين امرين

بعد وفاة النبي الاكرم (ص) طرحت مسائل خاصة في المجتمع الاسلامي منها مسالة كيفية صدور الفعل من الانسان .
فقد ذهب فريق الى اختيار عقيدة الجبر, وقالوا بان الانسان فاعل مجبور, مسير.
وفي المقابل ذهب فريق آخر الى اختيار نظرية مخالفة , وقالوا ان الانسان كائن متروك لحاله , مفوض اليه , وان افعاله لا تستند الى الله مطلقا.
ان كلا الفريقين تصورا ـ في الحقيقة ـ ان الفعل اما انه يجب ان يستند الى الانسان , او يستند الى الله , اي اما ان تكون القدرة البشرية لوحدها هي المؤثرة , واما ان تكون القدرة الالهية هي المؤثرة , ليس الا.
في حين هناك طريق ثالث ارشدنا اليه الائمة المعصومون .
يقول الامام جعفر الصادق (ع): ((لا جبر ولا تفويض , ولكن امر بين الامرين))114.
يعني ان فعل الانسان في حال كونه مستندا الى العبد, مستند الى الله ايضا, لان الفعل صادر من الفاعل , وفي نفس الوقت يكون الفاعل وقدرته مخلوقين لله , فكيف يمكن ان ينقطع عن الله تعالى ؟.
ان طريقة اهل البيت (ع) في بيان حقيقة الفعل البشري تتطابق تمامامع ما جا في القرآن الكريم .
فان هذا الكتاب السماوي ربما نسب فعلا ـ مع نسبته واسناده الى فاعله ـ الى الله تعالى ايضا, يعني انه يقبل كلا الاسنادين وكلتا النسبتين , اذيقول : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)115.
والمراد هو ان النبي الاكرم (ص) عندما قام بفعل لم يفعله بنفسه , بل فعله بالقدرة الالهية , وعلى هذا الاساس تصح كلتا النسبتين .

الاصل الثالث والخمسون : لاتنافي بين علم الله الازلي وحرية الانسان

نحن مع اعتقادنا باختيار الانسان , وحرية ارادته , نعتقد ان الله كان عالمابفعلنا من الاول , ولا منافاة بين العقيدتين , فان على الذين لا يمكنهم الجمع بين هذين الاعتقادين ان يعلموا بان علم الله الازلي تعلق بصدورالفعل من الانسان على نحو الاختيار, ومن الطبيعي ان لا يتنافى مثل هذاالعلم مع حرية الانسان وكونه مختارا.
وبعبارة اخرى , ان العلم الالهي كما تعلق باصل صدور الفعل من الانسان تعلق كذلك بكيفية صدور الفعل عنه (وهو اختيار الانسان وانتخابه بنفسه).
ان مثل هذا العلم الازلي ليس فقط لا يتنافى مع اختيار الانسان بل يثبت ذلك , ويؤكده , لان الفعل اذا لم يصدر من اختيار الانسان لم يكن علم الله آنذاك كاشفا عن الواقع , لان كاشفية العلم انما تكون اذا تحققت على النحو الذي تعلق بالشي ومن الطبيعي ان العلم الالهي تعلق بصدورالفعل البشري على النحو الاختياري , يعني ان يقوم الانسان بهذا العمل بصورة حرة وباختياره وارادته , ففي هذه الصورة يجب ان يقع الفعل ويتحقق بهذه الخصوصية , لا على نحو الجبر والاضطرار.
من هذا البيان اتضح عدم تنافي ارادة الله الازلية مع اختيار الانسان , وكونه حرا في ارادته .

كليات في العقيدة

.4

الفصل الخامس

النبوة العامة

الادلة على ضرورة النبوة

الاصل الرابع والخمسون : بعث الرسل للهداية والارشاد

لقد اختار الله الحكيم رجالا صالحين لهداية البشر وارشادهم , وحملهم رسالته الى جميع افراد النوع الانساني , وهؤلا الرجال هم الانبياوالرسل الذين بواسطتهم جرى فيض الهداية من جانب الحق تعالى الى عباده .
وهذا الفيض المبارك بدا بالنزول من جانب الله منذ ان تهيا البشرللاستفادة منه والى عصر النبي الاكرم (ص).
ويجب ان نعلم بان دين كل نبي من الانبيا يعد بالنسبة الى عصره وامته اكمل دين , واتم شريعة , ولو ان هذا الفيض الرباني لم يستمر لمابلغ البشر الى حد الكمال .
وحيث ان خلق الانسان هو من فعل الله ((الحكيم)) فلا بد ان يكون له من هدف وغرض , ونظرا الى ان تركيب الكيان البشري - مضافا الى الغرائزالتي هي مشتركة بينه وبين الحيوان - ينطوي على العقل ايضا, لهذا لابدان يكون لخلقه غرض عقلائي , وهدف معقول .
ومن جانب آخر, فان عقل الانسان , وان كان مؤثرا ومفيدا في سلوكه طريق الكمال , الا انه غير كاف لذلك .
ولو اكتفي في هداية الانسان بالعقل وحده لما عرف الانسان طريق الكمال بشكل كامل قط, ونذكر للمثال مسالة الوقوف على قضايا المبداوالمعاد التي هي من اهم مسائل الفكر البشري , وقضاياه على مدارالتاريخ .
فان البشر يريد ان يعلم من اين جا؟ ولماذا جا؟ والى اين يذهب ؟ ولكن العقل لا يقدر وحده على اعطا الاجابات الصحيحة الكافية على كل هذه الاسئلة , ويشهد بذلك انه رغم كل ما احرزته البشرية المعاصرة من التقدم والرقي في ميادين العلم لا يزال قسم عظيم من البشرية وثنيين .
ان عجز العقل والعلم البشريين , وقصورهما لا ينحصر في مجال قضايا المبدا والمعاد, بل الانسان لم يتمكن من ان يختار الطريق الصحيح في كثير من مجالات الحياة ايضا.
ان اختلاف الرؤى والنظريات البشرية في قضايا الاقتصاد,والاخلاق , والعائلة , وغير ذلك من مناحي الحياة ومجالاتها, خير دليل على قصوره عن الادراك الصحيح لهذه المسائل , ولهذا ظهرت المدارس المتعارضة .
مع اخذ كل هذا بنظر الاعتبار يحكم العقل الصحيح بانه لابد بمقتضى الحكمة الالهية - من بعث وارسال قادة ربانيين , ومربين الهيين ,ليعلموا البشرية النهج الصحيح للحياة .
ان الذين يتصورون ان في مقدور ((الهدايات العقلية)) ان تحل محل ((الهدايات الالهية السماوية)) يجب ان يدركوا امرين :
1 - ان العقل والعلم البشريين قاصران عن المعرفة الكاملة بالانسان ,وبمسيره في صعيد الماضي والمستقبل , في حين يعلم خالق البشر بحكم كون كل صانع عارفا بمصنوعه - بالانسان , ومحيط بابعاده , واسراروجوده , احاطة كاملة .
2 - ان الانسان بمقتضى غريزة حب الذات المودعة في كيانه ,يحاول - علما او جهلا - ان يتابع منافعه الشخصية ويهتم بها, فيعجز - في تخطيطه وبرمجته - عن الخروج من دائرة منافعه الفردية او الجماعية بشكل كامل .
ولهذا من الطبيعي ان لا تتسم البرامج البشرية بالجامعية والشمولية الكاملة , ولكن برامج الانبيا والمرسلين لكونها من جانب الله العالم ,المحيط, الحق , المنزه , مبراة عن مثل هذه النقيصة .
وبملاحظة هاتين النقطتين يمكن القول - على وجه القطع واليقين -:بان البشر ليس في غنى قط عن الهدايات الالهية , وعن برامج الانبيا, لافي الماضي , ولا في المستقبل انما هو في حاجة مستمرة اليها.
القرآن واهداف النبوة .

الاصل الخامس والخمسون : الهدف من بعثة الانبيا تقوية الاسس التوحيدية

في الاصل السابق تعرفنا على الادلة التي تثبت من طريق العقل ضرورة النبوة , ووجوب ارسال الرسل الالهيين .
والان ندرس ضرورة ارسال الرسل في ضؤ اهدافها المذكورة في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة وان كانت النظرة القرآنية الى هذه المسالة هي نوع من التحليل العقلي في حقيقته .
ان القرآن يلخص اهداف بعثة الانبيا في الامور التالية :
1 - تقوية اسس التوحيد ومكافحة كل نوع من انواع الانحراف في هذا الصعيد, كما يقول القرآن :
(ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبواالطاغوت)116.
يقول الامام امير المؤمنين علي (ع) حول الهدف من بعث الانبيا:
((ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه , وليقروا به بعد اذ جحدوه , وليثبتوه بعد اذ انكروه))117.
2 - ايقاف الناس على المعارف والرسالات الالهية وعلى طريق التزكية والتهذيب كما يقول : (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) 2.
3 - اقامة القسط في المجتمع البشري , كما يقول : (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)118.
ومن المسلم ان اقامة القسط رهن معرفة الناس للعدالة في جميع الابعاد والمجالات , كما ويتوقف على ان يقوموا بتحقيق ذلك من طريق الحكومة الالهية .
4 - الفصل في الخصومات وحل الخلافات , كما يقول : (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) 4.

ومن البديهي ان اختلافات الناس لا تنحصر في مجال العقائد, بل تشمل شتى مجالات الحياة المتنوعة .
5 ـ اتمام الحجة على العباد كما يقول : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)119.
ومن المسلم ان لله تعالى في خلق الانسان هدفا وغرضا, وهذاالهدف انما يتحقق عن طريق تنظيم برنامج كامل لجميع شؤون البشر.
وهذا البرنامج يجب ان يصل الى البشرية , بحيث تتم حجة الله على الناس ولا يبقى عذر لاحد ليقول : انا لم اعرف البرنامج الصحيح للحياة .

طرق معرفة الانبيا

الاصل السادس والخمسون

ان فطرة البشر تقضي بان لا يقبل الانسان اي ادعا من غير دليل ,ومن قبل شيئا او زعما من دون دليل , فانه يكون قد خالف فطرته الانسانية .
ان ادعا النبوة اعظم ادعا يمكن ان يطرحه فرد من افراد البشر,ومن البديهي ان زعما وادعا في مثل هذه العظمة يجب ان يستند الى برهان قاطع , ويقرن بالدليل الساطع .
ويمكن ان تكون الادلة في هذا المجال احد امور ثلاثة :
الف : ان يصرح النبي السابق الذي ثبتت نبوته بالادلة القاطعة , على نبوة النبي اللاحق كما صرح السيد المسيح (ع) بنبوة النبي محمد خاتم الانبيا(ص) وبشر بمجيئه .
ب : ان تشهد القرائن والشواهد المختلفة على صدق دعواه .
وهذه الشواهد والقرائن يمكن تحصيلها من سيرته في حياته , وفي محتوى دعوته , ومن الشخصيات التي آمنت به , وانضوت تحت لوائه ,وكذا في طريقة دعوته , واسلوبه في العمل لنشر مبادئه , وتبليغها.

وهذه الطريقة هي التي يستفاد منها في المحاكم في العالم اليوم لتمييز الحق عن الباطل , والبري عن المجرم .
وقد استفاد كثيرون من هذه الطريقة ذاتها للتاكد من صدق رسول الله (ص), وصحة دعواه النبوة في صدر الاسلام .
ج : الاتيان بالمعجزة , يعني ان يقرن مدعي النبوة دعواه , بعمل خارق للعادة ويتحدى به الاخرين , ويكون ذلك العمل للخارق مطابقالدعواه .
ان الطريقين الاولين ليسا عامين في حين يكون الطريق الثالث عاما,وقد استفادت البشرية على طول التاريخ من هذا الطريق لمعرفة الانبياوالايمان بدعوتهم وكان الانبيا بدورهم يقرنون دعواهم للنبوة بذلك ,ويستفيدون من هذا الطريق (الثالث).

الاصل السابع والخمسون : العلاقة المنطقية بين دعوى النبوة والمعجزة

ان بين المعجزة وبين صدق دعوى النبوة علاقة منطقية , لانه اذا كان الاتي بالمعجزة صادقا في دعواه فان من الطبيعي ان يثبت مطلبه .
واذا كان كاذبا في دعواه النبوة ـ افتراضا ـ لم يكن لائقا بالله الحكيم الذي يهتم بهداية عباده ان يمكن الكاذب في ادعا النبوة من الاتيان بالمعجزة , لان الناس سيؤمنون به اذا راوا قدرته على الاتيان بالعمل الخارق للعادة , وسيعملون باقواله فيكون ذلك اضلالا للناس اذا كان المدعي للنبوة كاذبا, ولا شك ان هذا يتنافى مع عدل الله وحكمته .
وهذه من احدى فروع قاعدة الحسن والقبح العقليين التي تم بحثها سابقا.

الاصل الثامن والخمسون : الفرق بين المعجزة والكرامة

ان الاتيان بالعمل الخارق للعادة الذي يقترن مع دعوى النبوة , ويتفق مع الادعا, يسمى ((معجزة)).
واما اذا صدر العمل الخارق للعادة من عبد لله صالح لم يدع النبوة سمي ((كرامة)).
ومما يشهد بان عباد الله الصالحين من غير الانبيا قادرون ايضا على الاتيان بالاعمال الخارقة للعادة , نزول مائدة سماوية على السيدة مريم ام النبي السيد المسيح (ع) وانتقال عرش بلقيس ملكة سبا في سرعة خاطفة من اليمن الى فلسطين على يد فرد بارز من انصار النبي سليمان (آصف بن برخيا) وقد اخبر القرآن الكريم بكلا الحدثين اذ قال في شان مريم : (كلمادخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا)120.
وقال حول حادثة عرش بلقيس ايضا: (وقال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك)121.

الاصل التاسع والخمسون : الفرق بين المعجزة والسحر

ان الفرق بين المعجزة وبين غيرها من الاعمال الخارقة يتلخص في الامورالتالية :

الف : عدم التعلم في المعجزة :

فان الاتي بالمعجزة يقوم بالاتيان بالمعجزة من دون سبق تعلم , في حين يتم الاتيان بالاعمال الخارقة الاخرى نتيجة سلسلة من التعليمات والتمرينات .
فالنبي موسى (ع) بعد ان انقضت فترة شبابه ذهب الى مصر, وفي اثنا الطريق خوطب ان ياموسى الق عصاك فاذا العصا تتحول الى ثعبان عظيم , بحيث استوحش موسى لذلك 122.
وخوطب ان ادخل يدك في جيبك , ولما اخرجها فاذا هي تضيئ اضاة قوية , تخلب الابصار123.

ب : عدم امكان معارضة المعجزة :

فان المعجزة لكونها تنبع من قدرة الله المطلقة لا يمكن معارضتهاوالاتيان بمثلها قط, على حين يمكن معارضة السحر والشعوذة , وماشابههما مما يفعله المرتاضون بمثلها لكونها تنشا من قدرة البشرالمحدودة المتناهية .

ج : التحدي :

ان الاتي بالمعجزة يتحدى الاخرين بمعجزته اي يدعوهم الى معارضته ومقابلته بمثله , في حين لا يفعل السحرة والمرتاضون ذلك ,لامكان معارضتهم , ومقابلتهم بمثل ما ياتون به .

د : عدم المحدودية :

فـان مـعاجز الانبيا ليست محدودة بنوع او نوعين بل هي متنوعة بحيث لا يمكن الاشارة الى جامع مشترك بينها.
فمثلا اين القا العصا وانقلابه الى حية , وادخال اليد في الجيب واخراجها بيضا تنير؟.
وكذا اين هاتين المعجزتين واين انباع الما, واستخراجه من صخرة بضربة من عصا لا غير؟.
كـما واين هذه المعاجز الثلاث واين تجفيف البحر, وفتح ممرات يابسة عظيمة في قاعه بضربة من عصا على الحجر ايضا؟.
انـنا نقرا: ان عيسى (ع) صنع من الطين كهيئة الطير, ثم نفخ فيهاالروح فصارت طيورا حية باذن الله .
كما نقرا انه (ع) كان بالمسح بيده على وجوه العميان واجسادالمصابين بالبرص يمنحهم الشفا, بل ويحيي الموتى , وينبئ عما ادخره الناس في بيوتهم الى غير ذلك من المعاجز العديدة .
هـ : واسـاسـا ان الـذيـن ياتون بالمعجزة والكرامة يمتازون عن السحرة الذين ياتون بالخوارق من الاعمال من حيث الهدف وكذا من حيث النفسيات .
فـالـفريـق الاول يـهدفون الى غايات سامية , واغراض قيمة , بينمايهدف الفريق الثاني الى اهداف دنيوية .
ومن الطبيعي ان يختلف الفريقان على اساس ذلك في النفسيات .

الوحي والنبوة

الاصل الستون : صلة النبي بعالم الغيب

في الاصل السابق اوضحنا طرق التعرف على النبي الواقعي وتمييزه عن مدعي النبوة كذبا.
والان يجب ان ندرس طريق اتصال النبي بعالم الغيب ونعني ((الوحي)).
ان ((الـوحـي)) الـذي هـو اهم طريق من طرق اتصال الانبيا بعالم الغيب ليس ناشئا عن الغريزة او العقل بل هو علم خاص يفيض به الله تعالى على الانبيا خاصة , ليبلغوا الرسالات الالهية الى البشر.
ان القرآن يصف الوحي قائلا: (نزل به الروح الامين # على قلبك)124.
ان هـذه الايـة تـفـيـد ان مـعـرفـة الانبيا بالرسالات الالهية ليست نابعة وناشئة من استخدام اشيا كالحواس الظاهرية وما شابه ذلك , بل ينزل به ملك الوحي على قلب النبي .
وعلى هذا الاساس لا يمكن تحليل حقيقة الوحي المعقدة وتفسيرها بالمقاييس العادية .
وفـي الحقيقة ان نزول الوحي هو احد مظاهر الغيب التي يجب الايمان بها وان لم تتضح لنا حقيقة هذه الظاهرة كما يقول : (الذين يؤمنون بالغيب)125.

الاصل الواحد والستون : الوحي ليس وليد نبوغ الانبيا وتفكرهم الخاص

ان الـذيـن يريدون مقايسة كل شي , وتفسيرها بالمقاييس المادية والادوات الحسية , ويريدون صب الـحـقـائق الـغيبية في قوالب حسية يفسرون ظاهرة ((الوحي)) بصور مختلفة , جميعها باطلة في نظرنا, وفيماياتي نقد هذه التفسيرات والتحليلات في عدة نقاط:
الـف : ثـمـت فريق يعتبر الانبيا من نوابغ البشر, ويعتبرون الوحي حصيلة التفكير, ونتيجة لفعاليات حواسهم الباطنية .
ان حـقـيـقة ((الروح الامين)) في تصور هذا الفريق هي روح هؤلاالنوابغ الزكية , ونفوسهم الصافية النقية , وان الكتب السماوية كذلك ليست سوى افكارهم السامية وتصوراتهم الراقية .
ان هذا النوع من التفسير والتحليل لظاهرة الوحي ليس سوى الانبهار بالعلم التجريبي الجديد الذي يعتمد الاساليب الحسية ـ لا غير ـوسيلة لتفسير كل حقائق الوجود.
ان المشكلة الهامة في هذه النظرية هي منافاتها لما قاله الانبياوالرسل الالهيون .
فالانبيا والرسل يصرحون ويعلنون باستمرار بان ما اتوا به الى البشر ليس الا الوحي الالهي .
وعـلـى هذا الاساس يكون التفسير السالف للوحي مستلزما لتكذيب الانبيا, وهذا مما لا يليق بمقام الانبيا الرفيع ومنزلتهم المرموقة ,وصدقهم , وصلاحهم الذي اخبر بها التاريخ الثابت .
وبعبارة اخرى : ان المصلحين على نوعين :
مـصلحون ينسبون برامجهم الى الله , ومصلحون آخرون ينسبون برامجهم الى انفسهم , ويطرحونها على المجتمع على انها وليدة عقولهم , وافكارهم .
وقد تكون كلتا الطائفتين مخلصتين , تتسمان بالاخلاص والخير.
وعلى هذا لا يمكن عد هذين الصنفين من رجال الاصلاح صنفاواحدا.

ب : ثمت فريق آخر يعتبر الوحي ـ منطلقا من نفس الدافع الذي ذكرفي النظرية المتقدمة ـ نتيجة تجلي الحالات الروحية في النبي .
ان النبي ـ حسب زعم هذا الفريق ـ بسبب ايمانه القوي بالله , وفي ضوء عبادته الكثيرة لله يصل الى درجة يجد في ذاته طائفة من الحقائق العالية ويتصور ان هذه الحقائق افيضت والقيت اليه من عالم الغيب فيمالا يكون لما توصل اليه من الحقائق المذكورة من منشا سوى نفسه ذاته ليس الا.
ان اصحاب هذه النظرية يقولون : نحن لانشك مطلقا في صدق الانبيا بل نعتقد بانهم شاهدوا حقائق عالية , ولكن الكلام هو في منشاهذه الحقائق العالية .
فالانبيا يتصورون ان منشا هذه الحقائق هو عالم الغيب , الخارج عن هذا العالم المادي , اي ان هذه الحقائق قد القيت اليهم من ذلك العالم ,على حين يكون منشا ذلك انفسهم , لا غير.
ان هذه النظرية ليست كلاما جديدا بل هي في الحقيقة طرح مجددلاحدى النظريات التي كانت مطروحة في العهد الجاهلي حول الوحي ولكن في لباس جديد.
وحاصل هذه النظرية هو ان الوحي ما هو الا حصيلة تخيلات الانبيا, ورجوعهم الى بواطنهم وتعمقهم في نفوسهم , وانهم بسبب كثرة ا لتفكر في الله , وعبادته , والتفكر في اصلاح اممهم , واقوامهم تمثلت هذه الحقائق دفعة امام عيونهم , فظنوا انها القيت اليهم من عالم الغيب 126.
وهذا هو ـ بشكل من الاشكال وبنحوما ـ نفس تصور الجاهليين حول الوحي اذ قالوا: (اضغاث احلام)127.
ان القرآن الكريم رد على هذه النظرية بشدة واكد على ان النبي صدق في ادعائه رؤية ملك الوحي , فهو لم يخطا لا في قلبه ولا في بصره اذ يقول : (ما كذب الفؤاد مارای)128.
ويقول : (ما زاغ البصر وما طغى)3.
وهذا يعني ان النبي رای حقا (ملك الوحي) بعين الراس وبعين القلب , بعين الظاهر وبعين الباطن .

عصمة الانبيا

الاصل الثاني والستون : مراتب عصمة الانبيا

العصمة تعني المصونية ولها في باب النبوة مراتب هي :
الف : العصمة في مرحلة تلقي الوحي وابلاغه .
ب : العصمة عن المعصية والذنب .
ج : العصمة عن الخطا في الامور الفردية والاجتماعية .
وعصمة الانبيا في المرحلة الاولى موضع اتفاق الجميع , لان احتمال الخطا والالتباس في هذه المرحلة يؤثر على وثوق الناس ,واطمئنانهم , ويوجب ان لا يعتمد الناس على اخبارات النبي واقواله ,فينتقض هدف النبوة في المل .
هذا مضافا الى ان القرآن الكريم يصرح بان الله يحفظ نبيه , ويصونه صيانة كاملة حتى يبلغ الوحي الالهي بصورة صحيحة كما قال : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا # الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا # ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شي عددا)129.
ففي هذه الاية ذكر القرآن الكريم نوعين من الحفظة لصيانة الوحي :
الف : الملائكة الذين يحيطون بالنبي من كل ناحية وجانب .
ب : ان الله تعالى نفسه يحيط بالملائكة والنبي .
وهذه النظارة الشديدة والمراقبة الكاملة انما هي لتحقيق غرض النبوة , وهو ايصال الوحي الالهي الى البشر.

الاصل الثالث والستون : عصمة الانبيا من كل معصية وذنب

ان انبيا الله ورسله معصومون من الذنب والزلل , في مجال العمل باحكام الشريعة , عصمة مطلقة .
لان الهدف من بعثة الانبيا انما يتحقق اساسا اذا تمتع الانبياوالرسل بمثل هذه العصمة , لانهم اذا لم يلتزموا بالاحكام الالهية التي كلفوا بابلاغها الى الناس , انتفى الوثوق بكلامهم , فلم يتحقق الغرض المنشود من بعثهم , وارسالهم .
ولقد اشار المحقق الطوسي الى هذا البرهان بعبارة موجزة حيث قال : ((ويجب في النبي العصمة ليحصل الوثوق فيحصل الغرض))130.
ان عصمة الانبيا عن المعصية امر قد اكده القرآن الكريم في آيات مختلفة نورد هنا بعضها:
الف : ان القرآن الكريم يعتبر الانبيا اشخاصا مهديين ومختارين من قبل الله تعالى اذ قال :
(واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم)131.
ب : ان القرآن الكريم يذكر بان الذي يهديه الله لا يقدر احد على اضلاله اذ يقول : (ومن يهد الله فما له من مضل)132.

ج : يعتبر المعصية ضلالا اذ يقول : (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا)133.
فيستفاد من مجموعة هذه الايات ان الانبيا معصومون من كل انواع الضلال , ومصونون من كل الوان المعصية .
ان البرهان العقلي الذي اقمناه فيما سبق على عصمة الانبيا يدل على عصمتهم قبل البعثة ايضا, لان الانسان الذي صرف ردحا من عمره في الذنب والمعصية , ثم حمل لوا الهداية والارشاد لم يتمكن من الحصول على ثقة الناس به , وسكونهم الى اقواله , بخلاف من عاش قبل بعثته نقي الجيب , طاهر الذيل , فانه قادر على جلب ثقة الناس , وكسب تاييدهم له .
هذا مضافا الى ان في مقدور معارضي الرسالة , ان يغتالوا بسهولة شخصية الرسول , ويطعنوا فيه بالتلويح بسوابقه قبل النبوة , ويحطوا- بذلك - من شانه , وشان رسالته .
ان الذي استطاع - بفضل - العيش بطهر ونقا, في بيئة فاسدة ان يكتسب لقب ((محمد الامين)) هو الشخص الوحيد الذي يستطيع بشخصيته الساطعة النقية , ان يبدد حجب الدعايات المضادة , ويفند مزاعم اعدائه ,ومعارضي رسالته , ويضي باستقامته العجيبة , البيئة الجاهلية المظلمة تدريجا.
هذا مضافا الى ان من البديهي ان الانسان الذي كان معصوما من بداية حياته , افضل من الذي تحلى بصفة العصمة منذ ان صار نبيا, كما ان تاثيره , ودوره الارشادي لا ريب يكون اقوى , والحكمة الالهية تقتضي اختيار الفرد الاحسن الاكمل .

الاصل الرابع والستون : عصمة الانبيا عن الخطا والزلل

ان الانبيا - مضافا الى كونهم معصومين من الذنب - معصومون كذلك في الامور التالية :
الف : في القضا في المنازعات والفصل في الخصومات .
والنبي (ص) وان كان مامورا بالقضا على وفق البينة واليمين , لكنه في صورة خطا البينة او كذب الحالف واقف على الحق المر, وان لم يكن مامورا بالقضا على طبقه .
ب : في تشخيص موضوعات الاحكام الشرعية (مثل ان المائع الفلاني هل هو خمر ام لا؟).
ج : في القضايا اليومية العادية .
ان لزوم وصف النبي بالعصمة في الموارد المذكورة نابع من ان الخطا في مثل هذه المجالات ملازم للخطا في مجال الاحكام الدينية ,وبالتالي فان الخطا في هذه الامور والمجالات يضر بثقة الناس بشخص النبي , ويوجب في المل تعرض الغرض المنشود للخطر, وان كان لزوم العصمة في الصورتين الاوليين , اوضح من العصمة في الصورة الاخيرة .

الاصل الخامس والستون : الانبيا مبراون عن الامراض المنفرة

ان من مراتب العصمة هي ان لا تكون في وجود الانبيا امور توجب تنفرالناس وابتعادهم عنهم .
فكلنا يعلم بان بعض الامراض والعاهات الجسمية , او بعض الخصال الروحية , التي تنم عن دناة الطبع , وخسة النفس توجب تنفرالناس وابتعادهم عنه .
ولهذا فان على الانبيا ان يكونوا منزهين عن العيوب الجسمية والروحية , لان تنفر الناس من النبي , واجتنابهم عنه ينافي الهدف من بعثهم , وهو ابلاغ الرسالات الالهية بواسطة الانبيا الى الناس .
كما اننا نذكر بان المراد من حكم العقل في هذا المجال هو الكشف عن حقيقة , هي ان على الله - لكونه حكيما - ان يختار للنبوة من يكون عاريا ومنزها عن مثل هذه العيوب 134.

الاصل السادس والستون : دراسة الايات الدالة على عدم العصمة

لقد عرفنا بحكم العقل القطعي , وقضا القرآن الصريح عصمة الانبيا,ولكن ثمة في هذا الصعيد بضع آيات تحكي - في بدو النظر - عن صدورالذنب والمعصية عنهم (مثل الايات الواردة حول النبي آدم وغيره) فماهو الحل في هذه الايات ؟.
في البداية يجب ان نقول : ان من المسلم انه حيث لا تناقض في القرآن الكريم ابدا, وجب ان نهتدي في ضوء القرائن الموجودة في نفس الايات الى المراد الحقيقي فيها.
ففي هذه الموارد لا يمكن ان يكون الظهور الابتدائي هو الملاك للحكم المتسرع .
ومن حسن الحظ ان كبار مفسري الشيعة ومتكلميهم قاموا بدراسة هذه الايات القرآنية , بل واقدم بعضهم على تاليف كتب مستقلة في هذاالمجال .
وحيث ان معالجة هذه الايات واحدة واحدة لا تحتملها هذه الرسالة فاننا نحيل القرا الكرام الى الكتب المذكورة في الهامش 135.

الاصل السابع والستون : منشا العصمة وسببها

يمكن ان نلخص منشا العصمة وسببها في امرين :
الف : ان الانبيا حيث انهم يتمتعون بمعرفة واسعة بالله سبحانه , لايستبدلون رضاه تعالى بشي مطلقا.
وبعبارة اخرى , ان ادراكهم العميق للعظمة الالهية وللجمال والكمال الالهيين يمنعهم من التوجه الى اي شي غير الحق تعالى ,والتفكير في اي شي غير الله سبحانه .
ان هذه المرتبة والدرجة من المعرفة هي التي قال عنها الامام اميرالمؤمنين علي بن ابي طالب (ع): ((ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله , وبعده ومعه))136.
وقال عنها الامام الصادق (ع): ((ولكني اعبده حبا له فتلك عبادة الكرام))137.
ب : ان اطلاع الانبيا الكامل على نتائج الطاعة وثمارها, وعلى آثارالمعصية وتبعاتها السيئة , هو سبب صيانتهم عن مخالفة الامر الالهي .
على ان العصمة المطلقة مختصة بثلة خاصة من اوليا الله , الا ان في امكان بعض المؤمنين الاتقيا ان يكونوا معصومين عن ارتكاب المعصية في قسم عظيم من افعالهم , فالفرد المتقي مثلا, لا يقدم على الانتحار, او قتل الابريا ابدا138.
بل وحتى بعض الاشخاص العاديين يتمتعون بالعصمة عن بعض الذنوب , وللمثال لا يقدم اي شخص على لمس سلك كهربائي فعال تجنبا من الصعق بالتيار الكهربائي .
ومن البين ان العصمة في هذه الموارد ناشئ من العلم القطعي بثارعمله السيئة , فاذا كان مثل هذا العلم حاصلا للشخص في مجال تبعات الذنوب الخطيرة جدا ايضا, كان ذلك موجبا حتما لصيانة الشخص عن المعصية .

الاصل الثامن والستون : لاتنافي بين العصمة والاختيار

نظرا لمنشا العصمة نذكر بان العصمة لا تنافي اختيار المعصوم , وكونه حرا في ارادته , بل ان الشخص المعصوم مع معرفته الكاملة بالله , وبثارالطاعة والمعصية ونتائجهما, يمكنه ان يرتكب المعصية وان لم يستخدم هذه القدرة , مثل الوالد الحنون الذي يقدر على قتل ابنه , ولكنه لا يفعل ذلك ابدا.
واوضح من ذلك هو عدم صدور القبيح من الله تعالى , فان الله القادرالمطلق يمكنه ان يدخل الصالحين المطيعين في جهنم , او يدخل العاصين في الجنة , الا ان عدله وحكمته يمنعان من القيام بمثل هذاالعمل .
ومن هذا البيان يتضح ان ترك المعصية والتزام الطاعة , والعبادة ,يعتبران مفخرة كبرى للانبيا, لانهم مع كونهم قادرين على ترك الطاعة ,وفعل المعصية , لا يفعلون ذلك اختيارا, وبارادة منهم .

الاصل التاسع والستون : العصمة لاتلازم النبوة

نحن مع اعتقادنا بعصمة جميع الانبيا لا نرى ان العصمة تلازم النبوة ,اي اننا لا نرى ان كل معصوم هو نبي بالضرورة , وان كان كل نبي معصومابالضرورة , فرب انسان معصوم ولكنه ليس بنبي , فها هو القرآن الكريم يقول حول السيدة مريم : (يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساالعالمين)139.
ان استخدام القرآن الكريم للفظة ((الاصطفا)) في شان السيدة مريم (ع) يدل على عصمتها لان نفس هذه اللفظة ((الاصطفا)) استخدمت في شان الانبيا سلام الله عليهم ايضا: (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين)140.
هذا مضافا الى ان الاية قد تحدثت حول طهارة السيدة مريم (ع),والمقصود هو طهارتها من اي نوع من انواع الرجس , والمعصية , وليست هذه الطهارة والبراة هو براتها من الذنب الذي رمتها اليهود به في مجال ولادة عيسى منها من دون والد, لان تبرئة مريم من هذه المعصية ثبتت في الايام الاولى لولادة عيسى (ع) بتكلمه141 , فلم تعد حاجة الى بيان ذلك مجددا.
اضف الى ذلك ان الاية تتحدث عن مريم قبل ان تحمل بالمسيح ,حيث جا حديث حملها له عبر هذه الاية فلاحظ.

كليات في العقيدة

5.الفصل السادس

النبوة الخاصة

الاصل السبعون : طرق اثبات النبوة الخاصة

تحدثنا في الفصل السابق حول النبوة بصورة عامة , وفي هذا الفصل نتحدث حول نبوة رسول الاسلام ((محمد بن عبد الله))(ص) خاصة , وقبل ذلك نذكر بان النبوة يمكن ان تثبت لشخص بثلاثة طرق :
الف : الاتيان بالمعجزة مقرونا بادعا النبوة .
ب : جمع القرائن والشواهد التي تشهد بصدق دعواه .
ج : تصديق النبي السابق .
ان نبوة رسول الاسلام (ص) يمكن ان تثبت بجميع الطرق الثلاثة المذكورة , وها نحن نذكرها بصورة مختصرة :

القرآن او المعجزة الخالدة

ان التاريخ القاطع الثابت يشهد بان رسول الاسلام (ص) قرن دعوته بالاتيان بمعاجز عديدة مختلفة , الا انه (ص) كان يؤكد - من بين هذه المعاجز- على واحدة منها, وهي في الحقيقة معجزته الخالدة , الا وهي ((القرآن الكريم)).
فان نبي الاسلام اعلن عن نبوته ورسالته بالاتيان بهذا الكتاب السماوي ,وتحدى الناس به , ودعاهم الى الاتيان بمثله ان استطاعوا, ولكن لم يستطع احد - رغم هذا التحدي القرآني القاطع - ان ياتي بمثله في عصرالنبوة .
واليوم وبعد مرور القرون العديدة لا يزال القرآن يتحدى الجميع ويقول : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا)142.
وفي موضع آخر يقول - وهو يقنع باقل من ذلك - : (قل فاتوا بعشر سورمثله مفتريات)143, (فاتوا بسورة من مثله)144.
اننا نعلم ان اعدا الاسلام لم يالوا جهدا طيلة (15) قرنا من بدظهور الاسلام من توجيه الضربات اليه , ولم يفتروا عن محاولة الحاق الضرر بهذا الدين , والكيد له بمختلف الوان الكيد, وحتى انهم استخدموا سلاح اتهام رسول الاسلام بالسحر, والجنون , وما شابه ذلك ,ولكنهم لم يستطيعوا قط مقابلة القرآن الكريم , ومعارضته فقد عجزوا عن الاتيان حتى بية قصيرة مثل آياته .
والعالم اليوم مجهز كذلك بكل انواع الافكار والالات , ولكنه عاجز عن مجابهة هذا التحدي القرآني القاطع , وهذا هو دليل على ان القرآن الكريم فوق كلام البشر.

الاصل الواحد والسبعون : الاعجاز الادبي للقرآن

كانت لرسول الله (ص) معاجز مختلفة ومتعددة دونت في كتب التاريخ والحديث , ولكن المعجزة الخالدة التي تتلالا من بين تلك المعاجز في جميع العصور والدهور هو القرآن الكريم , والسر في اختصاص رسول الاسلام (ص), بمثل هذه المعجزة من بين جميع الانبيا, هو ان دينه دين خاتم , وشريعته شريعة خاتمة وخالدة , والدين الخالد والشريعة الخاتمة بحاجة الى معجزة خالدة لتكون برهان الرسالة القاطع لكل عصر وجيل ,ولتستطيع البشرية في جميع القرون والدهور ان ترجع اليه مباشرة من دون حاجة الى شهادات الاخرين واقوالهم .
ان القرآن الكريم يتسم بصفة الاعجاز من عدة جهات , يحتاج البحث فيها بتفصيل , الى مجال واسع لا يناسب نطاق هذه الرسالة , ولكننانشير اليها على نحو الايجاز:
في عصر نزول القرآن الكريم كان اول ما سحر عيون العرب , وحيرارباب البلاغة والفصاحة منهم جمال كلمات القرآن , وعجيب تركيبه ,وتفوق بيانه , الذي يعبر عن ذلك كله بالفصاحة والبلاغة .
ان هذه الخصوصية كانت بارزة ومشهودة للعرب يومذاك بصورة كاملة , ومن هنا كان رسول الله (ص) - بتلاوة آيات الكتاب , مرة بعد اخرى ,وبدعوته المكررة الى مقابلته والاتيان بمثله ان استطاعوا - يدفع عمالقة اللغة والادب , وابطال الشعر ورواده , الى الخضوع امام القرآن ,والرضوخ لعظمة الاسلام , والاعتراف بكون الكلام القرآني فوق كلام البشر.
فها هو ((الوليد بن المغيرة)) احد كبار الشعرا والبلغا في قريش يقول - بعد ان سمع آيات من القرآن الكريم تلاها عليه رسول الاسلام ,وطلب منه ان يبدي رايه فيها- : ((ووالله ان لقوله الذي يقول لحلاوة , وان عليه لطلاوة , وانه لمثمر اعلاه , مغدق اسفله , وانه ليعلو وما يعلى))145.
وليس ((الوليد بن المغيرة)) هو الشخص الوحيد الذي يحني راسه اجلالا لجمال القرآن الظاهري , ولجلاله المعنوي , بل ثمة بلغا غيره من العرب مثل : ((عتبة بن ربيعة)) و ((الطفيل بن عمرو)) ابدوا كذلك عجزهم تجاه القرآن , واعترفوا باعجاز القرآن الادبي .
على ان العرب الجاهليين نظرا لتدني مستوى ثقافتهم لم يدركوا من القرآن الكريم الا هذا الجانب , ولكن عندما اشرقت شمس الاسلام على ربع الكرة الارضية , وعرفت به جماعات بشرية اخرى اندفع المفكرون الى التدبر في آيات هذا الكتاب العظيم , ووقفوا مضافا الى فصاحته وبلاغته , وجمال اسلوبه , وتعبيره , على جوانب اخرى من القرآن الكريم

والتي يكون كل واحدة منها بصورة مستقلة خير شاهد على انتمائه الى العالم القدسي , ونشاته من المبدا الاعلى للكون . وهكذا تنكشف في كل عصر جوانب غير متناهية لهذا الكتاب العظيم .

الاصل الثاني والسبعون : المجالات الاخرى للاعجاز القرآني

لقد بينا في الاصل السابق اعجاز القرآن من الناحية الادبية , باختصار,والان نريد ان نستعرض المجالات الاخرى للاعجاز القرآني بصورة مختصرة .
اذا كان الاعجاز القرآني من الناحية الادبية قابلا للدرك والفهم عندطائفة خاصة لها المام كاف بالادب العربي , فان الجوانب الاخرى من الاعجاز القرآني ولحسن الحظ مفهومة لاخرين .
الف : ان الاتي بالقرآن الكريم كان شخصا اميا لم يدرس , ولم يتلق تعليما قبل النبوة , فلا هو دخل مدرسة او كتابا, ولا هو تلمذ على احد,او قرا كتابا كما قال : (ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون)146.
ان نبي الاسلام (ص) تلا هذه الاية على قوم كانوا يعرفون حياته وتفاصيلها,تمام المعرفة , فاذا كان له سابقة تحصيل وتعلم لكذبوا ادعاه هذا.
واما اتهام البعض اياه بانه (يعلمه بشر)147 فهي تهمة لا اساس لهامثل سائر التهم الاخرى , كما يقول : (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذالسان عربي مبين)148.
ب : لقد تلي القرآن الكريم على الناس طيلة ثلاث وعشرين سنة وفي ظروف مختلفة (في الصلح والحرب , في السفر والحضر , و)بواسطة رسول الله (ص), وتقتضي طبيعة هذا النمط من التحدث والتكلم ان يقع في كلام المتكلم نوع من الاختلاف والتعددية في الاسلوب والخصوصيات البيانية فلطالما يقع المؤلفون الذين يؤلفون كتبهم في ظروف عادية متماثلة ـ رغم مراعاة قواعد التاليف والكتابة , واصولها ـ في الاختلاف والاضطراب في الكلام , فكيف بالذي يلقي كلاما بالتدريج ,وفي اوضاع متباينة واحوال مختلفة تتراوح بين الشدة والرخا, والحزن والفرح , والقتال والسلام , والامن والخطر؟ ان الملفت للنظر هو ان رسول الاسلام (ص) تحدث حول موضوعات مختلفة ومتنوعة , بدا بالالهيات ومرورا بالتاريخ , والتشريع , والاخلاق ,والطبيعة , والانسان , وانتها بالحياة الاخرى , وفي نفس الوقت تمتع كلامه هذا من بدئه الى ختمه باعلى نوع من الانسجام , والتناغم , من حيث الاسلوب , والمحتوى .
يقول القرآن نفسه عن هذا الجانب من الاعجاز: (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)149.
ج : ان القرآن الكريم جعل الفطرة الانسانية الثابتة نصب عينيه وشرع على اساسها قانونه , فكانت نتيجة هذه الرؤية الاساسية ان اخذ في نظرالاعتبار جميع ابعاد الروح والحياة الانسانية , وذكر بالاصول والاسس الكلية التي لا تقبل الزوال والاندثار.
فمن خصائص القوانين الاسلامية الكلية هو ان هذه القوانين قابلة للتطبيق في جميع الظروف المختلفة والبيئات المتنوعة ويوم كان المسلمون يسيطرون على مساحة جد كبيرة من العالم , كانوا يديرون المجتمعات البشرية قرونا عديدة في ظل هذه القوانين والتشريعات بقوة , ونجاح .
يقول الامام محمد الباقر(ع): ((ان الله لم يدع شيئا تحتاج اليه الامة الا انزله في كتابه , وبينه لرسوله وجعل لكل شي حدا, وجعل عليه دليلا))150.

الاصل الثالث والسبعون : الاعجاز القرآني في مجال اسرار الكون واخبار المستقبل

د : ان القرآن الكريم بين في آيات مختلفة ومتعددة وفي مناسبات متنوعة اسرار عالم الخلق التي لم يكن لدى البشر اي علم , ولا المام بها.
ولا شك ان الكشف عن هذه الاسرار لشخص لم يتلق تعليما, ولم يدرس , وذلك في مجتمع جاهلي لا يعرف شيئا اصلا, لا يمكن الا عن طريق الوحي .
ان الكشف عن قانون الجاذبية الذي يفسر على اساسه قيام صرح الكون يعد من مفاخر العلم الحديث .
ولقد كشف القرآن الكريم القناع عن هذا القانون في عبارة قصيرة اذقال : (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها)151.
ان الكشف عن قانون الزوجية العامة هو الاخر يعد من مكتسبات العلم الحديث , وقد تحدث عنه القرآن الكريم في عصر لم يكن البشريعرف عنه اي شي مطلقا اذ قال : (ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)152.
هذا وثمت نماذج اخرى في هذا المجال جا ذكرها في كتب التفسير والعقيدة , او دوائر المعارف .
هـ : ان القرآن الكريم اخبر عن طائفة من الحوادث والوقائع المستقبلية اخبارا قطعيا, وقد وقعت تلك الوقائع والحوادث فيما بعد بصورة دقيقة ,ولهذا النمط من الاخبارات نماذج عديدة , وكثيرة الا اننا نشير الى واحدة منها هنا على سبيل المثال :

يوم غلب الساسانيون عباد النار على الروم الموحدين تفال المشركون العرب بهذا الحدث وقالوا سننتصر نحن على موحدي الجزيرة العربية (المسلمين) ايضا, وعند ذاك اخبر القرآن الكريم بانتصارالروم على الفرس :
(غلبت الروم # في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون # في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون)153.
ولم تمض بضع سنوات الا وتحققت النبوءة المذكورة , وانتصر كلاالفريقين المؤمنين (الروم المسيحيون ومسلمو الجزيرة العربية) على اعدائهم (الساسانيين ومشركي قريش).
ولهذه الناحية تحدث القرآن في ذيل الاية عن سرور المؤمنين اذقال : (يومئذ يفرح المؤمنون).
لان كلا الانتصارين حدثا في وقت واحد.
و : ان القرآن الكريم تحدث عن حياة الانبيا واممهم السابقة في سور مختلفة بتعابير مختلفة .
ان هذه الوقائع وردت كذلك في كتاب العهدين (التوراة والانجيل)ايضا, ولكن اذا ما قيست تلك مع ما ورد في القرآن الكريم اتضح ان القرآن الكريم من الوحي الالهي برمته , وان ما جا في العهدين لم يسلم من تحريف المحرفين .
ففي رواية القرآن لقصص الانبيا لا يوجد اي موضوع يخالف العقل , والفطرة , ولا يناسب مقام الانبيا, في حين تزخر الروايات والقصص الموجودة في كتاب العهدين بهذه العيوب والنواقص .
وفي هذا الصعيد يكفي اجرا مقارنة بين القرآن والعهدين في قصة آدم .

الاصل الرابع والسبعون :القرائن والشواهد على نبوة النبي (ص)

ان جمع القرائن والشواهد ـ كما اسلفنا ـ يمكن ان تكون من الطرق الكفيلة باثبات صدق دعوى الانبيا, وها نحن نشير باختصار الى القرائن الدالة على صحة دعوى النبي الاكرم (ص):

الف : النبي الاكرم وسوابقه المشرقة :

كانت قريش تسمي رسول الله (ص) قبل ابتعاثه بالرسالة ((محمدالامين)) وتودع عنده اماناتها الثمينة , وتستامنه على اشيائها القيمة .
وعندما حصل خلاف بين اربعة قبائل في وضع ((الحجر الاسود))في موضعه بعد تجديد بنا الكعبة , رضي الجميع بان يقوم عزيز قريش اي رسول الله (ص) بهذه المهمة لكونه رجلا صادقا امينا 154.

ب : النقا من تلوث البيئة الاجتماعية :

لقد نشا رسول الله (ص) وترعرع في بيئة لم يكن فيها الا الخمروالميسر وواد البنات , واقبارهن احيا, و الا اكل المميتة والظلم والغارة ,ومع ذلك ورغم نشوئه وترعرعه في مثل هذه البيئة , كان انسانا نقي الجيب , طاهر السلوك , لم يوصف باي شي من الصفات الرذيلة , ومن دون ان يتلوث باية لوثة عقيدية , وفكرية .

ج : محتوى الدعوة الاسلامية :

عندما نلقي نظرة فاحصة على محتوى دعوة النبي الاكرم محمد(ص)نراها تدعو الناس بالضبط الى مخالفة كل ما كان رائجا في تلك البيئة ,ورفضه رفضا مطلقا.
انهم كانوا يعبدون الاوثان وقد دعاهم الى التوحيد, ورفض الاوثان .
انهم كانوا ينكرون المعاد, وقد دعاهم الى الايمان به , واعتبره شرطامن شروط الاسلام .
وكانوا يئدون البنات ويقبرونهن وهن احيا, ولم يكن للمراة اية قيمة , ولكنه اعاد اليها كرامتها الانسانية , ومنزلتها اللائقة بها, كافضل مايكون .

د : ادوات الدعوة ووسائلها:

ان الادوات والوسائل التي استخدمها النبي , لنشر دعوته , واستعان بها لنشر دينه , كانت انسانية واخلاقية تماما.
فهو (ص) لم يستخدم ابدا الاساليب اللا انسانية كقطع الما على خصومه , او تسميمه وتلويثه , او قطع الاشجار وما شابه ذلك من الاساليب اللا انسانية155 .
بل واوصى بان لا يلحق الاذى بالنسا والاطفال والعجائز وكبارالسن , وان لا تقطع الاشجار, وان لا يشرع في قتال العدو قبل الدعوة الى الاسلام واتمام الحجة عليه .

ان الاسلام يرفض رفضا قاطعا المنطق المكيافيلي القائل : ((بان الغاية تبرر الوسيلة)) وكمثال رفض اقتراح احد اليهود لاخضاع العدو في وقعة خيبر عن طريق القا السم في الما.
ان حياة رسول الاسلام (ص) زاخرة بقصص التعامل الانساني النبيل مع الاعدا.

ه : شخصية المؤمنين به وخصالهم :

ان دراسة افكار المؤمنين بالنبي , والمنضوين تحت لوائه ,واحوالهم وشخصياتهم يمكن ان توضح مدى صدقه وصحة دعواه .
فان من البديهي ان الدعوة اذا تاثر بها الشخصيات المتميزة في المجتمع فانضووا تحت رايتها, واعتنقوها بصدق واخلاص , كان ذلك آية صدقها وصحتها ودليلا على حقانيتها, وواقعيتها.
ولكن اذا التف حوله طلاب الدنيا, وعباد المال والشهوة , كان ذلك دليلا على ضعف ادعائه .
لقد كان بين المنضوين تحت لوا رسول الاسلام شخصيات عظيمة في غاية النبل والفضيلة كالامام علي (ع)وكسلمان , وعمار, وبلال ,ومصعب , وابن مسعود, والمقداد, وابي ذر وغيرهم ممن شهد لهم التاريخ بالطهر والصفا, وسمو الشخصية , ونزاهة الاخلاق .

و : التاثير الايجابي في البيئة الاجتماعية , وتاسيس حضارة عظيمة :

ان رسول الاسلام استطاع في مدة لا تتجاوز ثلاثا وعشرين سنة ان يغير وضع الجزيرة العربية تغييرا جوهريا.
لقد استطاع ان يصنع من قطاع طرق , وسلا بين , اشخاصا امنا, ومن عباد اوثان واصنام , موحدين بارزين , لم يصنعوا حضارة عظيمة في محل سكونتهم فقط بل مدوا حضارتهم الاسلامية الرائعة الفريدة , الى مناطق اخرى من العالم , كذلك .
فها هو جعفر بن ابي طالب (ع) من مسلمي صدر الاسلام يؤكد على هذه النقطة عندما قال في معرض الاجابة على سؤال النجاشي الذي ساله عن احوال النبي الكريم (ص):
((ايها الملك , ان الله بعث الينا رسولا منا فدعانا الى الله لنوحده ونعبده , ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه , من الحجارة والاوثان ,وامرنا بصدق الحديث وامرنا بالصلاة , والزكاة وصلة الرحم , وحسن الجوار, ونهانا عن الفواحش , وقول الزور))156.
ان هذه القرائن , ونظائرها, يمكن ان تقودنا الى صدق قول رسول الاسلام وحقانية هدفه .
ان من المحتم ان رجلا بهذه الخصوصيات لا يرتكب الكذب ابدا,وفي النتيجة يجب ان يقال : انه كان صادقا في ادعائه النبوة , وارتباطه بعالم الغيب كما تؤيد القرائن الاخرى بالذات هذا الموضوع ايضا.

الاصل الخامس والسبعون : تصديق النبي السابق

ان تصديق النبي السابق للنبي اللاحق هو احد الطرق لاثبات دعوى النبوة وذلك لان الفرض هو ان نبوة النبي السابق قد ثبتت بالادلة القاطعة ,ولهذا من الطبيعي ان يكون كلامه سندا قاطعا للنبوة اللاحقة , ويستفاد من بعض الايات القرآنية ان اهل الكتاب كانوا يعرفون رسول الاسلام كمايعرفون ابناهم , يعني انهم قراوا علائم نبوته في كتبهم السماوية , وقدادعى رسول الاسلام هذا الامر, ولم يكذبه احد منهم ايضا, كما يقول :

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)157.
ان رسول الاسلام ادعى ان السيد المسيح عيسى ابن مريم (ع) بشربه , وانه ياتي من بعده نبي اسمه ((احمد)):
(ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد)158.
كما وان من الطريف ان نعلم ان الانجيل رغم تعرضه للتحريف منذ قرون قد جا في احدى نسخه وهو انجيل يوحنا (الاصحاح 14,15, 16) تنبؤ بمجي شخص بعد السيد المسيح يدعى ((فارقليطا)) (اي محمد - بالسريانية) يمكن للمحققين الرجوع الى ذلك , للوقوف على الحقيقة 159.

الاصل السادس والسبعون : معاجز اخرى للرسول (ص) غير القرآن

ان معاجز رسول الاسلام (ص) - كما اسلفنا - لا تنحصر في القرآن الكريم ,بل انه (ص) كان ربما قام باتيان بعض المعجزات في مناسبات مختلفة بهدف اقناع الناس .
وفي هذا الصعيد يجب التذكير بان ثمت محاسبة عقلية تثبت اساسا وجود معاجز لرسول الاسلام عدا القرآن الكريم .
فالنبي الاكرم (ص) تحدث عن (9) معاجز للنبي موسى (ع)160 وعن (5)معاجز للنبي عيسى (ع) كذلك 161.
فهل يمكن ان نقبل بان يكون رسول الاسلام اعلى وافضل من الانبيا السابقين , وخاتمهم , وانه اثبت معاجز عديدة للانبياالسابقين ,ومع ذلك لا تكون له الا معجزة واحدة ؟ترى اما كان الناس - وهم يسمعون بصدور كل تلك المعجزات عن الانبيا السابقين - يتمنون صدور معاجز مختلفة ومتنوعة على يد رسول الله (ص), ولا يكتفون برؤية معجزة واحدة فقط؟؟ وكيف لا تكون لرسول الله (ص) معاجز سوى ((القرآن الكريم)) وهذاهو القرآن نفسه يثبت صدور معاجز متعددة على يد رسول الله (ص) نشيراليها فيما ياتي :

الف : شق القمر:

عندما اشترط المشركون ايمانهم برسول الله ودعوته بشق القمرنصفين , قام النبي (ص) بذلك باذن الله تعالى , كما يقول القرآن الكريم :
(اقتربت الساعة وانشق القمر # وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرمستمر)162.
ان ذيل هذه الاية شاهد واضح على ان المقصود من الاية ليس هوانشقاق القمر في يوم القيامة بل يرتبط بعصر النبي الاكرم (ص).

ب : المعراج :

ان عروج رسول الله (ص) في ليلة واحدة من المسجد الحرام في مكة المكرمة الى المسجد الاقصى في فلسطين , ومنه الى السما, وقد تمت هذه الرحلة الفضائية العظيمة في مدة قصيرة جدا, يعتبر هو الاخر من معاجز رسول الاسلام التي ذكرت في القرآن الكريم 163.
على ان قدرة الله اقوى واسمى من ان تحول العوامل المادية والطبيعية دون تحقق معراج نبيه الكريم الى العالم الاعلى , ووقوعه .

ج : مباهلته مع اهل الكتاب :

لقد قام رسول الاسلام - بهدف - اثبات حقانيته , وصدق دعوته بدعوة طائفة من اهل الكتاب الى ((المباهلة)) وقال :
(فمن حاجك فيه من بعد ماجاك من العلم فقل تعالوا ندع ابنانا وابناكم ونسانا ونساكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين)164.
ومن المسلم ان المباهلة تنتهي بفنا احد الفريقين المتباهلين ,ولكن النبي مع ذلك اعلن عن استعداده لذلك , فكانت النتيجة ان اهل الكتاب لما شاهدوا قاطعية النبي , وثباته العجيب , وكيف انه اتى باعزاقربائه الى ساحة ((المباهلة)) من غير خوف او تهيب , انسحبوا, وقبلواشرائط النبي (ص).
ولقد قلنا عند الحديث عن الاخبار بالغيب ان السيد المسيح (ع)كان يخبر عن الغيب 165 وقد اخبر النبي الاكرم محمد(ص) عن الغيب عن طريق الوحي كذلك , ومن اخباراته : الاخبار بغلبة الروم على الفرس 166وبفتح مكة167 .
ان هذه المعاجز هي التي ذكرها القرآن الكريم , واما ما ذكره المؤرخون والمحدثون المسلمون من معاجز اخرى لرسول الله (ص), فيفوق ما جاذكره في القرآن الكريم , وهي وان لم تكن - في الاغلب - متواترة الا انه يتمتع مجموعها بتواتر اجمالي .

خصائص نبوة رسول الاسلام (ص)

ان لدعوة النبي الاكرم (ص) خصائص اهمها اربعة امور, نذكرهافي ثلاثة اصول :

الاصل السابع والسبعون : عالمية دعوة النبي الاكرم (ص) ورسالته

ان دعوة النبي الاكرم ونبوته ورسالته , عالمية , ولا تختص بقوم دون قوم ,ومنطقة دون اخرى كما قال تعالى : (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيراونذيرا)168.
ويقول ايضا: (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)169.
من هنا نرى كيف انه كان يستفيد في دعوته من لفظة (الناس) وقال :
(يا ايها الناس قد جاكم الرسول بالحق من ربكم فمنوا خيرا لكم)170.
نعم عندما بدا النبي الاكرم دعوته كان طبيعيا ان ينذر قومه في المرحلة الاولى , ويوجه خطابه الى قومه لينذر قوما لم ينذروا من قبل :
(لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك)171.
ولكن هذا لم يكن ليعني ان مجال رسالته محدود بجماعة خاصة ,وارشاد قوم خاصين .
ولهذا السبب نرى القرآن ـ احيانا ـ في الوقت الذي يوجه دعوته الى جماعة خاصة , يعمد فورا الى اعتبار دعوته تلك حجة على كل الذين يمكن ان تبلغهم دعوته اذ يقول : (واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ)172.
ان من البديهي ان على الانبيا ان يبداوا اقوامهم في البداية سواكانت دعوتهم عالمية , ام محلية .
وهذا هو القرآن الكريم يذكر بهذه الحقيقة :
(وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)173.

الاصل الثامن والسبعون : ان نبي الاسلام (ص) خاتم الانبيا

ان نبوة رسول الاسلام (ص) نبوة خاتمة , كما ان شريعته كذلك خاتمة الشرائع , وكتابه خاتم الكتب ايضا.
يعني انه لا نبي بعده , وان شريعته خالدة , وباقية الى يوم القيامة .
ونحن نستفيد من خاتمية نبوته امرين :
1 ان الاسلام ناسخ لجميع الشرائع السابقة , فلا مكان لتلك الشرائع بعد مجي الشريعة الاسلامية .
2 انه لا وجود لشريعة سماوية في المستقبل , وادعا اي شريعة بعد الشريعة الاسلامية امر مرفوض .
ان مسالة الخاتمية طرحت ـ في القرآن والاحاديث الاسلامية بشكل واضح , بحيث لا تترك مجالا للشك لاحد.
وفيما ياتي نشير الى بعضها في هذا المجال :
(ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شي عليما)174.
والخاتم هو ما يوضع في الاصبع من الحلي , وكان في عصر الرسالة يختم بفصه على الرسائل , والمعاهدات , ليكون آية على انتها المكتوب .
وفي ضوء هذا البيان يكون مفاد الاية هو ان كتاب النبوات والرسالات ختم بمجي رسول الاسلام فلا نبي بعده , كما يختم الكتاب بالخاتم , فلاكلام بعده .
على ان لفظ الرسالة حيث انه ينطوي على معنى ابلاغ اشيا(الرسالة) يتلقاها النبي عن طريق الوحي (النبوة), لهذا فان من الطبيعي ان لا تكون الرسالة الالهية من دون نبوة , فيكون ختم النبوات ملازما ـ في المال ـ لختم الرسالات .
ثم ان في هذا المجال احاديث وروايات متنوعة , وعديدة , نكتفي بذكر واحد منها وهو حديث ((المنزلة)).
فعندما كان رسول الاسلام (ص) ـ يريد ان ـ يتهيا لغزوة تبوك , خلف الامام عليا(ع) في المدينة وقال له : ((اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي)).
هذا وثمت مجموعة من الاحاديث المتواترة اجمالا ترتبطبالخاتمية عدا حديث ((المنزلة)) المتواتر نقلت ورويت في الكتب .

الاصل التاسع والسبعون : كمال الدين الاسلامي

ان سر خلود الشريعة الاسلامية يكمن في امرين :
الف : ان الشريعة الاسلامية تقدم لضمان وتحقيق حاجة البشرالطبيعية والفطرية , الى الهدايات الالهية , اكمل برنامج عرف بحيث لايمكن تصور ما هو افضل واكمل منه .

ب : بين الاسلام في مجال الاحكام العملية كذلك سلسلة من الاصول والكليات الجامعة والثابتة التي يمكنها ان تلبي الحاجات البشرية المتجددة والمتنوعة اولا باول .
ويشهد بذلك ان فقها الاسلام (وبالاخص الشيعة منهم) قدرواطوال القرون الاربعة عشرة الماضية ان يلبوا كل احتياجات المجتمعات الاسلامية على صعيد الاحكام , ولم يحدث الى الان ان عجز الفقه الاسلامي عن الاجابة على مشكلة في هذا المجال .
هذا والامور التالية مفيدة , ومؤثرة في تحقيق هذه الغاية وهذاالهدف :

1 حجية العقل :

ان اعتبار العقل , ومنحه الحجية , والقيمة المناسبة في المجالات التي يقدر فيها على الحكم والقضا , هو احدى طرق استنباط وظائف البشر في الحياة .

2 رعاية الاهم عند مزاحمة المهم :

ان الاحكام الاسلامية ـ كما نعلم ـ ناشئة من طائفة من الملاكات الواقعية , والمصالح والمفاسد الذاتية (او العارضة) في الاشيا, وهي ملاكات ربما ادرك العقل بعضها, وربما لم يدرك البعض الاخر, وانمابينها الشرع .
وفي ضوء معرفة هذه الملاكات يستطيع الفقيه ـ بطبيعة الحال ـ ان يحل المشكلة بتقديم الاهم على المهم , فيما اذا وقع تزاحم بينهما.

3 فتح باب الاجتهاد:

ان فتح باب الاجتهاد في وجه الامة الاسلامية ـ الذي يعتبر من مفاخر الشيعة وامتيازات التشيع ـ هو الاخر من الاسباب الضامنة لخاتمية الدين الاسلامي واستمراريته , لانه في ظل الاجتهاد الحي والمستمريمكن استنباط احكام الموضوعات , والحوادث الجديدة , باستمرار, من القواعد والضوابط الاسلامية الكلية .

4 الاحكام الثانوية :

هناك في الشريعة الاسلامية مضافا الى الاحكام الاولية , طائفة من الاحكام الثانوية التي تستطيع ان تحل الكثير من المشاكل .
فعلى سبيل المثال : عندما يصبح تطبيق حكم من الاحكام الاسلامية على موضوع موجبا للعسر والحرج , او مستلزما للاضرارباشخاص (بالشروط المذكورة في الفقه الاسلامي) هناك اصول وقواعدمثل قاعدة ((نفي الحرج)), او ((نفي الضرر)) تساعد الشريعة الاسلامية على فتح الطرق المسدودة وتجاوز المشاكل .
يقول القرآن الكريم : (وما جعل عليكم في الدين من حرج)175.
وجا في الاحاديث النبوية : ((لا ضرر ولا ضرار))176.
ولابد من القول ـ بكل يقين ـ بان دينا يتحلى بامتلاك هاتين القاعدتين ونظائرهما, لن يواجه اتباعه قط طريقا مسدودا, في حياتهم , ومسيرتهم .
ومعالجة مسالة الخاتمية بشكل مسهب موكولة الى الكتب الاعتقادية .

الاصل الثمانون : السهولة والاعتدال من خصائص الشريعة الاسلامية

من خصائص الشريعة الاسلامية ((الاعتدال)), و ((سهولة درك المفاهيم والاحكام الاسلامية)), وهو امر يمكن ان يكون احد اهم اسباب نفوذهذا الدين وانتشاره بين شعوب العالم المختلفة .
ان الاسلام يعرض ـ في مجال معرفة الله ـ توحيدا خالصا, وواضحا,وبعيدا عن اي ايهام وتعقيد.
فسورة ((التوحيد)) التي هي من سور القرآن القصار, يمكن ان تكون خير شاهد على هذا الامر.
كما ان القرآن يؤكد في مجال مكانة الانسان ايضا على مبدا التقوى الذي هو شامل لجميع الخصال الاخلاقية , الرفيعة , والنبيلة .
وفي مجال الاحكام العملية نرى كذلك ان الاسلام ينفي اي عسروحرج , وقد وصف النبي نفسه شريعته بالسهولة والسماحة فقال : ((جئت بالشريعة السهلة السمحة)).
ورغم ان بعض المستشرقين بسبب جهلهم او عنادهم يرون ان القوة والسيف كان هو السبب في انتشار الاسلام

السريع , والعريض في العالم ,فان المحققين المنصفين وغير المغرضين حتى من العلما غير المسلمين يذعنون ـ بكل صراحة ـ ان اهم عامل لانتشار الاسلام السريع , هووضوح التعاليم والاحكام الاسلامية وجامعيتها كما قال العالم الفرنسي المعروف , الدكتور ((غوستاف لوبون)) في هذا المجال : ان رمز تقدم الاسلام يكمن في سهولته ان الاسلام منزه عن الامور التي يمتنع عن قبولها العقل السليم , والتي يوجد نماذج كثيرة لها في الشرايع الاخرى .
اننا مهما امعنا النظر وفكرنا فاننا لن نجد ابسط من اصول الاسلام الذي يقول : الله واحد, والناس امام الله سواسية , والانسان يحظى بالجنة والسعادة بالاتيان بعدة فرائض دينية , ويقع بالاعراض عنها في جهنم .
ان وضوح الاسلام وتعاليمه وبساطتها هذه ساعدت كثيرا على تقدم هذا الدين في العالم .
والاهم من هذا, ذلك الايمان الراسخ الذي صبه واوجده في القلوب , انه ايمان لا تقدر اية شبهة على اقتلاعه .
ان الاسلام كما انه يكون انسب من اي دين آخر, واكثره ملائمة مع المكتشفات العلمية كذلك هو في مجال حمل الناس على العفو والصفح اكبر دين يستطيع ان يتولى مهمة تهذيب النفوس والاخلاق177 .

الاصل الواحد والثمانون : صيانة القرآن من التحريف

ان الكتب السماوية التي عرضها الانبيا السابقون تعرضت ـ وللاسف ـ من بعدهم للتحريف بالتدريج بسبب الاغراض المريضة , وبسبب مواقف النفعيين .
ويشهد بذلك ـ مضافا الى اخبار القرآن الكريم بذلك ـ شواهدتاريخية قاطعة .
كما ان مطالعة نفس تلك الكتب والتامل في محتوياتها من المواضيع تدل على ذلك ايضا, فان هناك طائفة من المواضيع في هذه الكتب لا يمكن ان يؤيدها الوحي الالهي .
هذا بغض النظر عن ان الانجيل الحاضر يحتوي في اكثره على حياة السيد المسيح (ع), وحتى صلبه .
ولكن رغم وقوع التحريفات الواضحة في الكتب السماوية السابقة ,فان القرآن الكريم بقي مصونا من اي نوع من انواع التحريف , والتغيير.
فان رسول الله (ص) ترك للبشرية من بعده (مائة واربع عشرة) سورة قرآنية , كاملة , وقد قام كتاب الوحي , وبالخصوص الامام علي (ع) بكتابة الوحي , وتدوينه منذ البداية .
ولحسن الحظ لم ينقص من القرآن الكريم , وسوره , وآياته شي قطرغم مرور قرابة (15) قرنا على بد نزول القرآن , كما لم يزد عليه شي ابدا ونشير فيما يلي الى بعض الادلة على عدم تحريف القرآن الكريم :
1 كيف يمكن ان يجد التحريف سبيلا الى القرآن الكريم , في حين ان الله تعالى تعهد صراحة بحفظ القرآن , بنفسه اذ قال : (انا نحن نزلنا الذكروانا له لحافظون)178.
2 ان الله تعالى نفى تطرق اي نوع من انواع الباطل الى القرآن الكريم مهما يكن مصدره , نفيا قاطعا فقال : (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)179.
ان الباطل الذي يمكن ان يتطرق الى القرآن الكريم بصوره المختلفة , والذي قد نفاه الله تعالى نفيا قاطعا, لا شك هو الباطل الذي يوجب وهن القرآن الكريم , ويضعف من مكانته ويحط من منزلته , وحيث ان النقص من القرآن الكريم , او الزيادة في كلماته , والفاظه مما يوهن مكانة القرآن قطعا, ويقينا, ويحط من شانه , لهذا لا يوجد اي لون من الوان الزيادة والنقص في القرآن الكريم ابدا, ويقينا.
3 ان التاريخ يشهد بان المسلمين كانوا يعتنون بالقرآن الكريم تعلما وتعليما, قراة وحفظا اشد الاعتنا, وكان العرب في عصر النبي الاكرم (ص) يتمتعون بحافظة قوية وذاكرة حادة بحيث اذا سمعوا خطبة اوقصيدة طويلة مرة واحدة حفظوها, واتقنوها.
وعلى هذا كيف يمكن ان يقال ان كتابا مثل هذا, مع كثرة قارئيه ,ووفرة حافظيه والمعتنين به , تعرض للتحريف , او الزيادة والنقصان ؟ 4 لا شك في ان الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) كان يختلف مع الخلفا, في بعض المسائل , وكان يظهر مخالفته لهم في موارد مختلفة بصورة منطقية , وتتمثل هذه الاعتراضات في الخطبة الشقشقية وبعض مناشداته على سبيل المثال .
ولكنه لم يسمع ولا مرة واحدة بانه (ع) تحدث ـ ولا بكلمة واحدة ـعن تحريف القرآن الكريم , طيلة حياته .
فاذا كان هذا التحريف حدث ـ والعياذ بالله ـ لما سكت عنه الامام امير المؤمنين (ع), بل ـ على العكس من ذلك ـ نجده (ع) يدعو الى التامل والتدبر في القرآن الكريم ومن ذلك قوله : ((ليس لاحد بعد القرآن من فاقة ولا بعد القرآن من غنى فكونوا من حرثته واتباعه)).180
وبالنظر الى هذه الادلة ونظائرها اكد علما الشيعة الامامية واتباعالاهل البيت (ع) منذ اقدم العصور الاسلامية , على صيانة القرآن الكريم من التحريف نذكر منهم :
1 الفضل بن شاذان (المتوفى 260 ه ق) والذي كان يعيش في عصرالائمة (ع), وذلك في كتاب الايضاح / 217.
2 الشيخ الصدوق (المتوفى 381 ه ق) في كتاب الاعتقادات / 93.
3 الشيخ المفيد (المتوفى 413 ه ق) في كتاب اجوبة المسائل السروية , المطبوع ضمن مجموعة الرسائل / 266.
4 السيد المرتضى (المتوفى 436 ه ق) في كتاب : جواب المسائل الطرابلسيات الذي نقل الشيخ الطبرسي كلامه فيه ,

في مقدمة تفسيره :مجمع البيان .
5 الشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة (المتوفى 460 ه ق) في كتاب : التبيان1 /3.
6 الشيخ الطبرسي (المتوفى 548 ه ق) في مقدمة كتابه : ((مجمع البيان)), حيث اكد فيها على عدم وقوع التحريف في القرآن الكريم .
7 السيد ابن طاووس (المتوفى 664 ه ق) في كتاب : ((عود/144)) حيث يقول فيه : ان عدم التحريف هو راي الامامية .
8 العلامة الحلي (المتوفى 726 ه ق) في كتاب : ((ة / 121)) حيث يقول فيه :
((الحق انه لا تبديل ولا تاخير ولا تقديم فيه , وانه لم يزد فيه ولم ينقص , ونعوذ بالله تعالى من ان يعتقد مثل ذلك ,فانه يوجب التطرق (اي تطرق الشك والوهن) الى معجزة الرسول (ع)المنقولة بالتواتر)).
ونكتفي بهذا القدر من اسما علما الامامية المنكرين للتحريف ,ونؤكد على ان هذا كان ولم يزل اعتقاد علما الامامية , ويتضح ذلك من مراجعة ما كتبه ويقوله مراجع الشيعة في العصر الحاضر.

الاصل الثاني والثمانون : مناقشة الروايات الدالة على تحريف القرآن وردها

لقد وردت في كتب الحديث , والتفسير, روايات يدل بعضها على وقوع التحريف في القرآن الكريم , ولكن يجب ان ننتبه الى النقاط التالية :
اولا: ان اكثر هذه الروايات نقلت بواسطة افراد غير موثوق بهم وجات في كتب لا قيمة لها مثل كتاب ((القراات)) لاحمد بن محمدالسياري (المتوفى 286 ه ق) الذي ضعفه علما الرجال وضعفواروایاته , واعتبروه فاسد المذهب 181 او كتاب علي بن احمد الكوفي (المتوفى 352 ه ق) الذي قال عنه علما الرجال بانه صار غاليا في اخريات حياته .182
ثانيا: بعض هذه الروايات التي حملت على التحريف , لها جانب التفسير, اي انها تفسر الاية , وتكون من قبيل تطبيق المفاد الكلي للاية على مصاديقه , او احد مصاديقه غير ان البعض تصور ان ذلك التفسيروالتطبيق هو جز من القرآن الكريم , وقد حذف , او سقط من القرآن الكريم .
فمثلا فسرت لفظة ((الصراط المستقيم)) في سورة الحمد في الروايات ب ((صراط النبي واهل بيته)) ومن الواضح جدا ان مثل هذا التفسيرهو نوع من انواع التطبيق الكلي على المصداق الاكمل183 .
ولقد قسم الامام الخميني (ره) الروايات التي فهم منها وقوع التحريف في القرآن الكريم الى ثلاثة اقسام :
الف : الروايات الضعيفة التي لا يمكن الاستفادة منها والاخذ بها ابدا.
ب : الروايات المختلقة التي تلوح عليها علائم الوضع والاختلاق .
ج : الروايات الصحيحة التي لو تاملنا فيها بدقة لاتضح ان المقصودمنها ليس هو التحريف اللفظي (اي الزيادة والنقصان اللفظي) بل هوتحريف حقائقها ومفاهيمها 184.
ثالثا : ان الواجب على الذين يريدون التعرف على المعتقد الواقعي لاتباع مذهب من المذاهب , ان يرجعوا الى الكتب الاعتقادية والعلمية لذلك المذهب , لا الكتب الحديثية (اي التي تضم الاحاديث والاخبار)التي يهتم مؤلفها في الاغلب بجمع الاحاديث وتدوينها, تاركا التحقيق فيها, والاستفادة منها للاخرين .
كما انه لا يكفي لمعرفة المعتقد الحقيقي والمسلم لاي مذهب من المذاهب , الرجوع الى الارا الشاذة التي طرحها او يطرحها افراد من اتباع ذلك المذهب .
واساسا لا يمكن الاستناد الى قول فرد او فردين في مقابل راي الاكثرية القاطعة والساحقة من علما المذهب وجعله ملاكا صحيحاللحكم على ذلك المذهب .
وفي خاتمة البحث عن التحريف من الضروري ان نذكر بعدة نقاطهي :
1 ان اتهام بعض المذاهب الاسلامية البعض الاخر بتحريف القرآن وخاصة في العصر الحاضر لا يستفيد منه سوى اعدا الاسلام ,وخصومه , ومناوئيه .
2 اذا اقدم احد علما الامامية بكتابة كتاب حول تحريف القرآن ,وجب ان نعتبر ذلك رايه الشخصي وليس راي الاكثرية الساحقة من علما الامامية .
ولهذا نرى انه اقدم علما كثيرون من الامامية على كتابة ردودعديدة على ذلك الكتاب تماما كما حدث في اوساط اهل السنة حيث اقدم احد علما مصر على تاليف كتاب في تحريف القرآن باسم ((الفرقان)) عام 1345 ه ق , فرد عليه علما الازهر, وامروا بمصادرته .
3 ان من العجيب جدا ان يحمل بعض المغرضين الذين ايسوا من الاساليب الاخرى , كل هذه التصريحات القاطعة من قبل علما الشيعة الامامية بعدم تحريف القرآن الكريم على ((التقية)) فانه يقال لهؤلا بان ((التقية)) ترتبط باحوال شخص يكون في ظروف الخوف والخطر, وهؤلا العلما الكبار لم يكونوا يخافون احداحتى يضطروا الى ممارسة ((التقية)).

ثم ان هذه الكتب قد الفها علما الامامية ـ في الاساس ـ لاتباع المذهب الشيعي , والهدف منها هو تعليم عقائد الشيعة لاتباع ذلك المذهب , ولهذا فان من الطبيعي ان تحتوي هذه الكتب على العقائدالحقيقية .

كليات في العقيدة

6. الفصل السابع

الامامة والخلافة

لقد رحل النبي الاكرم محمد (ص) في مطلع العام الحادي عشرالهجري بعد ان اجتهد طوال 23 سنة في ابلاغ الشريعة الاسلامية .
ومع رحيل النبي الاكرم (ص) انقطع الوحي , وانتهت النبوة , فلم يكن نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته , الا ان الوظائف والتكاليف التي كانت على عاتق النبي محمد(ص) (ما عدا مسالة تلقي الوحي وابلاغه) لم تنته حتما.
ولهذا كان يجب ان يكون بعد وفاته شخصية واعية وصالحة تواصل القيام بتلك الوظائف والمهام وتقود المسلمين ويكون لهم امام خلافة عن رسول الله (ص).
ان مسالة ضرورة وجود خليفة للنبي (ص) موضع اتفاق بين المسلمين , وان اختلف الشيعة والسنة في بعض صفات ذلك الخليفة وطريقة تعيينه .
فلابد في البداية من توضيح معنى ((الشيعة)) و ((التشيع)), وتاريخ نشاته وظهوره , ليتسنى بعد ذلك البحث في المسائل المتعلقة بالامامة والخلافة بعد رسول الله (ص).

الاصل الثالث والثمانون : الشيعة لغة واصطلاحا

((الشيعة)) في اللغة بمعنى التابع , وفي الاصطلاح تطلق هذه اللفظة اوالتسمية على فريق من المسلمين يعتقدون بان قيادة الامة الاسلامية بعدوفاة رسول الله (ص) هي من حق الامام علي (ع) وابنائه المعصومين .
وقد تحدث النبي الاكرم ايام حياته عن فضائل الامام علي (ع) ومناقبه ,وكذا عن قيادته وزعامته للامة الاسلامية من بعده , مرارا وفي مناسبات مختلفة , بشهادة التاريخ المدون .
ان هذه التوصيات والتاكيدات تسببت ـ كما تحدثنا الاحاديث الموثقة ـ في ان يلتف فريق من الصحابة حول الامام علي (ع) في حياة النبي الاكرم (ص) وتحبه قلوبهم , فتعرف بشيعة علي (ع).
ولقد بقيت هذه الثلة من الصحابة على ولائها واعتقادها السابق بعدوفاة رسول الله (ص) دون ان تؤثر المصالح الفردية على تنصيص رسول الله (ص) ووصيته في مجال الخلافة وقيادة الامة من بعده .
وهكذا سميت جماعة من المسلمين في عصر رسول الله , وبعدحياته الشريفة (ص) بالشيعة وقد صرح بهذا جماعة من المؤلفين في الملل والنحل .
فالنوبختي (المتوفى 310 ه) يكتب قائلا: الشيعة هم اتباع علي بن ابي طالب (ع) المسمون بشيعة علي (ع) في زمان النبي (ص) وبعده ,معروفون بانقطاعهم اليه والقول بامامته185 .
وقال ابو الحسن الاشعري : وانما قيل لهم (شيعة) لانهم شايعواعليا, ويقدمونه على سائر اصحاب رسول الله (ص)186.
وقال الشهرستاني : الشيعة هم الذين شايعوا عليا على الخصوص ,وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية 187.
وعلى هذا الاساس فليس للشيعة تاريخ غير تاريخ الاسلام وليس له مبدا ظهور غير مبدا ظهور الاسلام نفسه , وفي الحقيقة ان الاسلام والتشيع وجهان لعملة واحدة او وجهان لحقيقة واحدة , وتوامان ولدافي زمن واحد.
وقد ذكر المحدثون والمؤرخون ان النبي (ص) دعا في السنوات الاولى من دعوته بني هاشم , وجمعهم في بيته واعلن فيهم عن خلافة علي ووصايته (في ما يسمى بحديث بد الدعوة او يوم الدار)188واعلن عن ذلك للناس فيما بعد مكررا, وفي مناسبات مختلفة ومواقف متعددة , وبخاصة في يوم الغدير, الذي طرح فيه خلافة علي بصورة رسمية , واخذ البيعة من الناس له وسيوافيك تفصيله .
ان التشيع ليس وليد حوادث السقيفة ولا فتنة مصرع عثمان وغيرهامن الاساطير, بل ان النبي الاكرم (ص) هو الذي بذر بذرة التشيع لاول مرة وغرس غرستها في قلوب الصحابة بتعاليمه السماوية المكررة .
ونمت تلك الغرسة فيما بعد شيئا فشيئا, وعرف صحابة كبار كابي ذر, وسلمان , والمقداد, باسم الشيعة .
وقد ذكر المفسرون في تفسير قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملواالصالحات اولئك هم خير البرية)189.
قول النبي (ص): ((هم علي وشيعته))190.
على انه لا تسع هذه الرسالة المختصرة لذكر اسما الشيعة الاوائل من الصحابة , والتابعين الذين اعتقدوا بخلافته

للنبي (ص) بصورة مباشرة وبلا فصل .
ان التشيع بالمفهوم المذكور هو الوجه المشترك بين جميع الشيعة في العالم , والذين يشكلون قسما عظيما من مسلمي العالم .
ولقد كان للشيعة جنبا الى جنب مع سائر المذاهب الاسلامية وعلى مدى التاريخ الاسلامي اسهام عظيم في نشر الاسلام , وقدمواشخصيات علمية وادبية وسياسية جد عظيمة الى المجتمع البشري ولهم حضور فاعل في اكثر نقاط العالم الراهن ايضا.

الاصل الرابع والثمانون : الامامة مسالة الهية

ان مسالة ((الامامة)) ـ كما سنثبت ذلك من خلال الاصول القادمة ـ كانت مسالة الهية , وسماوية , ولهذا كان من اللازم ان يتم تعيين خليفة النبي كذلك عبر الوحي الالهي الى النبي (ص), ويقوم النبي بابلاغه الى الناس .
وقبل ان نعمد الى استعراض وبيان الادلة النقلية والشرعية في هذاالمجال , نستعرض حكم العقل في هذه الحالة , آخذين بنظر الاعتبارظروف تلك الفترة (اي فترة ما قبل وما بعد رحيل النبي), وملابساتها.
ان العقل البديهي يحكم بان اي انسان مصلح اذا استطاع من خلال جهود مضنية دامت سنوات عديدة , من تنفيذ اطروحة اجتماعية خاصة له , وابتكر طريقة جديدة للمجتمع البشري فانه لا بد من ان يفكر في وسيلة مؤثرة للابقا على تلك الاطروحة , وضمان استمرارها, بل رشدها, ونموها ايضا, وليس من الحكمة ان يؤسس شخص ما بناعظيما, متحملا في ذلك السبيل متاعب كثيرة , ولكن لا يفكر فيما يقيه من الاخطار, ولا ينصب احدا لصيانته والعناية به , من بعده .
ان النبي الاكرم (ص), وهو من اكبر الشخصيات العالمية في تاريخ البشرية , قد اوجد ـ بما اتى من شريعة ـ ارضية مساعدة لتحول الهي عالمي كبير, ومهد لقيام حضارة جد حديثة , وفريدة .
ان هذه الشخصية العظيمة , التي طرحت على البشرية شريعة خالدة , وقادت المجتمع البشري في عصره وايام حياته , من المسلم انه فكر لحفظ شريعته من الاخطار والافات المحتملة التي تهددها في المستقبل , وكذا لهداية امته الخالدة , وادارتها, وبين صيغة القيادة من بعده , وذلك لانه من غير المعقول ان يؤسس هذا النبي الحكيم قواعدشريعة خالدة ابدية , دون ان يطرح صيغة قوية لقيادتها من بعده , يضمن بها بقا تلك الشريعة .
ان النبي الذي لم يال جهدا في بيان اصغر ما تحتاج اليه سعادة البشرية , كيف يعقل ان يسكت في مجال قيادة المجتمع الاسلامي وصيغتها, وكيفيتها, والحال انها من المسائل الجوهرية , والمصيرية , في حياة الامة , بل وفي حياة البشرية , وفي الحقيقة يترك المجتمع الاسلامي حيارى مهملين , لا يعرفون واجبهم في هذا الصعيد؟ وعلى هذا الاساس لا يمكن مطلقا القبول بالزعم القائل بان النبي الاكرم اغمض عينيه عن الحياة دون ان ينبس ببنت شفة في مجال قيادة الامة .

الاصل الخامس والثمانون : الامامة والخطر الثلاثي المشؤوم : الروم والفرس والمنافقون

ان مراجعة التاريخ , واخذ الظروف التي كانت تحيط بالمنطقة , وبالعالم في زمان رحيل النبي (ص) وقبيل وفاته بالذات بنظر الاعتبار تثبت بوضوح ـ بداهة وضرورة ((تنصيصية)) منصب الامامة وذلك لان اخطارثلاثة كانت تهدد الدين والكيان الاسلامي , وتحيط به على شكل مثلث مشؤوم .
الضلع الاول من هذا المثلث الخطر كان يتمثل في الامبراطورية الرومية .
والضلع الثاني كان يتمثل في الامبراطورية الفارسية .
والضلع الثالث كان يتمثل في فريق المنافقين الداخليين .
وبالنسبة لخطر الضلع الاول , واهميته القصوى يكفي ان نعلم ان النبي (ص) لم يزل يفكر فيه حتى آخر لحظة من حياته , ولهذا جهز ـ قبيل ايام بل ساعات من وفاته ـ جيشا عظيما بقيادة ((اسامة بن زيد)) وبعثه لمواجهة الروم , كما ولعن من تخلف عنه ايضا.
وبالنسبة لخطر الضلع الثاني يكفي ان نعرف انه كان عدوا شرسايضا اقدم على تمزيق رسالة النبي (ص) وكتب الى حاكم اليمن بان يقبض على رسول الله (ص), ويبعث به اليه , او يرسل اليه براسه .
وبالتالي بالنسبة الى الخطر الثالث يجب ان نعلم ان هذا الفريق (اي المنافقين) كان يقوم في المدينة بمزاحمة النبي (ص) باستمرار وكان المنافقون هؤلا يؤذونه بالمؤامرات المتنوعة , ويعرقلون حركته , وقدتحدث القرآن الكريم عنهم وعن خصالهم , ونفاقهم , واذاهم ,ومحاولاتهم الخبيثة في سوره المختلفة الى درجة انه سميت سورة كاملة باسمهم , وهي تتحدث عنهم وعن نواياهم واعمالهم الشريرة .
والان نطرح هذا السؤال وهو: هل مع وجود هذا المثلث الخطر كان من الصحيح ان يترك النبي الاكرم (ص) الامة الاسلامية , والدين الاسلامي اللذين كانا محاطين بالاخطار من كل جانب , وكان الاعدا لهما بالمرصادمن كل ناحية , من دون قائد معين ؟ ان النبي (ص) ولاشك كان يعلم ان حياة العرب حياة قبلية , عشائرية وان افراد هذه القبائل كانت متعصبة لرؤسا تلك القبائل , فهم كانوايطيعون الرؤسا بشدة , ويخضعون لهم خضوعا كبيرا, ولهذا فان ترك مثل هذا

المجتمع من دون نصب قائد معين سوف يؤدي الى التشتت والتنازع بين هذه القبائل , وسيستفيد الاعدا من هذا التخاصم والتنازع ,والاختلاف .
وانطلاقا من هذه الحقيقة قال الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا:((الاستخلاف بالنص اصوب , فان ذلك لا يؤدي الى التشعب والتشاغب والاختلاف))191.

الاصل السادس والثمانون : تعيين الامام والخليفة في احاديث الرسول (ص)

والان وبعد ان ثبت ان حكمة النبي وعلمه كانا يقتضيان بان يتخذ موقفامناسبا في مجال القيادة الاسلامية من بعده , فلنرى ماذا كان الموقف الذي اتخذه (ص) في هذا الصعيد؟.
هناك نظريتان في هذا المجال ندرجهما هنا, ونعمد الى مناقشتهما:
النظرية الاولى : ان النبي (ص) اختار بامر الله تعالى شخصا ممتازا صالحالقيادة الامة الاسلامية , ونصبه لخلافته واخبر الناس بذلك .
النظرية الثانية : ان النبي (ص) اوكل اختيار القائد والخليفة من بعده الى الناس , انفسهم , لينتخبوا - هم بانفسهم - شخصا لهذا المنصب .
والان يجب ان نرى اية واحدة من النظريتين تستفاد من الكتاب والسنة والتاريخ ؟.
ان الامعان في حياة النبي (ص) منذ ان كلف بتبليغ شريعته الى اقربائه وعشيرته , ثم الاعلان عن دعوته الى الناس كافة , يفيد ان النبي (ص) سلك طريق ((التنصيص)) في مسالة القيادة , والخلافة , مرارا, دون طريق ((الانتخاب الشعبي)) وهذا الموضوع نثبته من خلال الامور التالية :

1 حديث يوم الدار

بعد ان مضت ثلاث سنوات على اليوم الذي بعث فيه رسول الله (ص),كلفه الله تعالى بان يبلغ رسالته لابنا قبيلته , وذلك عندما نزل قوله عزوجل : (وانذر عشيرتك الاقربين)192.
فجمع النبي (ص) رؤوس بني هاشم وقال : ((يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا في العرب جا قومه بافضل مما قد جئتكم به اني قدجئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله تعالى ان ادعوكم اليه فايكم يؤازرني على هذا الامر يكون اخي ووصيي ووزيري وخليفتي فيكم)).
ولقد كرر النبي (ص) العبارة الاخيرة ثلاث مرات , ولم يقم في كل تلك المرات الا الامام علي (ع), الذي اعلن عن استعداده في كل مرة لمؤازرة النبي (ص) ونصرته , وفي المرة الثالثة قال النبي (ص): ((ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا))193.

2 حديث المنزلة

لقد اعتبر النبي (ص) منزلة ((علي (ع))) منه على غرار منزلة هارون من موسى (ع), ولم يستثن من منازل ومراتب هارون من موسى الا النبوة حيث قال : ((يا علي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبي بعدي))194 وهذا النفي والسلب هو في الحقيقة من باب ((السالبة بانتفا الموضوع)) اذ لم تكن بعد رسول الله الخاتم (ص) نبوة حتى يكون علي نبيا من بعده اذ بنبوة رسول الاسلام ختمت النبوات , وبشريعته ختمت الشرائع .
ولقد كان لهارون - بنص القرآن الكريم - مقام ((النبوة))195 و((الخلافة))196 و((الوزارة))197 في زمان موسى , وقد اثبت حديث ((المنزلة)) جميع هذه المناصب الثابتة لهارون للامام علي (ع) ما عداالنبوة , على انه اذا لم يكن المقصود من هذا الحديث هو اثبات جميع المناصب والمقامات لعلي الا النبوة , لم يكن اية حاجة الى استثنا النبوة .

3 حديث السفينة

لقد شبه النبي الاكرم (ص) اهل بيته بسفينة نوح التي من ركبها نجا,ومن تخلف عنها غرق في الطوفان كما قال : ((الا ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا, ومن تخلف عنها غرق))198.
ونحن نعلم ان سفينة ((نوح)) كانت هي الملجا الوحيد لنجاة الناس من الطوفان في ذلك الوقت .
وعلى هذا الاساس فان اهل البيت النبوي - وفقا لحديث سفينة نوح - يعتبرون الملجا الوحيد للامة للنجاة من الحوادث العصيبة والوقائع الخطيرة التي طالما تؤدي الى انحراف البشرية وضلالها.

4 حديث ((امان الامة))

لقد وصف النبي (ص) اهل بيته بكونهم سببا لوحدة المسلمين , ومما يوجب ابتعادهم عن الاختلاف والتشتت وامانا من الغرق في بحر الفتنة ,اذ قال : ((النجوم امان لاهل الارض من الغرق واهل بيتي امان من الاختلاف , فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس))199.
وبهذا شبه النبي (ص) اهل بيته الكرام بالنجوم التي يقول عنها الله بحانه : (وبالنجم هم يهتدون)200.

5 حديث الثقلين

ان حديث الثقلين من الاحاديث الاسلامية المتواترة , التي نقلها ورواهاعلما الفريقين في كتبهم الحديثية .
فقد خاطب رسول الله (ص) الامة الاسلامية قائلا: ((اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابداوانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))201.
ان هذا الحديث , يثبت ـ بوضوح ـ المرجعية العلمية لاهل البيت النبوي جنبا الى جنب مع القرآن الكريم , ويلزم المسلمين بان يتمسكوا ـفي الامور الدينية ـ باهل البيت الى جانب القرآن الكريم , ويلتمسوارايهم .
ولكن المؤسف جدا ان يلتمس فريق من الناس راي كل احد الا راي اهل البيت , ويطرقوا باب بيت كل احد الا باب بيت اهل البيت (ع).
ان ((حديث الثقلين)) الذي يتفق على روايته الشيعة والسنة يمكنه ان يجمع جميع مسلمي العالم حول محور واحد, لانه اذا ما اختلف الفريقان في مسالة تعيين الخليفة والقائد, والزعيم السياسي للامة بعدرسول الله (ص) وكان لكل فريق نظريته وآل الاستنباط التاريخي في هذاالصعيد الى انقسام المسلمين الى فريقين , فانه لا يوجد هناك اي دليل للاختلاف في مرجعية اهل البيت العلمية , ويجب ان يكونوا ـ طبقالحديث الثقلين المتفق عليه ـ متفقين على كلمة واحدة .

واساسا كانت مرجعية اهل البيت العلمية في عصر الخلفالعلي (ع) ايضا, فقد كانوا يرجعون اليه عند الاختلاف في المسائل الدينية وكانت المشكلة تحل بواسطته .
وفي الحقيقة منذ ان عزل اهل بيت النبي (ص) عن ساحة المرجعية العلمية ظهر التفرق والتشرذم , وبرزت الفرق الكلامية المتعددة الواحدة تلو الاخرى .

الاصل السابع والثمانون : حديث الغدير

كان رسول الله (ص) ـ كما يبدو في الاحاديث السالفة ـ يعرف بخليفته ووصيه تارة بصورة كلية , واخرى بصورة معينة , اي بذكر اسم الخليفة والوصي بحيث يمثل كل واحد من تلك الاحاديث حجة كاملة وتامة لمن يطلب الحقيقة وهو شهيد واع ولكن مع ذلك ولكي يوصل النبي (ص) نداه الى كل قاص ودان من المسلمين في ذلك اليوم , ويرفع كل ابهام وغموض , ويدفع كل شك او تشكيك في هذا المجال , توقف عند قفوله ومراجعته من حجة الوداع في ارض تسمى بغدير خم , واخبر من معه من الحجيج بانه كلف من جانب الله تعالى بان يبلغ رسالة اليهم , وهي رسالة تحكي عن القيام بامر جد عظيم , بحيث اذا لم يبلغها يكون كانه لم يبلغ شيئا من رسالته كما قال تعالى :
(يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)202 203.
ثم رقى النبي منبرا من اقتاب الابل وحدوجها, وقال (ص) مخاطباالناس : ((يوشك ان ادعى فاجيب فماذا انتم قائلون ؟)).
قالوا: نشهد انك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا.
فقال (ص): ((الستم تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان الساعة آتية لا ريب فيها؟)).
قالوا: بلى نشهد بذلك .
قال (ص): ((فاني فرط (اي اسبقكم) على الحوض (اي الكوثر),فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ؟)).
فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله ؟.
قال (ص): ((الثقل الاكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بايديكم فتمسكوا به لا تضلوا, والاخرالاصغر عترتي , وان اللطيف الخبير نباني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض , فلا تقدموهمافتهلكوا, ولا تقصروا عنهما فتهلكوا)).
ثم اخذ بيد ((علي)) فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما فعرفه القوم اجمعون فقال (ص): ((ايها الناس من اولى الناس بالمؤمنين من انفسهم ؟)).
قالوا: الله ورسوله اعلم .
قال (ص): ((ان الله مولاي , وانا مولى المؤمنين , وانا اولى بهم من انفسهم , فمن كنت مولاه فعلي مولاه)).
ثم قال (ص): ((اللهم وال من والاه , وعاد من عاداه , واحب من احبه ,وابغض من ابغضه , وانصر من نصره , واخذل من خذله , وادر الحق معه حيث دار, الا فليبلغ الشاهد الغائب)).

الاصل الثامن والثمانون : حديث الغدير من الاحاديث المتواترة

ان حديث الغدير من الاحاديث المتواترة , وقد رواه من الصحابة والتابعين وعلما الحديث في كل قرن بصورة متواترة .
فقد نقل حديث الغدير ورواه (110) من الصحابة , و (89) من التابعين ,و(3500) من العلما والمحدثين , وفي ضوء هذا التواتر لا يبقى اي مجال للشك في اصالة , وصحة هذا الحديث .
كما ان فريقا من العلما الفوا كتبا مستقلة حول حديث ((الغدير))اشملها واكثرها استيعابا لطرق واسناد هذا الحديث كتاب ((الغدير))للعلا مة الشيخ عبد الحسين الاميني (1320 - 1390 ه).
والان يجب ان نرى ما هو المقصود من لفظة ((المولى)) وماذا تعني ((مولوية)) علي (ع)؟.
ان القرائن والشواهد الكثيرة والعديدة تشهد بان المقصود من هذه اللفظة , والكلمة هو: الزعامة والقيادة , وها نحن نشير الى بعض هذه الشواهد والقرائن :
الف : في واقعة الغدير, امر رسول الله (ص) بان يحط الحجاج الذين كانوا يرجعون معه من الحج , في ارض قاحلة لا ما فيها, ولا كلا, وفي وقت الزوال , وتحت اشعة الشمس الحارقة .
ولقد كانت حرارة الهجير من الشدة في ذلك الوقت بحيث ان الشخص من الحاضرين في ذلك المشهد كان يضع بعض عباته تحت رجليه وبعضها فوق راسه توقيا من شدة الرمضا, وحرارة الشمس .
من الطبيعي ان النبي (ص) كان يريد في هذه الحالة الخاصة , ان يقول ماله دور مصيري هام في هداية الامة .
ترى اي شي يمكنه ان يكون له دور مصيري وهام في حياة المسلمين اكثر من تعيين القيادة التي توجب وحدة كلمة المسلمين ,وتكون حافظة لدينهم .
ب : لقد تحدث رسول الله (ص) قبل ذكر مسالة ولاية الامام علي (ع)عن اصول الدين الثلاثة :
التوحيد, والنبوة , والمعاد, واخذ من الناس الاقرار بها, ثم طرح مسالة ولاية الامام علي (ع) بعد ذلك .

ان التقارن بين ابلاغ هذه الرسالة واخذ الاعتراف والاقرار بالاصول المذكورة يمكن ان يقودنا الى معرفة اهمية الرسالة التي امر النبي بابلاغها الى الناس في ((غدير خم)), ويمكن معرفة ان النبي (ص) ما كان يقصد من ذلك الاجتماع العظيم في تلك الظروف الاستثنائية والملابسات الخاصة التوصية فقط بمحبة وموادة شخص معين .
ج : قبل ابلاغ الرسالة الالهية في شان علي (ع) تحدث النبي (ص) عن ولايته ومولويته وقال : الله مولاي وانا مولى المؤمنين , وانا اولى بهم من انفسهم .
ان ذكر هذه المطالب دليل على ان ((مولوية الامام علي (ع))) كانت من نمط وسنخ مولوية النبي (ص) وان النبي اثبت بامر الله تعالى مولويته واولويته بالامر لعلي ايضا.
د : ان النبي (ص) قال بعد ابلاغ هذه الرسالة الالهية : فليبلغ الشاهدالغائب .

الاصل التاسع والثمانون : كفاة الخليفة المنتخب قطعت كيد الاعدا

ان تاريخ الاسلام يشهد بان اعدا النبي (ص) استخدموا كل وسيلة ممكنة لاطفا نور الرسالة المحمدية , وعرقلة مسير الدعوة الاسلامية بدا من اتهام النبي الاكرم (ص) بالسحر والشعوذة وانتها بمحاولة اغتياله في فراشه , ولكنهم بفضل العناية الالهية , فشلوا في خططهم جمعا, وحفظالله نبيه من كيد المشركين والكافرين , فلم يبق لهم من امل الا ان يموت رسول الله (ص) فيطفئوا جذوة دعوته , ويخمدوا نور رسالته (خاصة انه لم يخلف ولدا من الذكور).
وقد حكى الله عن املهم الشرير هذا بقوله :
(ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)204.
ولقد كانت هذه النية الخبيثة , وهذه الفطرة الشريرة تراود ذهن الكثير من المشركين والمنافقين , ولم يكن عددهم بين اصحاب النبي (ص)بقليل .
ولكن النبي (ص) بنصبه خليفة قويا وجديرا بالخلافة يقود الامة من بعده وقد تحلى بسوابق جهادية وايمانية مشرقة , وتمتع بايمان , وصدق ,وثبات في سبيل الاسلام , فوت الفرصة على المعارضين لرسالته وخيب آمالهم , وابدلها بالياس والقنوط, وبهذا ضمن بقا الدين , ورسخ قوانمه وقواعده , واكمل الله بتعيين القائد والخليفة نعمة الاسلام , ولهذا نزل قول الله تعالى - بعد نصب علي (ع) لخلافة النبي (ص) يوم ((غدير خم)) -:
(اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا)205 206.
ثم ان هناك - مضافا الى الروايات المتواترة المذكورة التي تثبت ان مسالة خلافة النبي (ص) مسالة الهية , وانه ليس للناس اي خيار فيها -روايات تحكي عن ان النبي (ص) كان منذ الايام الاولى من دعوته في مكة ,يوم لم تشكل فيها حكومة في المدينة بعد, يرى ان مسالة خلافته مسالة الهية يعود امر البت والتعيين فيها الى الله وحده دون غيره .
فعندما اتى رئيس قبيلة ((بني عامر)) الى رسول الله (ص) في موسم الحج مثلا, وقال : ارايت ان نحن بايعناك على امرك , ثم اظهرك الله على من خالفك , ايكون لنا الامر من بعدك قال (ص): الامر الى الله يضعه حيث يشا207.
ان من البديهي ان امر مسالة القيادة والخلافة اذا كانت متروكة للناس , وانتخابهم لكان على النبي (ص) ان يقول : ((الامر الى الامة)) او ((الى اهل الحل والعقد)) ولكن النبي (ص) قال غير هذا وبذلك طابق كلام النبي (ص)في شان الخلافة كلام الله تعالى في شان الرسالة اذقال :
(الله اعلم حيث يجعل رسالته)208.

الاصل التسعون : تعيين الخليفة اصل متفق عليه

ان مسالة تنصيصية مقام الخلافة , وانه ليس للامة اي خيار ولا اي دورفي تعيين خليفة لرسول الله (ص) كان في ذهن الصحابة ايضا نعم كان في نظرهم هو ان ينص الخليفة السابق على الخليفة اللا حق بدل نص الله ونبيه , ولهذا نرى - كما هو من مسلمات التاريخ الاسلامي - ان الخليفة الثاني تم تعيينه ونصبه في منصب الخلافة بنص من الخليفة الاول .
ان تصور ان تعيين الخليفة الثاني بواسطة ابي بكر لم يكن قراراقطعيا, بل كان من باب ((الاقتراح)), يخالف ما ثبت من التاريخ , فان الخليفة الاول كان لا يزال على قيد الحياة عندما اعترض جماعة من الصحابة على هذا التعيين والنصب , وكان ((الزبير بن العوام)) احد اولئك المعترضين على ابي بكر في هذا التعيين , والنصب 209 وان من البديهي انه لو كان تعيين ابي بكر لعمر بن الخطاب من باب مجرد الاقتراح والترشيح حسب , لماكان لاعتراض الصحابة عليه اي مجال ولا مبرر.
هذا مضافا الى ان الخليفة الثالث هو الاخر تم تعيينه عن طريق شورى تالفت من (6) اشخاص عينهم الخليفة الثاني , وكان هذا نوعا من تعيين الخليفة الذي منع الاخرين من مراجعة الراي العام .
على ان فكرة مراجعة الراي العام , واختيار الخليفة بواسطة الناس لم يدر في خلد اصحاب النبي (ص) اساسا, وما ذكر في هذا الصعيد فيمابعد انما هو من تبريرات العلما والمفكرين , واما من يشار اليهم من الصحابة فقد كانوا

يعتقدون بان الخليفة يجب ان يعين وينصب من قبل الخليفة السابق لا غير.
وللمثال عندما جرح الخليفة الثاني , بعثت عائشة زوجة رسول الله (ص) رسالة شفوية الى الخليفة الثاني بواسطة ابنه ((عبد الله)) اذ قالت له : يابني ابلغ عمر سلامي وقل له : لا تدع امة محمد بلا راع , استخلف عليهم ,ولا تدعهم بعدك هملا, فاني اخشى عليهم الفتنة 210.
فاتى عبد الله اباه وكان طريح الفراش فحثه على تعيين الخليفة من بعده قائلا: اني سمعت الناس يقولون مقالة فليت ان اقولها لك وزعموانك غير مستخلف وانه لو كان لك راعي ابل - او راعي غنم - ثم جاك وتركها لرايت ان قد ضيع فرعاية الناس اشد 211.

الاصل الواحد والتسعون : ما هي وظائف الامام بعد وفاة الرسول (ص)؟

اشرنا في مطلع بحث الامامة الى ان خليفة النبي والامام انما هو في نظرالمسلمين من يقوم بوظائف رسول الله (ص) (ما عدا تلقي الوحي والاتيان بالشريعة) ونورد هنا ابرز هذه الوظائف لتتبين مكانة الامامة واهميتهابصورة اوضح .
الف : تبيين مفاهيم القرآن الكريم وحل معضلاته , وبيان مقاصده ,وهذا هو من ابرز وظائف النبي (ص) ويقول عنها القرآن الكريم : (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)212.
ب : بيان الاحكام الشرعية , فقد كان هذا العمل من وظائف النبي (ص)حيث كان يقوم بذلك عن طريق تلاوة الايات المتضمنة للاحكام حيناوعن طريق السنة حينا آخر.
ثم ان بيان الاحكام من جانب النبي تم بصورة تدريجية , ومتزامنا مع وقوع حوادث جديدة , وظهور احتياجات حديثة في حياة الامة , ومثل هذا الامر يقتضي بطبيعته ان تستمر هذه الوظيفة , لعدم انحصارالحاجات بما حدث في عصره (ص), هذا من جانب ومن جانب آخر لايتجاوز عدد الاحاديث التي وصلت الينا عن رسول الله (ص) حول الاحكام (500) حديث 213 ولا شك ان هذا القدر من الاحاديث الفقهية لا تسدحاجة الامة المتنامية , ولا توصلها الى مرحلة (الاكتفا الذاتي) في مجال التقنين .
ج : حيث ان النبي (ص) كان محورا للحق , وكان بتعليماته , يمنع من تطرق اي انحراف , وتسرب اي اعوجاج في عقائد الامة , لهذا لم يحدث اي تفرق عقائدي , واي تشتت مذهبي في عصره او لم يكن هناك ارضية لظهور ذلك .
د : الاجابة على الاسئلة الدينية والاعتقادية , فقد كان هذا العمل هو الاخرمن وظائف النبي (ص)الهامة .
هـ : اقامة القسط والعدل والامن العام الشامل في المجتمع الاسلامي ,وظيفة اخرى من وظائف النبي (ص).
و: حفظ الثغور, والحدود, والثروة الاسلامية تجاه الاعدا هو ايضامن مسؤوليات النبي الاكرم (ص), ووظائفه .
ان الوظيفتين الاخيرتين وان امكن القيام بهما من قبل الخليفة الذي تختاره الامة , لكن من المسلم والقطعي ان القيام بالوظائف السابقة (وهي بيان مفاهيم القرآن الكريم الخفية , الغامضة , وبيان احكام الشرع و و)يحتاج الى قائد واع خبير, يكون موضع عناية الله الخاصة , كما يكون في علمه صنو النبي ونظيره , اي ان يكون حاملا للعلوم النبوية ومصونا من كل خطا وزلل , ومعصوما من كل ذنب وخطل , ليستطيع القيام بالوظائف الجسيمة المذكورة , وليملا الفراغ الذي احدثه غياب النبي (ص) بسبب وفاته , في الظروف الزاخرة بالاحداث الحلوة والمرة , وبالوقائع الحرجة .
ان من البديهي ان تشخيص مثل هذا الشخص , والمعرفة به لايكال منصب القيادة اليه , خارج عن حدود علم الامة ونطاق معرفتها , ولا يمكن ان يتم بغير رسول الله (ص) وبالامر الالهي وتعيينهما اياه .
ومن الواضح ايضا ان تحقق الاهداف المذكورة رهن حماية الناس ,واستجابتهم واطاعتهم للقائد المعين , بواسطة النبي (ص) ومجرد التعيين الالهي والنص النبوي على الخليفة لا يكفي لتحقق الاهداف والوظائف السالفة (اذ لا راي لمن لا يطاع).
وهذا جار حتى في القرآن الكريم والنبي الاكرم (ص) نفسه , فانهما ما لم يطاعا لا تتحقق اهدافهما.
ان الحوادث السلبية , وتشتت كلمة المسلمين الذي حدث بعد وفاة رسول الله (ص) لم يكن بسبب ان النبي (ص) لم يقم بوظيفته الحكيمة (والعياذبالله), ولا لاجل انه لم يعرض على المسلمين اطروحة موضوعية وحكيمة لادارة الامة من بعده , او ان اطروحته كانت اطروحة ناقصة , بل حدث ما حدث من المشاكل الاليمة بسبب ان بعض افراد الامة رجحوانظرهم على نظر النبي (ص), وقدموا مصالحهم الشخصية على تنصيص الله ورسوله وتعيينهما.
ولم يكن هذا هو المورد الوحيد الذي حدثت فيه مثل هذه الواقعة في التاريخ بل لذلك نظائر عديدة في تاريخ الاسلام 214.

الاصل الثاني والتسعون : لزوم عصمة الامام

اثبتنا في الاصل السابق ان الامام والخليفة ليس قائدا عاديا, يقدر على ادارة دفة البلاد اقتصاديا, وسياسيا, وحفظ ثغور البلاد الاسلامية تجاه الاعدا فقط, بل ثمت وظائف اخرى يجب ان يقوم بها مضافا الى الوظائف المذكورة وقد اشرنا اليها في الاصل السابق .

ان الـقيام بهذه الوظائف الخطيرة مثل تفسير القرآن الكريم , وبيان الاحكام الشرعية , والاجابة على اسئلة الناس الاعتقادية , والحيلولة دون تسرب الانحراف الى العقيدة , والتحريف الى الشريعة , رهن علم واسع , لا يخطئ ولا يتطرق اليه الاشتباه , والاشخاص العاديون اذا تولوا هذه الامور لن يكونوا في مامن عن الخطا والزلل .
علـى انـه يـجـب ان نـعلم بان العصمة لا تساوي النبوة , ولا تلازمهاولا تستلزمها, لانه ربما يكون الشخص معصوما عن الخطا ولكن لا يتمتع بمقام النبوة اي لا يكون نبيا.
واوضـح نـمـوذج لذلك السيدة مريم العذرا التي مرت الاشارة الى ادلة عصمتها, عند الحديث عن عصمة الانبيا والرسل 215.
ثم ان هناك ـ مضافا الى التحليل والاستدلال العقلي السابق ـ اموراتدل على عصمة الامام نذكر هنا بعضها:
1 تعلق ارادة الله القطعية والحتمية بطهارة اهل البيت عن ((الرجس))كما قال تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)216.
ان دلالـة هـذه الاية على عصمة اهل البيت (ع) تكون على النحوالتالي : ان تعلق ارادة الله الخاصـة بـطـهـارة اهـل البيت من اي نـوع من انواع الرجس يلازم عصمتهم من الذنوب والمعاصي , لان الـمقصودمن تطهيرهم من ((الرجس)) في الاية هو تطهيرهم من اي نوع من انواع القذارة الفكرية والروحية , والعملية التي من ابرزها المعاصي والذنوب .
وحـيث ان هذه الارادة تعلقت بافراد مخصوصين لا بجميع الافراد,فانها تختلف عن ارادة التطهير التي تعلقت بالجميع بدون استثنا.
ان ارادة التطهير التي تشمل عامة المسلمين ارادة تشريعية217 وما اكثر الموارد التي تتخلف فيها هذه الارادة , ولا تتحقق بسبب تمردالاشخاص , وعدم اطاعتهم للاوامر والنواهي الشرعية في حين ان هـذه الارادة ارادة تـكـوينية لا يتخلف فيها المراد والمتعلق (وهو العصمة عن الذنب والمعصية) عنها ابدا.
والـجـديـر بـالذكر ان تعلق الارادة التكوينية الالهية بعصمة اهل البيت (ع) لا توجب سلب الاختيار والـحـريـة عـنـهـم تماما كما لا يوجب تعلق الارادة التكوينية الالهية بعصمة الانبيا سلب الاختيار والحرية عن الانبيا ايضا (وقد جا تفصيل هذا الموضوع في كتب العقائد).
2 ان ائمـة اهل البيت (ع) يمثلون بحكم حديث الثقلين الذي قال فيه رسول الله : ((اني تارك فيكم الـثـقـلين كتاب الله وعترتي)) عدل القرآن الكريم , يعني انه كما يكون القرآن الكريم مصونا من اي لـون مـن الوان الخطا والاشتباه , كذلك يكون ائمة اهل البيت مصونين من اي لون من الوان الخطا الفكري , والعملي , ومعصومين من اي نوع من انواع الزلل والخطل .
وهذا المطلب واضح تمام الوضوح , اذا امعنا في العبارات التي جات في ذيل الحديث المذكور.
الف : ((ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا)).
ب : ((انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).
لان مـا يـكـون الـتـمـسك به موجبا للهداية وانه لا يفترق عن القرآن (المصون والمعصوم) مصون ومعصوم هو كذلك .
3 لـقد شبه رسول الله (ص) اهل بيته بسفينة نوح التي ينجو من الغرق من ركبها ويغرق في الامواج مـن تـخـلـف عـنـهـا, اذ قـال : ((انـما مثل اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق))218.
بـالـنـظر الى هذه الادلة التي بينها بصورة موجزة تكون عصمة اهل البيت واضحة , وحقيقة مبرهنا عليها.
ومن الجدير بالذكر ان الادلة النقلية على عصمة اهل البيت (ع) لاتنحصر في ما ذكرناه .

الاصل الثالث والتسعون : الائمة الاثنا عشر

ان معرفة الامام تمكن من طريقين :
الف : نص النبي (ص) على امامة شخص خاص .
ب : نص الامام المعصوم السابق على الامام اللاحق .
ان امامة الائمة الاثني عشر ثبتت من خلال الطريقين المذكورين معاي عن طريق نص النبي (ص) حسـب الـروايـات الـمروية عنه (ص) في هذاالمجال وكذا عن طريق الائمة (ع), حيث نص الامام السابق على الامام اللاحق .
ونـحـن رعـايـة للاختصار نورد هنا حديثا واحدا في هذاالصعيد219 تفيد ان النبي الاكرم (ص) لم يكتف بنصب علي (ع), بل ذكربانه سيخلفه (ص) اثنا عشر اماما تتحقق بهم عزة الاسلام اذ قال : ((لا يزال الدين منيعا الى اثني عشر خليفة)).
وقد وردت هذه الاحاديث الدالة على وجود اثني عشر خليفة في اوثق صحاح اهل السنة ايضا 220.
ومن المسلم ان هؤلا الخلفا الاثني عشر الذين تتوقف عليهم عزة الاسلام ومنعته ومضاؤه , لا تنطبق صـفـاتـهـم الا على ائمة الشيعة الاثني عشر اذ لم تكن تلك الاوصاف تتوفر في الخلفا الامويين ولا العباسيين قط.
وائمة الشيعة الاثنا عشر هم :
1 امـير المؤمنين علي بن ابي طالب (المولود قبل البعثة بعشرسنوات والمستشهد عام 40 هجري) والمدفون في النجف الاشرف .

2 الامام الحسن بن علي (المجتبى) (3 - 50 ه ق) المدفون في البقيع بالمدينة .
3 الامام الحسين بن علي سيد الشهدا (4 - 61 ه ق) المدفون في كربلا.
4 الامام علي بن الحسين بن علي زين العابدين (38 - 94 ه ق)المدفون في البقيع .
5 الامام محمد بن علي باقر العلوم (57 - 114 ه ق) المدفون في البقيع .
6 الامام جعفر بن محمد الصادق (83 - 148 ه ق) المدفون في البقيع .
7 الامام موسى بن جعفر الكاظم (128 - 183 ه ق) المدفون في الكاظمية قرب بغداد.
8 الامام علي بن موسى الرضا (148 - 203 ه ق) المدفون في خراسان بايران .
9 الامام محمد بن علي الجواد (195 - 220 ه ق) المدفون في الكاظمية .
10 الامام علي بن محمد الهادي (212 - 254 ه ق) المدفون في سامرا بشمال بغداد.
11 الامام الحسن بن علي العسكري (233 - 260 ه ق) المدفون في سامرا.
12 الامام محمد بن الحسن المعروف بالمهدي , والحجة - عجل الله فرجه الشريف - وهو الامام الثاني عشر, وهو حي حتى يظهر بامر الله (طبقا للوعود الواردة في القرآن في سورة النور / 54, وسورة التوبة / 33وسورة الفتح / 28 وسورة الصف / 9) ويقيم الحكومة الالهية على كل الكرة الارضية221 .
ولقد جات تفاصيل حياة ائمة الشيعة الاثني عشر في كتب التاريخ والسيرة وحيث ان الامام الثاني عشر لا يزال حيا, ويتولى منصب الامامة بارادة الله تعالى , لهذا سنذكر نقاطا حول هذا الامام فيما بعد.

الاصل الرابع والتسعون : مودة اهل البيت (ع)

ان محبة اهل البيت (ع) من الامور التي اكد عليها القرآن والسنة كما قال تعالى : (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى)222.
والمقصود من ((القربى)) هم اقربا النبي (ص) بقرينة ان طالب هذاالامر هو النبي نفسه .
ان محبة اهل البيت وموادتهم - مضافا الى كونها كمالا كبيرا - تسبب في ان يحاول الشخص المحب ان يجعل نفسه مشابها للمحبوب ,ويقتدي به في كسب الفضائل , والاجتناب عن الرذائل .
ولقد جا في الاحاديث المتواترة الصادرة عن النبي الاكرم (ص) بان محبة اهل البيت علامة الايمان , وبغضهم علامة النفاق والكفر, وان من احبهم فقد احب الله والنبي , وان من عاداهم فقد عادى الله ورسوله (ص).

الامام الثاني عشر

الغيبة والظهور

ان الحديث حول كل واحد من هؤلا الائمة الاثني عشر خارج عن نطاق هذه الرسالة المختصرة , وانما تجدر الاشارة الى مسالة اخرى وهي : مسالة الاعتقاد بوجود امام العصر الذي يقضي ايام حياته خلف ستار الغيبة , ريثما ياذن الله له بالظهور فيملا الارض قسطا وعدلا بعد ان ملئت ظلما وجورا, ويقيم حكومة الله على المعمورة جمعا, وفيما يلي بعض النقاط حول هذه المسالة .

الاصل الخامس والتسعون : ظهور مصلح عالمي في آخر الزمان

ان ظهور رجل من اهل بيت الرسالة لاقامة حكومة الله العادلة العالمية في مستقبل الحياة البشرية (بعد ان تملا الارض ظلما وجورا) من مسلمات العقائد الاسلامية التي اتفق عليها جمهور المسلمين , ونقلوا في هذاالمجال احاديث بلغت حد التواتر.
فهناك - طبق بعض احصاات اهل التحقيق من العلما - حوالي657 حديثا حول هذه المسالة نذكر منها حديثا واحدا رواه ((احمد بن حنبل)) في مسنده :
قال النبي (ص): ((لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي فيملاها عدلا وقسطا كما ملئت ظلماوجورا)) 223.
وعلى هذا الاساس يكون قيام رجل من اهل البيت النبوي وظهوره في آخر الزمان موضع اتفاق بين المسلمين شيعة وسنة .

الاصل السادس والتسعون : المصلح العالمي هو الامام المهدي - عجل الله فرجه الشريف

لـقـد جات خصوصيات هذا المصلح العالمي في الروايات الاسلامية نقلها الفريقان , وهي على النحو التالي :
1 انه من اهل بيت النبي (ص) 389 رواية .
2 انه من اولاد الامام علي (ع) 214 رواية .
3 انه من اولاد فاطمة الزهرا (ع) 192 رواية .
4 انه تاسع ولد الحسين (ع) 148 رواية .
5 انه من اولاد الامام علي بن الحسين (ع) 185 رواية .
6 انه ابن الامام الحسن العسكري 146 رواية .
7 انه الثاني عشر من ائمة اهل البيت 136 رواية .
8 الروايات التي تتحدث عن ولادته 214 رواية .
9 الروايات التي تقول : انه يعمر طويلا , 318 رواية .
10 الروايات التي تقول : ان غيبته ستكون طويلة , 91 رواية .
11 الروايات التي تقول : ان الاسلام سيصير عالميا عند ظهوره , 27رواية .
12 الروايات التي تقول : ان الارض ستملا عدلا وقسطا عندظهوره , 132 رواية .
وعلى هذا الاساس فان وجود مثل هذا المصلح العالمي في مستقبل البشرية امر مقطوع به ومسلم من حيث الروايات والاحاديث الاسلامية بحيث لا يمكن الشك او التشكيك فيه .
واما ما وقع الخلاف فيه فهو ولادته , وانه هل ولد هذا الرجل من امه ولا يزال منذ ولادته حيا, ام انه سيولد في المستقبل ؟.
يذهب الشيعة وفريق من اهل التحقيق من اهل السنة الى الراي الاول , فيعتقدون بان الامام المهدي ولد من امه (نرجس) عام 255 ه وهولا يزال حيا الى هذا اليوم .
وذهب فريق من اهل السنة الى انه سيولد فيما بعد.
وحيث اننا نحن الشيعة نعتقد بان الامام المهدي (ع) ولد عام 255هجرية , وهو لا يزال على قيد الحياة الى هذه الساعة , لهذا لابد من ان نذكر بنقاط حول غيبته وطول عمره في هذه الرسالة في حدود ما يسعه هذا المختصر.

الاصل السابع والتسعون : الامام المهدي ولي الهي غائب عن الانظار

ان اوليا الله ـ حسب نظر القرآن ـ على نوعين :
ولي ظاهر يعرفه الناس .
وولي غائب عن انظار الناس لا يعرفه احد منهم , وان كان يعيش بينهم , ويعرف هو احوالهم واخبارهم .
وقد ذكر في سورة الكهف كلا النوعين من الاوليا في مكان واحداحدهما ((موسى بن عمران)) والاخر مصاحبه ورفيقه المؤقت , الذي صحبه في سفره البري والبحري , ويعرف بالخضر.
ان هذا الولي الالهي كان بحيث لم يعرفه مصاحبه ومرافقه النبي موسى وانما صاحبه ورافقه بتعليم وامر من الله , واستفاد من علمه خلال مرافقته اياه كما يقول تعالى : (فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندناوعلمناه من لدنا علما # قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا)224.
ثم ان القرآن الكريم يقدم شرحا مفصلا عما فعله هذا الولي الالهي من اعمال مفيدة , ذلك الذي لم يكن احد حتى النبي موسى (ع) يعرفه ,ولكن كانوا يستفيدون من آثار وجوده المبارك ومن افعاله المفيدة225 .
ان الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف على غرار مرافق موسى (ع), ولي غير معروف للناس مع انه في نفس الوقت منشا لاثارطيبة للامة اي لا يعرفه احد منهم مع انهم يستفيدون من بركات وجوده الشريف .
وبهذا لا تكون غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف بمعنى الانفصال عن المجتمع , بل هو ـ كما جا في روايات المعصومين (ع) كذلك مثل ((الشمس خلف السحاب لا ترى عينها, ولكنها تبعث الدف والنور الى الارض وساكنيها))226.
هذا مضافا الى ان فريقا من الابرار والطيبين الاتقيا الذين كانوايتمتعون باللياقة والاهلية للتشرف بلقا الامام المهدي قد راوه والتقوا به واستفادوا من ارشاداته , وعلومه , واستفاد الاخرون من هذا الطريق , من آثاره المباركة وبركات وجوده الشريف .

الاصل الثامن والتسعون : وكلا الامام المهدي ـ عجل الله فرجه الشريف

ان الطريقة المتعارفة والمعمول بها بين البشر ـ ماضيا وحاضرا ـ هو ان الحاكم والقائد يقوم ببعض الاعمال بنفسه مباشرة , ويقوم بالبعض الاخروكلاؤه ونوابه .
صحيح ان عللا مختلفة تسببت في غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف فحرمت البشرية من الاستفادة المباشرة من ذلك الامام ولكنه ولحسن الحظ لم يغلق باب الاستفادة من وكلائه ونوابه ـ وهم الفقها العدول الاتقيا ـ في

وجه اتباعه , ومريديه .
فالفقها والمجتهدون الاجلة كانوا ولا يزالون نواب الامام المهدي الذين اوكل امر بيان الامور الشرعية والحكومية وادارة شؤون المجتمع الاسلامي في عصر الغيبة اليهم .
هذا مع العلم بان حرمان الامة الاسلامية من آثار حضور الامام المهدي كان لعلل وظروف خاصة جعلت غيبته امرا لا مناص منه .

الاصل التاسع والتسعون : غيبة بعض الانبيا والاوليا في الامم السابقة

ان علة غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف هي من الاسرارالالهية التي لا نستطع الوقوف على حقيقتها وكنهها, كما ان لهذه الغيبة المؤقتة نظائر في حياة اوليا الله السابقين والامم السابقة .
فقد غاب النبي موسى الكليم (ع) عن امته اربعين يوما, وقضى كل هذه المدة في الميقات 227.
وغاب السيد المسيح (ع) بمشيئة الله عن انظار امته , فلم يقدراعداؤه على قتله , والقضا عليه228 .
وغاب النبي يونس (ع) عن قومه مدة من الزمان229 .
اذن فليست غيبة الامام المهدي (ع) عن انظار الناس بدعا من الامركما لا يصح ان تقع هذه الغيبة مهما طالت ذريعة لانكار اصل وجودالمهدي (ع).
واساسا ان كل ما يثبت عن طريق النقل المتواتر, ولكن لا يقدرالانسان على التحقق منه , ومشاهدته لا يجوز له ان ينكره او يتردد في القبول به مادام روي ونقل بالتواتر الموجب للاطمئنان , لان قسما من الاحكام الالهية التي هي من مسلمات الدين الاسلامي وضروریاته سيتعرض للترديد والانكار اذا تجاهلنا هذه القاعدة العقلائية الصائبة ,وهذا الامر العرفي المعقول جدا.
وغيبة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف ليس بمستثنى من هذه القاعدة , وعدم الاطلاع على سرها او اسرارها الحقيقية لا يجوزالترديد فيها, وانكارها.
ومع ذلك فاننا يجب ان نقول : انه من الممكن ادراك سر الغيبة هذه في حدود فكرنا البشري وهذا السر هو ما يلي : حيث ان آخر حجة من حجج الله وآخر امام من ائمة اهل البيت قداراد الله تعالى ان يحقق به الامنية الكبرى (وهي بسط العدل والقسطورفع راية التوحيد على كل ربوع الارض) وهذه الامنية الكبرى وهذاالهدف العظيم لا يمكن ان يتحقق الا بعد مرور ردح من الزمان , والا بعدتكامل العقل البشري وتهيؤه الروحي والنفسي لذلك , حتى يستقبل العالم - بشوق ورغبة - موكب الامام والمصلح العالمي , موكب العدل والحرية والسلام , لهذا فان من الطبيعي ان هذا الامام لو ظهر بين الناس ,وعاش بين ظهرانيهم قبل نضوج الامر, وحصول المقدمات اللازمة ,والارضية المناسبة , كان مصيره وملهه , مصير من سبقه من آبائه من الائمة الكرام البررة (اي الشهادة), ولقتل (ع) قبل ان يتحقق ذلك الهدف العظيم , وتلك الامنية الكبرى على يديه .
ولقد اشير الى هذه الحكمة في بعض الروايات الصادرة عن اهل البيت (ع) ايضا.
فقد روي عن الامام الباقر(ع) انه قال : ((ان للقائم غيبة قبل ظهوره)).
يقول الراوي : قلت : ولم ؟.
فقال الامام الباقر: ((يخاف (اي القتل)))230.
اي منعا من ان يقتل قبل تحقق الهدف المنتظر منه .
وربما ذكر وجه آخر لغيبته في بعض الروايات وهي اختبار الناس وتمحيصهم , وامتحانهم , يعني ان الناس يختبرون في عصر الغيبة ,ويمرون بالامتحان الالهي , ويعرف مدى ثباتهم على طريق الايمان ,ومدى استقامتهم في طريق الايمان والعقيدة 231.

الاصل المائة : وجود الامام المعصوم لطف الهي في حضوره وغيابه

ان البراهين الكلامية ترى ان وجود الامام المعصوم في المجتمع ,وحضوره بين الناس لطف من الطاف الله الكبرى لكونه سببا لهداية الناس .
ومن البديهي ان الناس اذا رحبوا بهذا المظهر البارز من مظاهراللطف الالهي واستقبلوه , والتفوا حوله , انتفعوا بثار وجوده المباركة .
والا حرموا من الاستفادة الكاملة والانتفاع التام من نعمة وجوده الشريف .
وفي هذه الحالة لا يكون السبب في هذا الحرمان الا الناس انفسهم ,لا الله ولا الامام 232.

الاصل الواحد بعد المائة : الامام المهدي وطول العمر

لقد ولد الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف عام 255 هجرية , وعلى هذا الاساس يكون عمره الان (عام 1418 ه) قد تجاوز احد عشر قرنا.
ان الاذعان بهذا العمر الطويل جدا, مع اخذ القدرة الالهية المطلقة بعين الاعتبار ليس امرا مشكلا.
وفي الحقيقة ان الذين يعتبرون طول عمر الامام المهدي (ع)مشكلة في طريق الايمان بوجوده , ومانعا من القول بولادته , يغفلون عن قدرة الله اللامتناهية فهم كمن قال عنهم سبحانه : (وما قدروا الله حق قدره)233.
هذا مضافا الى ان في الامم السالفة معمرين كثيرين عاشوا طويلاذكرهم القرآن الكريم .
فقد ذكر ان نوحا عاش في قومه الف سنة الا خمسين عاما 2.
كما ان العلم البشري الحديث يسعى في عصرنا الى ان يحل مشكلة طول العمر, بالاساليب العلمية , والصحية .
وهذا يفيد ان الانسان يمكن ـ في نظر العلما ـ ان يعيش طويلا بعدرفع الموانع التي تحول دون العمر الطويل .
ان الله قادر على اطالة عمر من يريد الى يوم القيامة اذا شا, اليس هو القائل بان يونس لو لم يكن من المسبحين للبث في بطن الحوت الى يوم الدين234 .
الا يستطيع هذا الاله الخالق القادر ان يطيل عمر حجته البالغة ,وخليفته الحق بلطفه وعنايته ؟.
الجواب هو: نعم .

الاصل الثاني بعد المائة : علائم ظهور الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف

لا يعرف احد بوقت ظهور الامام المهدي قط, فهذه الحقيقة من الاسرارالالهية , مثل موعد يوم القيامة , الذي لا يعرف به احد الا الله وحده .
ولهذا يجب ان لا يصدق زعم من يدعي انه يعلم بوقت ظهورالامام المهدي , او يعين وقتا, ويضرب اجلا معينا لذلك , (كذب الوقاتون)235.
ولو اننا تجاوزنا مسالة توقيت ظهور الامام المهدي (ع), وجب ان نقول : ان الروايات ذكرت علائم كلية لظهور الامام المهدي وهي تنقسم الى نوعين :
1 العلائم الحتمية القطعية .
2 العلائم غير الحتمية .
ويطلب التفصيل مما كتب حول الامام المهدي من الموسوعات .

كليات في العقيدة

7.الفصل الثامن

عالم ما بعد الموت

الاصل الثالث بعد المائة : يوم القيامة

تتفق جميع الشرائع السماوية في لزوم الايمان بالاخرة ووجوب الاعتقادبالقيامة , فقد تحدث الانبيا جميعا ـ الى جانب التوحيد ـ عن المعاد,وعالم ما بعد الموت ايضا وجعلوا الايمان باليوم الاخر في طليعة ما دعواااليه .
وعلى هذا الاساس يكون الاعتقاد بالقيامة من اركان الايمان في الاسلام .
ان مسالة المعاد وان طرحت في كتاب العهدين (التوراة والانجيل معا) الا انها طرحت في العهد الجديد بشكل اوضح , ولكن القرآن الكريم اهتم بهذه المسالة اكثر من جميع الكتب السماوية الاخرى , حتى انه اختص قسم عظيم من الايات القرآنية بهذا الموضوع .
وقد اطلق على المعاد في القرآن الكريم اسما كثيرة مثل : يوم القيامة , يوم الحساب , اليوم الاخر, يوم البعث وغير ذلك .
وعلة كل هذا الاهتمام والعناية بمسالة القيامة هي ان الايمان والتدين من دون الاعتقاد بيوم القيامة غير مثمر.

الاصل الرابع بعد المائة : ضرورة المعاد

لقد اقام الحكما والمتكلمون المسلمون ادلة عديدة ومتنوعة على ضرورة المعاد, وحياة ما بعد الموت , وفي الحقيقة كان القرآن الكريم هومصدر الالهام في جميع هذه الادلة .
من هنا فاننا نذكر بعض الدلائل القرآنية على هذه المسالة :
الف : ان الله تعالى حق مطلق , وفعله كذلك حق , منزه عن اي باطل ولغو وخلق الانسان من دون وجود حياة خالدة

سيكون لغوا وعبثا كماقال :
(افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)236.
ب : ان العدل الالهي يوجب ان لا يعامل المحسنون والمسيئون في مقام الجزا على شكل واحد.
ومن جانب آخر انه لا يمكن تحقق العدالة الكاملة بالنسبة الى الثواب والعقاب في الحياة الدنيوية , لان مصير كلا الفريقين في هذا العالم متداخلين وغير قابلين للتفكيك والفصل .
ومن جهة ثالثة فان لبعض الاعمال الصالحة , والطالحة جزا لا يسع له نطاق هذا العالم .
فمثلا هناك من ضحى بنفسه في سبيل الحق , وهناك من خضب الارض بدما المؤمنين .
ولهذا لا بد من وجود عالم آخر يتحقق فيه العدل الالهي الكامل في ضؤالامكانات غير المتناهية كما قال : (ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار)237.
ويقول ايضا: (اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بماكانوا يكفرون)238.

ج : ان خلق البشر بدا في هذا العالم من ذرة حقيرة ثم ترقى في مدارج الكمال الجسمي شيئا فشيئا, حتى بلغ مرحلة نفخت فيها الروح في جسمه .
وقد وصف القرآن الكريم , خالق الكون بكونه ((احسن الخالقين))نظرا الى تكميل خلق هذا الموجود المتميز.
ثم انـه يـنـتقل بالموت من منزله الدنيوي الى عالم آخر, يعتبر كمالاللمرحلة المتقدمة وقد اشار القرآن الكريم الى هذا المعنى اذ قال : (ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين # ثم انكم بعد ذلك لميتون # ثم انكم يوم القيامة تبعثون)239.

الاصل الخامس بعد المائة : جواب الشبهات المثارة حول المعاد

لـقـد طـرح منكروا القيامة والمعاد في عصر نزول القرآن , شبهات رد عليهاالقرآن , ضمن توضيحه لادلة وجود المعاد.
وفيما يلي بعض هذه الموارد:
الف : تارة يؤكد القرآن الكريم على قدرة الله المطلقة فيقول :
(الى الله مرجعكم وهو على كل شي قدير)240.
ب : وتارة يذكر بان الذي يقدر على خلق الانسان ابتدا قادر على اعادته , ولملمة رفاته , وارجاع الروح اليه ثانية .
فهو مثلا ينتقد قول المنكرين للمعاد قائلا: (فسيقولون من يعيدنا)؟.
ثم يقول : (قل الذي فطركم اول مرة)241.
ج : وفـي بـعـض الموارد يشبه احيا الانسان بعد موته باعادة الحياة الى الارض في فصل الربيع بعد رقـدة شتائية من جديد وولوج الحياة في الطبيعة وعلى هذا يقيس المعاد وعودة الروح الى الموتى قـال تعالى :(وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج #ذلك بـان الله هـو الـحـق وانـه يحيي الموتى وانـه على كل شي قدير # وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور)242.
د : فـي الاجـابـة عـلـى هـذه الشبهة التي تقول ((من يحيي العظام)) وقد اصبحت رميما, وكيف يجمعها وقد ضاعت في الارض ويخلق منها جسداكالجسد الاول ؟ يقول سبحانه : (بلى وهو الخلا ق العليم)243.
وفـي مـوضع آخر يخبر عن ذلك العلم الواسع قائلا: (قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ) 2.
هـ : ربـما يتصور ان الانسان يتالف من اجزا جسمانية , واعضا مادية تنحل بموته وتستحيل الى تراب فـكـيف يكون الانسان يوم القيامة هو عينه في الحياة الدنيا, وبعبارة اخرى ما هي الصلة بين البدن الدنيوي والاخروي كي يحكم بوحدتهما؟.
والقرآن ينقل تلك الشبهة عن لسان الكافرين ويقول : (اذا ضللنا في الارض انا لفي خلق جديد)244.
ثم يعود ويجيب عليها بقوله : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون) 4.
ويكمن حاصل الجواب في الوقوف على معنى ((التوفي)) الماخوذفي الاية الذي هو ((الاخذ)), وهو يعرب ان للانسان ورا البدن الذي يبلى حين موته شيئا آخر ياخذه ملك الموت وهي الروح , فحينها تتضح اجابة القرآن عن الشبهة .
وهي ان ملاك وحدة البدنين والحكم بان البدن الاخروي هو عين البدن الدنيوي ـ مضافا الى وحدة الاجزا ـ هي الروح الماخوذة من قبل ملك الموت , فاذا ولجت نفس الاجزا يكون المعاد عين المبتدا.
فـيستفاد من هذه الاية ونظائرها ان الانسان المحشور يوم البعث هوعينه الموجود في نشاة الدنيا, قال سبحانه : (قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم)245.

الاصل السادس بعد المائة : معاد الانسان هو جسماني وروحاني

صـرحـت الايـات القرآنية والاحاديث على ان معاد الانسان : جسماني وروحاني , ويراد من الاول هو حـشـر الانـسان ببدنه في النشاة الاخرى ,وان النفس الانسانية تتعلق بذلك البدن في تلك النشاة فيثاب او يعاقب بامور لا غنى في تحققها عن البدن والقوى الحسية .
ويـراد مـن الـثاني ان للانسان ورا الثواب والعقاب الحسيين لذات والا م روحية ينالها الانسان دون حاجة الى البدن , وقد اشير الى هذا النوع من الجزا في قوله سبحانه : (ورضوان من الله اكبر ذلك هو الـفـوز الـعـظـيـم) 2,وقـال سـبـحانه : (وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون)246.
فرضوانه سبحانه من اكبر اللذائذ للصالحين , كما ان الحسرة من اكبر الالام للمجرمين .

الاصل السابع بعد المائة : البرزخ

لـيـس الـموت نـهاية للحياة وانعدامها, بل انتقال من نشاة الى اخرى , وفي الحقيقة الى حياة خالدة نـعبر عنها بالقيامة , بيد ان بين النشاتين نشاة ثالثة متوسطة تدعى بالبرزخ , والانسان بموته ينتقل الـى تـلـك الـنـشـاة حـتـى قـيـام الـسـاعـة , الا انـنـا لا نعلم عن حقيقتها شيئا, سوى ما جا في القرآن والاحاديث , ولنذكر طائفة من الايات القرآنية بغية التعرف

على ملامح تلك النشاة .
الف : ان المحتضر اذا وقف على سوء مصيره يتمنى عوده الى الدنياليتدارك ما فات منه , يقول سبحانه : (حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون# لعلي اعمل صالحا فيما تركت)247.
ولكن يخيب سعيه , ويرد طلبه , ويقال له : (كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون)248.
والاية تحكي عن وجود حياة برزخية مخفية للمشركين .
ب : ويصف حياة المجرمين , لاسيما آل فرعون , بقوله : (الناريعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب)249.
فالاية تحكي عن ان آل فرعون يعرضون على النار صباحا ومسا,قبل القيامة واما بعدها فيقحمون في النار.
ج : ويصف سبحانه حياة الشهدا في تلك النشاة , بقوله : (ولا تقولوالمن يقتل في سبيل الله اموات بل احيا ولكن لا تشعرون)250.
ويصف في آية اخرى حياة الشهدا بقوله : (فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون)251.

الاصل الثامن بعد المائة : السؤال في القبر

تبتدا الحياة البرزخية بقبض الروح عن البدن , وعندما يودع بدن الانسان في القبر, ياتي اليه ملائكة الرب فيسالونه عن التوحيد والنبوة واموروعقائدية اخرى , ومن الواضح ان اجابة المؤمن ستختلف عن اجابة الكافروبالتالي يكون عالم البرزخ مظهرا من مظاهر الرحمة للمؤمن , او مصدرامن مصادر النقمة والعذاب للكافر.
ان السؤال في القبر وما يستتبع من الرحمة او العذاب من الامورالمسلمة عند ائمة اهل البيت , وفي الحقيقة ان القبر يعد اولى المراحل للحياة البرزخية التي تدوم الى ان تقوم الساعة .
ولقد صرح علما الامامية في كتب العقائد التي الفوها بما قلناه .
فقد قال الشيخ الصدوق (ره): اعتقادنا في المسالة في القبر, انه حق لابد منها, فمن اجاب بالصواب فاز بروح وريحان في قبره , وبجنة النعيم في الاخرة , ومن لم يجب بالصواب فله نزل من حميم في قبره , وتصلية جحيم في الاخرة 252.
وقال الشيخ المفيد في كتابه ((تصحيح الاعتقاد)): جات الاثارالصحيحة عن النبي (ص) ان الملائكة تنزل على المقبورين فتسالهم عن اديانهم , والفاظ الاخبار بذلك متقاربة فمنها ان ملكين لله تعالى يقال لهماناكر ونكير ينزلان على الميت فيسالانه عن ربه ونبيه ودينه وامامه , فان اجاب بالحق سلموه الى ملائكة النعيم , وان ارتج عليه سلموه الى ملائكة العذاب 253.
وقال المحقق نصير الدين الطوسي في كتابه : ((تجريد الاعتقاد))ايضا: وعذاب القبر واقع لامكانه , وتواتر السمع بوقوعه 254.
ومن راجع كتب العقائد لدى سائر المذاهب الاسلامية اتضح له ان هذه العقيدة هي موضع اتفاق بين جميع المسلمين , ولم ينسب انكارعذاب القبر الا الى شخص واحد هو ((ضرار بن عمرو))255.

الاصل التاسع بعد المائة : تفسير المعاد بالتناسخ ورده

لقد اتضح مما سبق ان حقيقة المعاد هي ان الروح بعد مفارقتها للجسدتعود مرة اخرى - وباذن الله ومشيئته - الى نفس البدن الذي عاشت به ليلقى الانسان جزا ما عمله في الدنيا, في العالم الاخر, ان خيرا فخير,وان شرا فشر.
ولكن ثمت من ينكر ((المعاد)) الذي دعت الشرائع السماوية الى الايمان به , وان اقروا بمسالة الثواب والعقاب , الذي يلحق اعمال البشر,الا انهم فسروه عن طريق ((التناسخ)).
انهم ادعوا ان الروح تعود مرة اخرى الى العالم الدنيوي عن طريق تعلقها بالجنين , وعبر طي مراحل الرشد والنمو, ويطوي دورات الطفولة , والشباب , والشيخوخة , غاية ما في الامر, يحظى اصحاب الاعمال الصالحة بحياة لذيذة جميلة , بينما يعاني اصحاب الاعمال الفاسدة من حياة مرة وقاسية فهي اذن ولادة جديدة , تتبعها حياة سعيدة او تعيسة .
ولقد كان لعقيدة التناسخ هذه على طول التاريخ البشري انصارومؤيدون , وتعد احدى اصول الديانة الهندوسية .
ويجب ان ننتبه الى هذه النقطة , وهي ان النفوس والارواح البشرية اذا سلكت طريق التناسخ بصورة دائمية لم يبق مجال للمعاد والقيامة ,والحال ان الاعتقاد بالمعاد امر ضروري وبديهي في ضوء ادلته وبراهينه العقلية والنقلية .
وفي الحقيقة لابد ان يقال : ان القائلين بالتناسخ حيث انهم لم يتمكنوا من تصور ((المعاد)) بصورته الصحيحة احلوا ((التناسخ)) محله , واعتقدوا به ,بدل الاعتقاد بالمعاد.
ان التناسخ في المنطق الاسلامي يستلزم الكفر, ولقد بحث في كتبناالاعتقادية واثبت بطلانه , وعدم انسجامه مع العقائد الاسلامية بشكل مفصل , ونحن نشير هنا الى ذلك باختصار:
1 ان النفس والروح البشرية تكون قد بلغت عند الموت مرتبة من الكمال .
وعلى هذا الاساس فان تعلق الروح المجدد بالجنين بحكم لزوم التناسق والانسجام بين ((النفس)) و ((البدن))

يستلزم تنزل النفس من مرحلة الكمال الى مرحلة النقص , والفعلية الى القوة , وهو يتنافى مع السنة الحاكمة على عالم الخلق (المتمثلة في السير التكاملي للموجودات من القوة الى الفعل).
2 اذا قبلنا بان النفس تتعلق بعد الانفصال من البدن , ببدن حي آخر,فان هذا يستلزم تعلق نفسين ببدن واحد, ونتيجته هي الازدواجية في الشخصية , ومثل هذا المطلب يتنافى مع الادراك الوجداني للانسان عن نفسه التي لا تمتلك الا شخصية واحدة لا شخصيتين 256.
3 الاعتقاد بالتناسخ مع انه يتنافى مع السنة الحاكمة على نظام الخلق يعتبر بنفسه ذريعة للظالمين والنفعيين الذين يرون ان عزتهم ورفاههم الفعليين نتيجة لطهارة اعمالهم في حياتهم المتقدمة , ويرون ان شقا الاشقيا كذلك نتيجة لسوء اعمالهم في المرحلة السابقة , وبهذايبرر هؤلا الظلمة اعمالهم القبيحة , ووجود الظلم والجور في المجتمعات التي تخضع لسلطانهم .

الاصل العاشر بعد المائة : الفرق بين التناسخ والمسخ

في ختام البحث حول التناسخ من الضروري ان نجيب على سؤالين :
السؤال الاول : لقد صرح القرآن الكريم بوقوع حالات من المسخ في الامم السابقة , حيث تحول البعض الى قردة , والبعض الاخر الى خنازيركما يقول تعالى :
(وجعل منهم القردة والخنازير)257.
فكيف تحقق المسخ اذا كان التناسخ باطلا؟.
الجواب : ان ((المسخ)) يختلف عن ((التناسخ)) الاصطلاحي , لان في التناسخ تتعلق الروح بعد انفصالها من بدنها بجنين او ببدن آخر.
ولكن في المسخ لا تنفصل الروح عن البدن بل يتغير شكل البدن وصورته , ليرى العاصي والمجرم نفسه في صورة القرد والخنزير, فيتالم من ذلك .
وبعبارة اخرى : ان نفس الانسان لا تتنزل من المقام الانساني الى المقام الحيواني , لانه اذا كان كذلك لما كان اولئك الذين مسخوا من البشريدركون العذاب , ولما لمسوا عقاب عملهم , في حين يعتبر القرآن الكريم ((المسخ)) ((نكالا)) وعقوبة للعصاة258 .
يقول التفتازاني : ان النفوس بعد مفارقتها للابدان تتعلق في الدنيابابدان اخرى للتصرف والاكتساب , لا ان تتبدل صور الابدان كما في المسخ 259.
ويقول العلامة الطباطبائي : الممسوخ من الانسان انسان ممسوخ لانه ممسوخ فاقد للانسانية 260.
السؤال الثاني : يذهب بعض المؤلفين الى ان القول بالرجعة ناشئ من القول بالتناسخ 261.
فهل يستلزم الاعتقاد بالرجعة القول بالتناسخ ؟.
الجواب : ان الرجعة ـ كما سنتحدث عنها في محلها ـ حسب اعتقاداكثر علما الشيعة الامامية تعني ان طائفة من اهل الايمان , واهل الكفرسيعودون الى هذه الحياة (اي العالم الدنيوي) في آخر الزمان مرة اخرى , وتكون عودتهم الى الحياة مثل احيا الموتى على يد السيدالمسيح , ومثل عودة ((عزير)) للحياة بعد مائة سنة 262.
وعلى هذا الاساس لا يكون للاعتقاد بالرجعة اي ارتباط وعلاقة بمسالة التناسخ قط, وسنعطي المزيد من التوضيحات في هذه المسالة في مبحث ((الرجعة)) مستقبلا 263.

الاصل الحادي عشر بعد المائة : اشراط الساعة

لقد وردت في كلمات العلما تبعا للقرآن مسالة باسم ((اشراط الساعة))وتعني علامات القيامة .
ان علامات يوم القيامة على قسمين :
الف : حوادث تقع قبل وقوع القيامة وانهدام النظام الكوني وعندوقوع ذلك يكون البشر لا يزالون يعيشون على وجه الارض , ولفظة ((اشراط الساعة))تطلق في الاغلب على هذا النمط من الحوادث والوقائع .
ب :الحوادث التي توجب تخلخل النظام الكوني , وقد جا اكثرهافي سور: التكوير, والانفطار, والانشقاق والزلزال .
والعلائم من القسم الاول عبارة عن :
1 بعثة النبي الخاتم محمد (ص) 264.
2 اندكاك السد وخروج ياجوج وماجوج265 .
3 اتيان السما بدخان مبين 266.
4 نزول السيد المسيح (ع) 267.
5 خروج دابة من الارض 268.
ولابد من مراجعة كتب التفسير والحديث للحصول على تفاصيل هذه العلائم .
ولقد تحدث القرآن الكريم باسهاب حول العلائم والاشراط من النوع الثاني مثل : انهدام النظام الكوني وتلاشيه

وتكوير الشمس والقمر,وانكدار النجوم , وتناثرها, وتفجير البحار وتسجيرها, وتسييرالجبال269 , وغيرها من الحوادث التي ملخصها هو اندثار النظام السائدفعلا, وظهور نظام جديد, وهو في حقيقته تجل للقدرة الالهية التامة , كماقال تعالى : (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار)270.

الاصل الثاني عشر بعد المائة : النفخ في الصور

ان القرآن الكريم يتحدث عن حادثة باسم ((النفخ في الصور)) والذي يتم مرتين :
الف ـ النفخ في الصور, الذي يوجب موت كل الاحيا في السماوات والارضين .
ب ـ النفخ في الصور, الذي يوجب احيا الموتى كما يقول :
(ونفخ في الصور فصعق من في السموت ومن في الارض الا من ش الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون)271.
ان القرآن الكريم يتحدث عن خصوص حشر البشر ونشرهم يوم القيامة قائلا: (يخرجون من الاجداث كانهم جراد منتشر)2.

الاصل الثالث عشر بعد المائة : مراحل الحساب والقيامة

بعد عودة الموتى الى الحياة , وحشرهم ونشرهم , تتحقق عدة امور قبل دخول الجنة او النار, اخبر بها القرآن الكريم , والاحاديث الشريفة :
1 محاسبة الناس على اعمالهم بشكل خاص , او بصور معينة احداها اعطا صحيفة عمل كل احد بيده 272.
2 مضافا الى ما هو مدرج في صحيفة كل واحد من الصغائروالكبائر, ثمت شهود من داخل الانسان وخارجه تشهد يوم القيامة باعماله التي عملها في العالم الدنيوي .
والشهود الذين من الخارج هم عبارة عن الله 273 ونبي كل امة 2ونبي الاسلام 3, والصفوة الاخيار من الامة 4, والملائكة 5, والارض 6.
واما الشهود من داخل الكيان البشري فهم عبارة عن الاعضاوالجوارح 7, وتجسم الاعمال نفسها 8.
3 هناك لمحاسبة الانسان على اعماله ـ مضافا الى ما قلناه ـ مايسمى ب ((موازين العدل)) التي تقام يوم القيامة , وتضمن وصول كل انسان الى ما يستحقه من الجزا على وجه الدقة كما يقول تعالى :
(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بناحاسبين) 9.
4 ويستفاد من الاحاديث الشريفة ان هناك ـ يوم القيامة ـ ممرا يجب ان يعبر منه الجميع بلا استثنا.
وهذا الممر يعبر عنه في الروايات بالصراط, وقد ذهب المفسرون الى ان الايات 71 ـ 72 من سورة مريم ناظرة اليه 274.
5 هناك حائل بين اهل الجنة واهل النار اسماه القرآن الكريم بـ (الحجاب) كما انه يقف شخصيات رفيعة المستوى على مكان مرتفع يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم كما يقول سبحانه :
.
(وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم)275.
وهؤلا الشخصيات العالية المستوى هم ـ كما تصرح رواياتنا ـالانبيا واوصياؤهم الكرام البررة .
6 عندما تنتهي عملية الحساب ويتضح مصير الاشخاص يوم القيامة يعطي الله سبحانه لوا بيد النبي الاكرم محمد(ص) يدعى ((لواالحمد)) فيتحرك امام اهل الجنة , الى الجنة 276.
7 اخبرت الروايات العديدة بوجود حوض كبير في المحشريعرف بحوض ((الكوثر)), يحضر عنده رسول الله (ص) ويسقى الصالحون من الامة من ما ذلك الحوض بايدي النبي واهل بيته (ع).

الاصل الرابع عشر بعد المائة : الشفاعة

تعتبر شفاعة الشافعين يوم القيامة باذن الله تعالى احدى العقائد الاسلامية المسلمة الضرورية .
ان الشفاعة تشمل اولئك الذين لم يقطعوا صلتهم بالله , وبالدين بصورة كاملة , فصاروا صالحين لشمول الرحمة الالهية لهم بواسطة شفاعة الشافعين , رغم تورطهم في بعض المعاصي والذنوب .
والاعتقاد بالشفاعة ماخوذ من القرآن الكريم والسنة ونشير الى بعض تلك النصوص فيما ياتي :

الف : الشفاعة في القرآن

ان الايات القرآنية تحكي عن اصل وجود الشفاعة يوم القيامة ,وتصرح باصل وجود الشفاعة وانها تقع باذن الله تعالى .
ويقول :
(ولا يشفعون الا لمن ارتضى)277.
فمن هم الشفعا؟.
يستفاد من بعض الايات ان الملائكة من الشفعا يوم القيامة كمايقول : (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاويرضى)278.
ويذهب المفسرون في تفسير قوله تعالى : (عسى ان يبعثك ربك مقامامحمودا)279, الى ان المقصود من ((المقام المحمود)) هو مقام الشفاعة الثابت للنبي الاكرم (ص).

ب : الشفاعة في الروايات

لقد تحدثت روايات كثيرة وردت في كتب الحديث عن الشفاعة مضافاالى القرآن الكريم ونشير الى بعض هذه الاحاديث :
1 يقول النبي الاكرم : ((انما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي)).280
والظاهر ان علة اختصاص الشفاعة بمرتكبي الكبائر من الذنوب وشمولها لهم خاصة , هو: ان الله وعد في القرآن بصراحة بان يغفر للناس السيئات الصغيرة اذا ما هم اجتنبوا الكبائر281 فبقية الذنوب ما عداالكبائر تشملها المغفرة , في الدنيا ومع المغفرة لا موضوع للشفاعة .
2 ((اعطيت خمسا واعطيت الشفاعة , فادخرتها لامتي فهي لمن لايشرك بالله))282.
وعلى من اراد التعرف على غيره من شفعا يوم القيامة كالائمة المعصومين , والعلما, وكذا المشفوع لهم , ان يراجع كتب العقائد,والكلام , والحديث .
كما انه لابد ان نعلم بان الاعتقاد بالشفاعة , مثل الاعتقاد بقبول التوبة , يجب ان لا يوجب تجرؤ الاشخاص على ارتكاب الذنوب , بل يجب ان يعد هذا الامر ((نافذة امل)) تعيد الانسان الى الطريق الصحيح ,لكونه يرجو العفو, فلا يكون كالايسين الذين لا يفكرون في العودة الى الصراط المستقيم قط.
ومن هذا يتضح ان الاثر البارز للشفاعة هو مغفرة ذنوب بعض العصاة والمذنبين ولا ينحصر اثرها في رفع درجة المؤمنين كما ذهب الى ذلك بعض الفرق الاسلامية (كالمعتزلة) 283.

الاصل الخامس عشر بعد المائة : طلب الشفاعة في الدنيا

ان الاعتقاد باصل الشفاعة في يوم القيامة (في اطار الاذن الالهي) ـ كمااسلفنا ـ من العقائد الاسلامية الضرورية ولم يخدش فيها احد.
يبقى ان نرى هل يجوز ان نطلب الشفاعة في هذه الدنيا من الشافعين الماذون لهم في الشفاعة يوم الحساب , كالنبي الاكرم (ص) ام لا؟.
وبعبارة اخرى , هل يصح ان يقول الانسان : يا رسول الله يا وجيهاعند الله اشفع لي عند الله ؟.
الجواب هو: ان هذا الموضوع كان محل اتفاق واجماع بين جميع المسلمين الى القرن الثامن , ولم ينكره الا اشخاص معدودون من منتصف القرن الثامن , حيث خالفوا طلب الشفاعة من الشفعا الماذون لهم , ولم يجوزوه في حين ان الايات القرآنية والاحاديث النبوية المعتبرة , وسيرة المسلمين المستمرة تشهد جميعها بجوازه , وذلك لان الشفاعة هودعاؤهم للاشخاص ومن الواضح ان طلب الدعا من المؤمن العادي (فضلا عن النبي (ص)) امر جائز ومستحسن , بلا ريب .
ولقد روى ابن عباس عن رسول الله (ص) ما يستفاد منه بوضوح بان شفاعة المؤمن هو دعاؤه في حق الاخرين فقد قال (ص): ((ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه))284.
ومن البديهي والواضح ان شفاعة اربعين مؤمن عند الصلاة على الميت ليس سوى دعاؤهم لذلك الميت .
ولو تصفحنا التاريخ الاسلامي لوجدنا ان الصحابة كانوا يطلبون الشفاعة من النبي (ص).
فها هو الترمذي يروي عن انس بن مالك انه قال : سالت النبي ان يشفع لي يوم القيامة فقال : انا فاعل .
قلت : فاين اطلبك ؟.
فقال : على الصراط 285.
ومع الاخذ بنظر الاعتبار ان حقيقة الاستشفاع ليست سوى طلب الدعا من الشفيع , يمكن الاشارة الى نماذج من هذا الامر في القرآن الكريم نفسه :
1 طلب ابنا يعقوب من ابيهم ان يستغفر لهم , وقد وعدهم بذلك ووفى بوعده , يقول تعالى : (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين # قال سوف استغفر لكم ربي)286.
2 يقول القرآن الكريم : (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)287.

3 يقول في شان المنافقين : (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووارؤوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون)288.
فاذا كان الاعراض عن طلب الاستغفار من النبي ـ الذي يتحد في حقيقته مع الاستشفاع ـ علامة النفاق , والاستكبار, فان الاتيان بهذا الطلب وممارسته يعد بلاشك علامة الايمان .
وحيث ان مقصودنا ـ هنا ـ هو اثبات جواز طلب الشفاعة , ومشروعيته ,لذلك لا يضر موت الشفيع في هذه الايات بالمقصود, حتى لو فرض ان هذه الايات وردت في شان الاحيا من الشفعا لا الاموات , لان طلب الشفاعة من الاحيا اذا لم يكن شركا فان من الطبيعي ان لا يكون طلبها من الاموات كذلك شركا لان حياة الشفيع وموته ليس ملاكا للتوحيد والشرك ابدا, والامر الوحيد الذي هو ضروري ومطلوب عند الاستشفاع بالارواح المقدسة هو قدرتها على سماع نداائنا, وهو امر قد اثبتناه في مبحث التوسل حيث اثبتنا ـ هناك -289 وجود مثل هذا الارتباط.
وهنا لابد ان نلتفت الى نقطة هامة وهي ان استشفاع المؤمنين والموحدين من الانبيا والاوليا الالهيين يختلف اختلافا جوهريا عن استشفاع الوثنيين من اصنامهم واوثانهم .
فالفريق الاول يطلب الشفاعة من اوليا الله , وهو مذعن بحقيقتين اساسيتين :
1 ان مقام الشفاعة مقام خاص بالله , وحق محض له سبحانه كماقال :
(قل لله الشفاعة جميعا)290.
اي قل : ان امر الشفاعة كله بيد الله ولا يحق لاحد ان يشفع من دون اذنه ولن تكون شفاعة مؤثرة بغيره .
2 ان الشفعا الذين يستشفع بهم الموحدون عباد صالحون مخلصون لله سبحانه يستجيب الله دعاهم لمكانتهم عنده ولقرب منزلتهم منه سبحانه .
وبهذين الشرطين يفترق الموحدون عن الوثنيين في مسالة الاستشفاع افتراقا اساسيا.
اولا : ان المشركين لا يرون لنفوذ شفاعتهم وتاثيرها اي قيد اوشرط, وكان الله فوض امر الشفاعة الى تلك الاصنام العميا الصما في حين ان الموحدين يعتبرون الشفاعة كلها حقا مختصا بالله , تبعا لما جافي القرآن الكريم , ويقيدون قبول شفاعة الشافعين وتاثيرها باذن الله ورضاه واجازته .
ثانيا : ان مشركي عصر الرسالة كانوا يعتبرون اوثانهم واصنامهم ومعبوداتهم المختلفة اربابا وآلهة , وكانوا يظنون سفها ان لهذه الموجودات الميتة , والجمادات سهما في الربوبية , والالوهية , بينما لايرى الموحدون , الانبيا والائمة الا عبادا صالحين , وهم يرددون في صلواتهم وتحياتهم دائما عبارة : ((عبده ورسوله)) و ((عباد الله الصالحين)).
فانظر الى الفرق الشاسع , والتفاوت الواسع بين الرؤيتين والمنطقين .
بنا على هذا فان الاستدلال بالايات التي تنفي وتندد باستشفاع المشركين من الاصنام , على نفي اصل طلب الشفاعة في الاسلام ,استدلال مرفوض وباطل وهو من باب القياس مع الفارق .

الاصل السادس عشر بعد المائة : التوبة

ان انفتاح باب التوبة في وجه العصاة والمذنبين والدعوة اليها من التعاليم الاسلامية بل من مقررات جميع الشرائع السماوية .
فعندما يندم الانسان المذنب من عمله القبيح ندما حقيقيا ويملا التوجه الى الله , والتضرع اليه فضا روحه , فيقرر من صميم قلبه ان لا يرتكب ماارتكب ثانية , قبل الله الرحيم اوبته وتوبته , بشروط مذكورة في كتب العقيدة والتفسير يقول القرآن الكريم في هذا الصدد:
(وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون)291.
ان الذين لا يعرفون الاثار التربوية الايجابية للتوبة يتصورون ان فتح هذين البابين (باب الشفاعة وباب التوبة) في وجه العصاة والمذنبين يشجعهم ـ بشكل ما ـ على المعصية , في حين يغفل هؤلا عن ان كثيرا من الناس متورطون في بعض المعاصي , وقلما يوجد من لم يرتكب ذنبا في حياته طوال عمره .
وعلى هذا الاساس , اذا لم يكن باب التوبة مفتوحا في وجه هؤلالقال الذين يريدون ان يغيروا مسيرهم ويقضوا بقية ايام حياتهم في الطهروالنقا مع انفسهم : اننا سنلقى ـ على كل حال ـ جزا ذنوبنا, وندخل جهنم فلم لا نستجيب لرغباتنا؟ ولم لا نحقق شهواتنا فيما تبقى من عمرناما دام هذا هو مصيرنا, وهو مصير لا يتغير قط ولا مفر منه ابدا؟.
وهكذا نكون باغلاقنا باب التوبة قد فتحنا في وجه الناس باب الياس والقنوط, ومهدنا للمزيد من المعصية وللتمادي في ارتكاب القبائح والذنوب .
ان الاثار الايجابية لاصل التوبة تتضح اكثر فاكثر عندما نعلم بان الاسلام يقيد قبول التوبة بشروط خاصة ذكرها ـ بتفصيل ـ ائمة الدين ,والمحققون من علما الاسلام .
ان القرآن الكريم يتحدث عن التوبة بصراحة تامة اذ يقول :
(كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم)292.
ثم انه قد ذكر الاشخاص الذين لا تقبل توبتهم عند الله سبحانه في كتب الفقه , والتفسير, والعقيدة فمن شا راجعها.

الاصل السابع عشر بعد المائة : الانسان ينال جزا اعماله

يشهد العقل والنقل بان كل انسان يرى جزا عمله , ان خيرا فخير, وان شرا فشر.
يقول القرآن في هذا الصدد: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)293.
ويقول ايضا: (وان سعيه سوف يرى # ثم يجزاه الجزا الاوفى)294.
ويستفاد من الايات السابقة ان اعمال الانسان القبيحة , لا تزيل اعماله الصالحة ولا تقضي عليها, ولكن يجب ان نعلم في نفس الوقت ان الذين يرتكبون بعض الذنوب الخاصة كالكفر والشرك , او يسلكون سبيل الارتداد سيصابون بالحبط, اي ان اعمالهم الصالحة تحبط وتهلك ,ويلقون في الاخرة عذابا ابديا كما يقول سبحانه :
(ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنياوالاخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)295.
ونظرا الى ما قلناه فان كل انسان مؤمن سيرى ثواب اعماله الصالحة في الاخرة خيرا كانت او شرا, الا اذا ارتد, او كفر, او اشرك , فان ذلك سياتي على اعماله الصالحة ويقضي عليها ـ كما دل على ذلك الكتاب والسنة .
وفي الختام لابد من التذكير بالنقطة التالية وهي : ان الله سبحانه وتعالى وان وعد المؤمنين بالثواب على اعمالهم الصالحة , وفي المقابل اوعد على الاعمال السيئة , ولكن ((الوعد)) و ((الوعيد)) هذين يختلف احدهما عن الاخر ـ في نظر العقل ـ لان العمل بالوعد اصل عقلي , والتخلف عنه قبيح , لان في التخلف عنه تضييعا لحق الاخرين , وان كان هذا الحق مماوجبه الواعد, نفسه على نفسه , وهذا بخلاف الوعيد فهو حق للموعدوله الصفح عن حقه والاعراض عنه ولهذا لا مانع من ان تستر بعض الاعمال الصالحة الحسنة قباحة بعض الاعمال السيئة وهو ما يسمى بالتكفير296.
وقد صرح القرآن الكريم بكون بعض الاعمال الصالحة الحسنة مكفرة للاعمال السيئة , واحد هذه الاعمال هو اجتناب الشخص للذنوب الكبيرة :
(ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاكريما)297.
وكذا يكون لاعمال اخرى مثل التوبة 3, وصدقة السر298 وغير ذلك مثل هذا الاثر.

الاصل الثامن عشر بعد المائة : الخلود في الجحيم خاص بالكفار

ان الخلود في عذاب جهنم خاص بالكفار, واما المؤمنون العصاة الذين اشرقت ارواحهم بنور التوحيد, فطريق المغفرة والخروج من النار غيرمسدودة عليهم كما يقول الله تعالى :
(ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ومن يشرك بالله فقدافترى اثما عظيما) 5.
ان الاية المذكورة التي تخبر بصراحة عن امكان المغفرة والعفو عن جميع الذنوب (ما عدا الشرك) ناظرة ـ من دون شك ـ الى اولئك الذين ماتوا من دون توبة , لان جميع الذنوب والمعاصي ـ حتى الشرك ـ يشملهاالعفو والغفران اذا تاب عنها الانسان .
وحيث ان هذه الاية فرقت بين المشرك وغير المشرك , وجب ان نقول :انها تحكي عن امكان مغفرة من ماتوا من دون توبة .
ومن الواضح ان مثل هذا الانسان اذا كان مشركا لم يغفر الله له , واماذا لم يكن مشركا فيمكنه ان يامل في عفو الله ويطمع في غفرانه ولكن لابشكل قطعي وحتمي , انما يحظى بالعفو والغفران من تعلقت الارادة والمشيئة الالهية بمغفرته .
فان قيد ((لمن يشا)) في الاية تضع العصاة والمذنبين بين حالتي ((الخوف)) و ((الرجا)) وتحثهم على التوقي من الخطر وهو التوبة قبل الموت .
ولهذا فان الوعد المذكور يدفع بالانسان على طريق التربية المستقيم , بابعاده عن منزلق ((الياس)) و ((التجري)).

الاصل التاسع عشر بعد المائة : الجنة والنار مخلوقتان

نحن نعتقد ان الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الان .
قال الشيخ المفيد: ((ان الجنة والنار في هذا الوقت مخلوقتان وبذلك جات الاخبار, وعليه اجماع اهل الشرع والاثار))299.
وان الايات القرآنية هي الاخرى تشهد بالوجود الفعلي للجنة والنار اذ يقول :
(ولقد راه نزلة اخرى # عند سدرة المنتهى # عندها جنة الماوى)300.
ويصرح في موضع آخر: بان الجنة مهيئة للمؤمنين , وان النارللكافرين , اذ يقول حول الجنة :
(اعدت للمتقين)301.
ويقول حول النار:
(واتقوا النار التي اعدت للكافرين)302.

ومع ذلك فلا نعرف مكان الجنة والنار على وجه الدقة واليقين , وان كان المستفاد من بعض الايات هو ان الجنة موجودة في القسم الاعلى كمايقول سبحانه :
(وفي السما رزقكم وما توعدون)303.

كليات في العقيدة

8.الفصل التاسع

في معالم الايمان والكفر

الاصل العشرون بعد المائة : حد الايمان والكفر

ان حد ((الايمان)) و ((الكفر)) من المباحث الكلامية والاعتقادية الهامة جدا.
فالايمان في اللغة يعني التصديق و ((الكفر)) يعني الستر, ولهذا يقال للزارع ((كافر)) لانه يستر الحبة بالتراب , ولكن المقصود من ((الايمان)) في المصطلح الديني (وفي علم الكلام والعقيدة) هو الاعتقاد بوحدانية الله تعالى , والاخرة ورسالة النبي الخاتم محمد المصطفى (ص).
على ان الايمان برسالة النبي الخاتم يشمل الايمان بنبوة الانبياالسابقين عليه , والكتب السماوية السابقة , وما اتى به نبي الاسلام من تعاليم واحكام اسلامية للبشر من جانب الله ايضا.
ان المكان الواقعي والحقيقي للايمان هو قلب الانسان وفؤاده كمايقول القرآن :
(اولئك كتب في قلوبهم الايمان)304.
كما انه يقول لسكان البوادي الذين استسلموا للحاكمية الاسلامية وسلطتها من دون ان يدخل الايمان في افئدتهم :
(ولما يدخل الايمان في قلوبكم)305.
ولكن الحكم بايمان الشخص مشروط بان يعبر عن ذلك بلسانه واقراره اللفظي او يظهره بطريق آخر, او لا ينكر اعتقاده به على الاقل , وذلك لان في غير هذه الصورة لا يحكم بايمانه كما قال :
(وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم)306.
في ضوء هذا يكون قد تبين معنى ((الكفر)) وحده ايضا, فاذا انكرشخص وحدانية الحق تعالى , او انكر يوم القيامة , او رسالة النبي الاكرم (ص) حكم بكفره حتما, كما ان انكار احد مسلمات الدين المحمدي وضرورياته التي يكون انكارها مستلزما لانكار رسالة النبي (ص)بشكل واضح يجعل الانسان محكوما بالكفر ايضا.
فعندما اعطى رسول الله (ص) الراية لعلي (ع) لفتح قلاع خيبر, واخبرالناس بان حامل هذه الراية سيفتح خيبرا, في هذه اللحظة قال الامام علي (ع) لرسول الله (ص) : يا رسول الله على م اقاتلهم ؟؟.
فقال النبي (ص): ((قاتلهم حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدارسول الله , فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماهم واموالهم الا بحقها,وحسابهم على الله)) 307.
وسال شخص الامام الصادق (ع) فقال : ما ادنى ما يكون به العبدمؤمنا؟.
قال (ع): ((يشهد ان لا اله الا الله , وان محمدا عبده ورسوله , ويقربالطاعة , ويعرف امام زمانه , فاذا فعل ذلك فهو مؤمن)) 308.

الاصل الواحد والعشرون بعد المائة : الايمان مشروط بالالتزام بالعمل الصالح

ان حقيقة الايمان وان كانت هي الاعتقاد القلبي (المشروط بالاظهار اوعدم الانكار على الاقل) ولكن يجب ان لا يظن ان هذا القدر من الايمان كاف في فلاح الانسان , بل يجب على الشخص ان يلتزم بلوازم الايمان وآثاره العملية ايضا.
ولهذا فقد وصف المؤمن الواقعي وعرف في كثير من الايات والروايات بانه الملتزم بثار الايمان , والمؤدي للفرائض الالهية .
فقد اعتبر القرآن الكريم في سورة ((العصر)) كل الناس في خسر الا من اتصف بالصفات التالية حيث قال :
(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)309.
وقد روى الامام الباقر (ع) عن الامام علي (ع) ان رجلا قال له : من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (ص) كان مؤمنا؟.
قال : ((فاين فرائض الله))؟310.
وقال (ع) ايضا: ((لو كان الايمان كلاما, لم ينزل فيه صوم , ولا صلاة ,ولا حلال , ولا حرام)) 311.
فيستنتج من البيان السابق ان الايمان ذو مراتب ودرجات , وان لكل مرتبة اثرا خاصا بها, وان الاعتقاد اذا اقترن

بالاظهار او عدم الانكار على الاقل , كان اضعف مراتب الايمان وادونها, وتترتب عليه سلسلة من الاثار الدينية , والدنيوية , في حين ان المرتبة الاخرى للايمان التي توجب فلاح الانسان في الدنيا والاخرة رهن للالتزام بثاره العملية . والنقطة الجديرة بالذكر هي ان بعض الروايات اعتبرت العمل بالفرائض الدينية ركنا من اركان الايمان , فقد روى الامام الرضا(ع) عن رسول الله (ص) انه قال : ((الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان))312.
وفي بعض الروايات جعلت امور, مثل اقامة الفرائض , وادا الزكاة والحج , وصوم شهر رمضان , الى جانب الشهادتين ايضا 313.
ان هذه الروايات اما هي ناظرة الى انه يمكن تمييز المسلم عن غيرالمسلم بواسطة هذه الاعمال , او ان ذكر الشهادتين انما يكون سببا للنجاة وموجبا للفلاح اذا اقترنت وانضمت الى اعمال شرعية اهمها وابرزها:الصلاة , والزكاة , والحج , والصوم .

بالنظر الى هذين الاصلين يجب ان لا تكفر اية فرقة من فرق المسلمين الفرقة الاسلامية الاخرى التي تخالفها في بعض الفروع , لان ملاك ((الكفر)) هو ان ينكر الشخص احد الاصول الثلاثة , او انكار ما يلزم من انكاره انكار احد الاصول الثلاثة المذكورة , وهذه الملازمة انماتتحقق اذا كان حكم ذلك الشي بديهيا من وجهة نظر الشرع , وواضحاجدا الى درجة انه لا يستطيع ان يجمع بين انكاره والاعتراف بالاصول الثلاثة .
وعلى هذا الاساس ينبغي للمسلمين ان يحفظوا في جميع المراحل اخوتهم الاسلامية , ولا يسمحوا بان يصير الاختلاف في الامورالمتعلقة بالاصول سببا للنزاع , وربما لتفسيق او تكفير فرقة لاخرى , وان يكتفوا في الاختلافات الفكرية والعقيدية بالحوار العلمي والمناقشة الموضوعية , ويتجنبوا اقحام التعصب غير المنطقي , والاتهام والتحريف في هذا المجال ابقا على الصفا والمودة بين المسلمين .

الاصل الثاني والعشرون بعد المائة : لا يجوز تكفير المسلم المعتقد بالاصول الثلاثة

ان المسلمين في عالمنا الراهن يتفقون في الاصول الاساسية الثلاثة314 ,فيلزم ان لا يكفر فريق فريقا آخر بسبب الاختلاف في بعض الاصول , اوالفروع الاخرى , وذلك لان الكثير من الاصول المختلف فيها, هي في الحقيقة من القضايا الكلامية التي طرحت على بساط البحث والمناقشة بين المسلمين فيما بعد, ولكل فريق منهم ادلته وبراهينه فيها.
وعلى هذا لا يمكن ان يتخذ الاختلاف في هذه المسائل وسيلة لتكفيرهذه الفرقة , او تلك او ذريعة لتفسيق هذه الطائفة , او تلك , ولا سببالتفتيت وحدة المسلمين .
ان افضل الطرق لحل هذا الاختلاف هو الحوار العلمي بمناى عن العصبيات الجافة , والمواقف المتزمتة وغير الموضوعية .
يقول القرآن الكريم في هذا الصدد:
(يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلا م لست مؤمنا)315.
ولقد صرح النبي الاكرم (ص) بعد ذكره لاهم اسس الاسلام واصوله ,بانه لا يحق لمسلم ان يكفر مسلما آخر لارتكابه معصية , او يرميه بالشرك , اذ قال :((لاتكفروهم بذنب ولاتشهدوا عليهم بشرك)) 3.

الاصل الثالث والعشرون بعد المائة : البدعة

((البدعة)) في اللغة تعني العمل الجديد والذي لاسابق له , الذي يبين نوعامن الحسن والكمال في الفاعل , فلفظ ((البديع)) من صفات الله كما نعلم كما, قال تعالى :
(بديع السموت والارض)316.
واما المفهوم الاصطلاحي للبدعة , فهو ايضا نسبة ما ليس من الشريعة الى الشريعة , واكثر التعاريف اختصارا للبدعة الاصطلاحية هو:((ادخال ما ليس من الدين في الدين)).
ان الابتداع في الدين من الذنوب الكبيرة , وهو مما لا شك قط في حرمته فقد قال رسول الله (ص):
((كل محدثة بدعة وكل ضلالة في النار))317.
والنقطة المهمة الوحيدة في مسالة البدعة هي ان يحدد مفهوم ((البدعة)) بصورة جامعة ومانعة ليمكن تمييز ما هو بدعة عما ليس ببدعة .
وفي هذا الصعيد, ولازالة الابهام عن حقيقة ((البدعة)) يجب الالتفات والانتباه الى نقطتين :
1 ان البدعة نوع من التصرف في الدين , وذلك باحداث الزيادة اوالنقص فيه .
وعلى هذا الاساس اذا لم يكن احداث شي , مما يرتبط بالدين والشريعة , بل كان امرا عاديا او عرفيا لم يكن بدعة (وان كانت مشروعيته مشروطة بان لا يكون الابتداع والابتكار المذكور محرما او ممنوعا في الشرع بدليل خاص).
وللمثال : ان البشرية تبتكر باستمرار اساليب جديدة في مجال المسكن والملبس وغير ذلك من وسائل العيش وخاصة في عصرناالحاضر الذي تتطور فيه الاساليب والادوات المستخدمة في المعيشة باستمرار, وبشكل متواصل ونضرب على ذلك مثلا انواع النزهة والرياضة الجديدة , بل والمتجددة على الدوام .
ان من البديهي ان كل هذه الاشيا والامور نوع من البدعة والامورالبديعة (بمعنى ما لم يكن له سابق) ولكنها لا صلة لها بالبدعة المصطلح عليها شرعا.
انما تتوقف حليتها وحلية الاستفادة منها ـ كما قلنا ـ على ان لاتكون مخالفة لاحكام الشرع وموازينه .

فمثلا اختلاط الرجل والمراة من دون حجاب في المجالس ,والمحافل ـ الذي هو من مستوردات الغرب الفاسد, ومعطيات ثقافته المنحرفة ـ حرام , الا انه ليس ببدعة , لان الذين يشتركون في هذه المحافل لا ياتون بهذا العمل باعتباره عملا اقر الشرع الاسلامي صحته وقرره , بل ربما اتوا به من باب اللا مبالاة مع الاعتقاد بانه مخالف للشرع ولهذا ربما تنبهوا وعادوا لرشدهم فقرروا بجدية تركه , وعدم الاشتراك فيه .
وانطلاقا من التوضيح السابق اذا عين شعب ما يوما, او بعض ا لايام للفرح والابتهاج والاجتماع , ولكن لا بقصد ان الشرع امر بهذا لم يكن مثل هذا العمل (بدعة) وان كانت حلية او حرمة هذا العمل من جهات اخرى يجب ان تقع محطا للبحث والدراسة .
من هنا اتضح ان الكثير من مبتكرات البشر, وبدائعه , في مجال الفن والرياضة , والصناعة وغير ذلك خارج عن نطاق البدعة الاصطلاحية , ومايقال حول حرمتها, او حليتها, انما هو ناشئ من جهات اخرى ولهماملاك ومقياس خاص .
2 ان اساس ((البدعة)) في الشرع يرجع الى نقطة واحدة وهي الاتيان بعمل بزعم انه امر شرعي امر به الدين في حين لا يوجد لمشروعيته اي اصل ولا ضابطة , ولكن اذا اتى بعمل على انه امر شرعي ويدل على مشروعيته دليل شرعي (بشكل خاص , او بصورة كلية وعامة) لم يكن ذلك العمل بدعة .
ولهذا قال العالم الشيعي الكبير العلا مة المجلسي : ((البدعة في الشرع ما حدث بعد الرسول ولم يكن فيه نص على الخصوص ولا يكون داخلا في بعض العمومات)) 318.
وقال ابن حجر العسقلاني : ((البدعة ما احدث وليس له اصل في الشرع وما كان له اصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة))319.
فاذا كان العمل الذي نسبناه الى الشرع يستند الى دليل خاص , اوضابطة كلية في الشرع لم يكن بدعة حتما.
والصورة الاولى (اي وجود الدليل الخاص) لا يحتاج الى بيان .
انما المهم هو القسم الثاني لانه رب عمل كان في ظاهره عملامبتدعا جديدا ومبتكرا, ولم تكن له سابقة في الاسلام , ولكنه في معناه وحقيقته يدخل تحت ضابطة اقرها الشرع الاسلامي بصورة كلية .
وللمثال : يمكن الاشارة الى التجنيد الاجباري العام المتداول اليوم في اكثر بلدان العالم .
فان دعوة الشباب الى خدمة العلم كوظيفة دينية , وان كانت في ظاهرها عملا مبتكرا ومبتدعا الا انها حيث تنخرط تحت اصل او قاعدة دينية لا تعد بدعة , وذلك لان القرآن الكريم يقول :
(واعدوا لهم ما استطعتم من قوة)320.
ومن البديهي ان التربية العسكرية العامة للشباب ـ تعد في ظل التحولات والتطورات والاجوا العالمية ـ سببا للتهيؤ الاكثر في مقابل العدو المتربص , والعمل بروح الاية المذكورة في عصرنا الراهن يقتضي هذا الامر.
في ضؤ البيان السابق يمكن حل ومعالجة الكثير من الشبهات التي تقيد البعض وتعيقهم عن الحركة .
ونضرب لذلك مثلا: ما يقوم به جماهير المسلمين العظمى من الاحتفال بمولد النبي الاكرم (ص) ويراه البعض او يسمونه بدعة , في حين لا ينطبق عليه عنوان البدعة وملاكها, في ضؤ ما قلناه , لانه على فرض ان هذا النمط من التكريم واظهار المحبة والتكريم لم يرد في الشرع بخصوصه ولكن مودة النبي (ص) وحبه وحب اهل بيته المطهرين سلام الله عليهم اجمعين يعتبر احد اصول الاسلام الضرورية وتعتبر هذه الاحتفالات والاجتماعات الدينية البهيجة من مظاهر ذلك الاصل الكلي ونعني المحبة والمودة للنبي وآله .
فقد قال رسول الله (ص): ((لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ماله واهله والناس اجمعين))321.
ولا يخفى ان الذين يظهرون البهجة والفرح في مواليد رسول الله (ص)واهل بيته الطاهرين , ويقيمون لاجل هذه الغاية , الاحتفالات والمجالس لا يهدفون من اقامة الاحتفال في هذه الايام الى ان هذه الاعمال منصوص عليها ومامور بها شرعا بعينها وشكلها الراهن , بل يفعلون هذه الاعمال باعتقاد ان حب النبي (ص) والمودة لرسول الله واهل بيته اصل كلي وردالتاكيد عليه في الكتاب والسنة بتعابير مختلفة ومتنوعة .
ان القرآن الكريم يقول : (قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى)322.
وهذا الاصل يمكن ان تكون له تجليات ومظاهر مختلفة ومتنوعة ,منها اقامة هذه الاحتفالات البهيجة على حياة المسلمين الفردية والاجتماعية , فان اقامة الاحتفالات , في الحقيقة مما يذكر بنزول الرحمة والبركة الالهية في هذه الايام , وهي نوع من انواع الشكر لله تعالى او عمل باعث عليه , وهذا المطلب (اي اقامة الاحتفال في يوم نزول الرحمة والفيض الرباني) كان في حياة الامم السابقة ايضا كما يصرح بذلك القرآن الكريم .
فقد طلب النبي عيسى ابن مريم (ع) مائدة سماوية تنزل عليه وعلى حواريه ليكون يوم نزول تلك المائدة عيدا للجيل الذي كان يعيش بينهم , وللاجيال اللاحقة كما يقول تعالى :
(قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السما تكون لنا عيدا لاولناوآخرنا واية منك)323.

اضف الى ذلك ان الله تعالى يقول في آية اخرى في مجال تكريم النبي الاكرم (ص):
(فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون)324.
فان الله تعالى يامر الناس في هذه الاية باربعة امور:
1 الايمان بالنبي (آمنوا به).
2 تكريم النبي وتعظيمه (عزروه).
3 نصرته (نصروه).
4 اتباع القرآن (واتبعوا النور الذي انزل معه).
فلزوم التكريم والتعظيم للنبي كما هو واضح اصل ديني وقرآني ,وله في كل زمان مصاديق ومجالي خاصة :
فالصلاة والسلام على النبي واهل بيته عند ذكر اسمه , واظهار الفرح والابتهاج يوم ولادته وبعثته ,وكذا اعلان الحزن والاسى في ماتمه وماتم اهل بيته , وحفظ آثار النبي وتعمير مرقده الطاهر وحفظ آثار اهل بيته , وتعمير مراقدهم الطاهرة ,كلها وكلها مصاديق لاظهار المودة والمحبة للنبي الاكرم وعترته الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين .
على انه يجب ان لا يتصور احد بان محبة النبي واهل بيته ومودتهم تنحصر في هذه الامور فقط, بل يجب الانتباه الى ان اتباعهم في اقوالهم وافعالهم , والذي جات الاشارة اليه في الاية ادناه ايضا هو من اظهر مصاديق محبتهم ومودتهم , كما انه سبب لنيل العناية الالهية واللطف الرباني كما قال :
(قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم)325.
والبدعة ـ كما اسلفنا ـ عبارة عن نوع من التصرف في الدين من دون ان يكون له مستند صحيح (خاص او كلي عام) في الشرع , ويجب التنويه بان روايات ائمة اهل البيت (ع) ـ بحكم حديث الثقلين المتواتر ـ تعد من مصادر الشريعة , وادلة الاحكام الدينية وعلى هذا الاساس اذا صرح الائمة المعصومون (ع) بجواز او عدم جواز شي كان اتباعهم في ذلك اتباعا للدين ولم ينطبق عليه عنوان الابتداع والاحداث في الدين .
وفي الخاتمة نذكر بان ((البدعة)) بمعنى التصرف في الدين من دون اذن الله سبحانه كان ولا يزال عملا قبيحا وحراما وقد اشار اليه القرآن بقوله :
(الله اذن لكم ام على الله تفترون)326.
وعلى هذا الاساس لا يصح تقسيم البدعة (بهذا المعنى) الى القبيح والحسن والحرام والجائز, بل كلها (بهذا المعنى) حرام غير جائز.
نعم البدعة بمعناها اللغوي العام (اي الاتيان باشيا حديثة في امورالمعيشة من دون نسبة ذلك الى الشرع) يمكن ان تكون له صور مختلفة ومتنوعة , وتكون مشمولة لاحد الاحكام التكليفية الخمسة :
(الوجوب والحرمة والكراهة والاستحباب والاباحة).

الاصل الرابع والعشرون بعد المائة : التقية

ان احد التعاليم القرآنية هو ان يكتم الانسان المسلم عقيدته اذا تعرض في نفسه , او عرضه او ماله لخطر لو اظهرها, ويسمى هذا العمل في لسان الشرع والمصطلح الشرعي بالتقية .
ان جواز ((التقية)) لا يحظى بالدليل النقلي فحسب , بل ان العقل يحكم ايضا بصحته ولزومه , ويشهد بذلك في شرائط حساسة , وخطيرة ,لان حفظ النفس , والمال , والعرض , واجب , ولازم من جهة , واظهارالعقيدة والعمل وفق تلك العقيدة وظيفة دينية من جانب آخر, ولكن اذاجر اظهار العقيدة الى الخطر على النفس والمال , والعرض , وتعارضت هاتان الوظيفتان عمليا, حكم العقل السليم بان يقدم الانسان الوظيفة الاهم على المهم .
والتقية ـ في الحقيقة ـ سلاح الضعفا في مقابل الاقويا القساة , ومن الجلي انه اذا لم يكن خطر ولا تهديد لم يكتم الانسان عقيدته , كما لم يعمل على خلاف معتقده .
ينص القرآن الكريم في شان عمار بن ياسر على عدم الباس عمن يقع في ايدي الكفار, ويظهر كلمة الكفر على لسانه للخلاص والنجاة ,وقلبه عامر بالايمان مشحون بالاعتقاد الصحيح :
(من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان)327.
ويقول في آية اخرى :
(لا يتخذ المؤمنون الكافرين اوليا من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شي الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير)328.
ان المفسرين المسلمين يتفقون ـ عند ذكر وتفسير هاتين الايتين ـعلى ان اصل ((التقية)) اصل مشروع .

ومن طالع ـ ولو على عجل ـ ما جا في التفسير والفقه الاسلامي في هذا المجال عرف بوضوح ان اصل ((التقية)) من الاصول الاسلامية , ولايمكن تجاهل الايتين المذكورتين اعلاه , ولا عمل مؤمن آل فرعون في كتمان ايمانه329 وانكار ((التقية)) بالمرة .
والجدير بالذكر ان آيات ((التقية)) وان وردت في مجال التقية من الكافر الا ان الملاك (وهو حفظ نفس المسلم وماله وعرضه في الظروف الحساسة والخطيرة) لا يختص بالكفار, فلو استوجب اظهار الشخص لعقيدته , او العمل وفقها عند المسلمين , خوف ذلك الشخص على نفسه او ماله او عرضه اي احتمل بقوة تعرضها للخطر من جانب المسلمين ,جرى في المقام حكم ((التقية)) اي جاز له التقية من المسلمين كما جاز له التقية من الكفار, وذلك لوحدة العلة والملاك , وتحقق الامر الموجب للتقية .
وهذا هو ما صرح الاخرون به ايضا فهذا هو الفخر الرازي يقول : ان مذهب الشافعي (رض) ان الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة على النفس .
وقال : التقية جائزة لصون النفس , وهل هي جائزة لصون المال ؟يحتمل ان يحكم فيها بالجواز لقوله (ص) : ((حرمة مال المسلم كحرمة دمه))ولقوله (ص): ((من قتل دون ماله فهو شهيد))330.
وقال ابو هريرة : حفظت من رسول الله (ص) وعائين , اما احدهمافبثثته في الناس , واما الاخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم 331.
ان تاريخ الخلفا الامويين والعباسيين زاخر بالظلم والعسف ,والحيف والجور.
ففي تلك الايام لم تكن الشيعة وحدهم هم المطرودون ,والمحجور عليهم بسبب اظهار عقائدهم , بل سلك اغلب محدثي اهل السنة في عصر المامون ايضا مسلك التقية في محنة ((خلق القرآن)) ولم يخالف المامون في خلق القرآن وحدوثه بعد صدور المرسوم الخليفي العام , سوى شخص واحد, وقصته معروفة في التاريخ وعامة المحدثين تظاهروا بالوفاق تقية 332.

الاصل الخامس والعشرون بعد المائة : التقية واجبة في بعض الحالات فقط

ان التقية ـ حسب منطق الشيعة ـ واجبة في ظروف خاصة , الا انها محرمة في بعض الشروط ايضا, ولا يجوز للانسان في مثل هذه الشروط ان يستخدم التقية بحجة انه قد يتعرض نفسه , او ماله او عرضه للخطر.
فقد يتصور بعض ان الشيعة يوجبون التقية دائما وفي جميع الحالات والظروف والاوضاع , والحال ان هذا تصور خاطئ , فان سيرة ائمة اهل البيت (ع) لم تكن هكذا, لانهم , وبغية رعاية المصالح والمفاسدكانوا يسلكون في كل زمان موقفا خاصا, واسلوبا مناسبا ولهذا نجدهم كانوا تارة يتخذون مسلك التقية اسلوبا, وتارة اخرى كانوا يضحون بانفسهم واموالهم في سبيل اظهار عقيدتهم .
ومما لا شك فيه ان ائمة الشيعة استشهدوا بالسيف او السم على ايدي الاعدا في حين انهم لو كانوا يصانعون حكام عصورهم ويجارونهم , لمنحهم اولئك الحكام اعلى المناصب , واسمى المراتب في حكوماتهم ولكنهم كانوا يعلمون ان التقية قبال اولئك الحكام (كيزيدبن معاوية مثلا) كان يؤدي الى زوال الدين , وهلاك المذهب .
وفي مثل هذه الشروط امام القادة الدينيين المسلمين نوعان من الوظيفة :
ان يسلكوا مسلك التقية في ظروف خاصة , وان يحملوا حياتهم على اكفهم ويستقبلوا الموت في ظروف اخرى , اي اذا وجدوا اساس الدين في خطر جدي .
وفي الخاتمة نذكر بان التقية امر شخصي ويرتبط بوضع الفرد, اوالافراد الضعفا العاجزين في مقابل العدو الغاشم فان مثل هؤلا اذا لم يعملوا بالتقية فقدوا حياتهم من دون ان يترتب اثر مفيد على مقتلهم .
ولكن لا تجوز التقية مطلقا في بيان معارف الدين وتعليم احكام الاسلام مثل ان يكتب عالم شيعي كتابا على اساس التقية , ويذكر فيه عقائد فاسدة , واحكاما منحرفة على انها عقائد الشيعة واحكامهم .
ولهذا فاننا نرى علما الشيعة اظهروا في اشد الظروف والاحوال ,عقائدهم الحقة , ولم يحدث طيلة التاريخ الشيعي ولا مرة واحدة ان اقدم علما الشيعة على تاليف رسالة او كتاب على خلاف عقائدمذهبهم , بحجة التقية , وبعبارة اخرى : ان يقولوا شيئا في الظاهر, ويقولوافي الباطن شيئا آخر , ولو ان احدا فعل مثل هذا العمل وسلك مثل هذاالمسلك اخرج من مجموعة الشيعة الامامية .
وهنا نوصي الذين يصعب عليهم هضم مسالة التقية , وتقبل هذه الظاهرة , اوخضعوا لتاثير دعايات اعدا التشيع السيئة , بان يطالعوا ـ ولومرة ـ تاريخ الشيعة في ظل الحكومات اموية , وعباسية , وفي عصرالخلفا العثمانيين في الاناضول والشامات , ليعلموا بهاضة ما قدمه هذاالفريق من الثمن للدفاع عن العقيدة وبسبب اتباع اهل البيت (ع), وجسامة ما قدموه من تضحيات , وقرابين , وعظمة ما تحملوه من مصائب مرة ,حتى انهم ربما هجروا

بيوتهم ومنازلهم ولجاوا الى الجبال .
لقد كان الشيعة على هذه الحال مع ما كانوا عليه من التقية , فكيف اذا لم يراعوا هذا الاصل ترى هل كان يبقى من التشيع اليوم اذا لم يتقوا, اثر اوخبر؟.
واساسا لابد من الانتباه الى نقطة مهمة وهي انه اذا استوجبت التقية لوما فان هذا اللوم يجب ان يوجه الى من تسببها, لان هؤلا بدل اجراالعدل ومراعاة الرافة الاسلامية اوجدوا اصعب ظروف الكبت السياسي والمذهبي ضد اتباع اهل البيت النبوي , لا ان يلام من لجا الى التقية اضطرارا وحفاظا على نفوسهم واموالهم واعراضهم .
والعجب العجاب في المقام هو ان يتوجه البعض باللوم والنقد الى العاملين بالتقية المظلومين ووصفهم بالنفاق بدل توجيه ذلك الى مسببي التقية , اي الظالمين , هذا مضافا الى ان ((النفاق)) يختلف عن ((التقية))كاختلاف المتناقضين , والبون بينهما شاسع وبعيد بعد السما عن الارض .
فالمنافق , يبطن الكفر في قلبه ويظهر الايمان لغرض التجسس على عورات المسلمين او الوصول الى منافع لا يستحقها, في حين يكون قلب المسلم في حال التقية مفعما بالايمان , وانما يظهر خلاف ما يعتقد لعلة الخوف من الاذى , والاضطهاد.

الاصل السادس والعشرون بعد المائة :التوسل

ان حياة البشر قائمة على اساس الاستفادة من الوسائل الطبيعية والاستعانة بالاسباب , التي لكل واحد منها اثر خاص .
فكلنا عندما نعطش نشرب الما, وعندما نجوع ناكل الطعام ,وعندما نريد الانتقال من مكان الى آخر نستخدم وسائل النقل , وعندمانريد ايصال صوتنا الى مكان نستخدم الهاتف , لان رفع الحاجة عن طريق الوسائل الطبيعية - بشرط ان لا نعتقد باستقلالها في التاثير - هو عين ((التوحيد)) ومن صميمه .
فالقرآن الكريم وهو يذكرنا بقصة ذي القرنين في بنائه للسد يخبرناكيف طلب العون والمعونة من الناس اذ قال : (فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما)333.
وان الذين يفسرون الشرك بالتعلق والتوسل بغير الله , انما يصح كلامهم هذا اذا اعتقد الانسان بتاثير الوسائل والاسباب على نحوالاستقلال والاصالة .
واما اذا اعتقد بانها تؤثر باذن الله فانه سينتهي حينئذ الى نتيجة لاتخرجه عن مسير التوحيد.
ولقد قامت حياة البشرية من اول يوم على هذا الاساس والقاعدة اي على الاستفادة من الوسائل والوسائط الموجودة , ولم يزل يتقدم في هذاالسبيل .
والظاهر ان التوسل بالاسباب والوسائل الطبيعية ليس محطاللمناقشة والبحث , انما الكلام هو في الاسباب غير الطبيعية التي لايعرفها البشر, ولا سبيل له اليها الا عن طريق الوحي .
فاذا وصف شي في الكتاب والسنة بالوسيلية كان حكم التوسل به نظير حكم التوسل بالامور الطبيعية .
وعلى هذا الاساس فاننا انما يجوز لنا التوسل بالاسباب غيرالطبيعية اذا لاحظنا مطلبين :
1 اذا ثبت كون ذلك الشي ((وسيلة)) لنيل المقاصد الدنيوية اوالاخروية بالكتاب او السنة .
2 اذا لم نعتقد باية اصالة او استقلال للوسائل والاسباب , بل اعتبرنا تاثيرها منوطا بالاذن الالهي والمشيئة الالهية .
ان القرآن الكريم يدعونا الي الاستفادة من الوسائل المعنوية اذيقول :
(يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون)334.
هذا ويجب الانتباه الى ان ((الوسيلة)) لا تعني (التقرب) بل تعني الشي الذي يوجب التقرب الى الله , واحد هذه الطرق هو الجهاد في سبيل الله الذي ذكر في الاية الحاضرة كما يمكن ان تكون اشيا اخرى وسيلة للتقرب ايضا .335

الاصل السابع والعشرون بعد المائة : التوسل باسما الله الحسنى ودعا الصالحين

ثبت في الاصل السابق ان التوسل بالاسباب الطبيعية , وغير الطبيعية (بشرط ان لا تصبغ بصبغة الاصالة ولا يعتقد فيها بالاستقلال في التاثير)عين التوحيد, ولاشك في ان القيام بالواجبات والمستحبات , كالصلاة والصوم والزكاة والجهاد في سبيل الله وغير ذلك وسائل معنوية توصل الانسان الى المقصد الاسمى , الا وهو التقرب الى الله تعالى .

فالانسان في ظل هذه الاعمال يجد حقيقة العبودية , ويتقرب في المل الى الله تعالى .
ولكن يجب الانتباه الى ان الوسائل غير الطبيعية لا تنحصر في الاتيان بالاعمال العبادية , بل هناك سلسلة من الوسائل ذكرت في الكتاب والسنة يستعقب التوسل بها استجابة الدعا, نذكر بعضها فيما ياتي :
1 التوسل بالاسما والصفات الالهية الحسنى التي وردت في الكتاب العزيز, والسنة الشريفة , اذ يقول سبحانه : (ولله الاسما الحسنى فادعوه بها)336.
ولقد ورد التوسل بالاسما والصفات الالهية في الادعية الاسلامية كثيرا.
2 ان التوسل بادعية الصالحين , والذين يكون افضل انواعه : التوسل بالانبيا والاوليا المقربين الى الله , ليدعو للانسان في محضر ذي الجلال .
ان القرآن الكريم يحث الذين ظلموا انفسهم (اي العصاة) الى ان يذهبوا الى رسول الله (ص) ويطلبوا منه ان يستغفر لهم , الى جانب استغفارهم هم بانفسهم , ويبشرهم بانهم سيجدون الله توابا رحيما:
(ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)337.
ويذم في آية اخرى المنافقين , بانهم كلما دعوا الى الذهاب الى رسول الله (ص) ليستغفر لهم اعرضوا عن ذلك اذ يقول :
(واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا روسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون)338.
ويستفاد من بعض الايات انه كان مثل هذا العمل جاريا ورائجا في الامم السابقة .
وللمثال : طلب ابنا يعقوب من ابيهم ان يستغفر لهم , واستجاب لهم ابوهم يعقوب (ع) ووعدهم بذلك :
(يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين # قال سوف استغفر لكم ربي انه هوالغفور الرحيم)339.
ومن الممكن ان يقال ان التوسل بدعا الصالحين يكون في صورة خاصة عين التوحيد (او على الاقل مفيدا ومؤثرا) وهي اذا كان من نتوسل به على قيد الحياة .
اما اذا مات الانبيا والاوليافكيف يكون التوسل بهم مفيدا وعين التوحيد؟.
في الجواب على هذا الاشكال لابد من التذكير بنقطتين :
الف : اذا افترضنا ان التوسل بالنبي او الولي مشروط بكونهم على قيد الحياة , ففي هذه الصورة يكون التوسل بالانبيا والاوليا الالهيين بعدالموت مجرد عمل غير مفيد, لا انه يكون موجبا للشرك .
وقد غفل عن هذه النقطة الهامة في الغالب , وتصور البعض ان الموت والحياة رمز التوحيد والشرك مع ان هذا الشرط (اي حياة النبي او الولي عند توسل الاخرين به) ملاك لكون التوسل مفيدا او غير مفيد,لا انه ((ملاك)) لكون التوسل عملا توحيديا او شركيا.
ب : ان تاثير التوسل وكونه مفيدا يشترط فيه امران :
1 ان يكون الفرد المتوسل به متصفا بالعلم والشعور والقدرة .
2 ان يكون بين المتوسل , والمتوسل به ارتباط واتصال وكلا هذين الشرطين (الادراك والشعور ووجود الارتباط بينهم وبين المتوسل بهم)موجودان في التوسل بالانبيا, وان فارقت ارواحهم اجسادهم وذلك ثابت بالادلة العقلية والنقلية الواضحة .
ان وجود الحياة البرزخية من المسائل القرآنية والحديثية المسلمة الضرورية , وقد مرت ادلتها في الاصل 107.
فاذا كان الشهدا الذين قتلوا في سبيل الحق احيا حسب تصريح القرآن الكريم , فاولى ان يكون انبيا الشهدا والاوليا المقربون احياعند ربهم ـ خاصة وان اكثرهم قد استشهد في سبيل الله ـ ايضا بحياة اعلى وافضل .
ثم ان هناك ادلة كثيرة على وجود الارتباط بيننا وبين الاولياالالهيين نذكر بعضها:
1 ان جميع المسلمين يقولون في نهاية الصلاة مخاطبين رسول الله (ص): ((السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته)).
فهل هم يقولون ما يقولونه لغوا وعبثا؟ وهل النبي (ص) لا يسمع كل هذه التحيات وكل هذا السلام ولا يرد عليها؟
2 ان النبي الاكرم امر ـ في معركة بدر ـ بان تلقى اجساد المشركين في بئر (قليب) ثم وقف يخاطبهم قائلا: لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا,فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟.
فقال احد اصحاب النبي (ص): يا رسول الله اتكلم الموتى ؟ فقال النبي (ص):((ما انتم باسمع منهم))340.
3 لقد ذهب رسول الله (ص) الى البقيع مرارا وقال مخاطبا ارواح الراقدين في القبور والاجداث :
((السلام على اهل الديار من المؤمنين والمؤمنات)).
وفي رواية كان يقول : ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين))341.
4 روى البخاري في صحيحه انه لما توفي النبي (ص) دخل ا بو بكرحجرة عائشة ثم ذهب الى حيث سجي رسول الله (ص) فكشف عن وجه رسول الله (ص) وقبله ثم قال وهو يبكي : بابي انت يانبي الله , لايجمع الله عليك

موتتين اما الموتة الاولى التي كتبت عليك فقد متها342.
واذا لم يكن لرسول الله (ص) حياة برزخية , ولم يكن بينه وبيننا اي ارتباط فكيف خاطبه ابو بكر قائلا: يا نبي الله 5؟ عندما كان الامام علي (ع) يغسل رسول الله (ص) ويجهزه قال :انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والانبا, واخبار السمابابي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك 343.
وفي الختام نذكر بان للتوسل بالانبيا والاوليا صورا مختلفة جاشرحها في كتب العقائد.

الاصل الثامن والعشرون بعد المائة : البدا

ان لله تعالى في شان الانسان نوعين من التقدير:
1 تقدير محتوم وقطعي لا يقبل التغيير والتبديل مطلقا.
2 تقدير معلق ومشروط وهو يتغير ويتبدل مع فقدان بعض الشرائط, ويحل محله تقدير آخر.
وبالنظر الى هذا الاصل نذكر بان الاعتقاد بالبدا هو احد الاصول الاعتقادية الاسلامية الاصيلة التي اتفقت جميع الفرق الاسلامية على الاعتقاد بها اجمالا, وان احجم البعض عن استخدام لفظة ((البدا)) وهذاالاستيحاش من استعمال لفظة ((البدا)) لا يضر بالقضية ايضا, اذ ان المقصود هو بيان محتوى ((البدا)) ومعناه , لا لفظه واسمه .
ان حقيقة ((البدا)) تقوم في الحقيقة على اصلين :
الف : ان لله تعالى قدرة وسلطة مطلقة , فهو قادر على تغيير اي تقدير, واحلال تقدير آخر محله متى شا, في حين يعلم سلفا بكلاالتقديرين , ولا سبيل لاي تغيير الى علمه قط ايضا, لان التقدير الاول لم يكن بحيث يحد من قدرة الله او يسلب منه القدرة , فان قدرة الله تعالى على خلاف ما تعتقده اليهود من كونها محدودة لقولهم : (يد الله مغلولة),قدرة مطلقة , او كما قال القرآن :
(بل يداه مبسوطتان)344.
وبعبارة اخرى : ان خلا قية الله واعمال السلطة والقدرة من جانبه تعالى مستمر, وبحكم قوله تعالى :
(كل يوم هو في شان)345 فالله تعالى لم يفرغ سبحانه عن امر الخلق , بل عملية الخلق لا تزال متواصلة ومستمرة .
روى الصدوق باسناده عن الامام الصادق (ع): انه قال في قول الله عز وجل : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) لم يعنوا انه هكذا, ولكنهم قالوا قدفرغ من الامر فلا يزيد ولا ينقص (اي في العمر والرزق وغيرهما), فقال الله جل جلاله تكذيبا لقولهم : (غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشا) الم تسمع الله عز وجل يقول : (يمحوا الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب)346 347.
فالعقيدة الاسلامية تقوم على اساس الاعتراف بقدرة الله المطلقة وسلطته التي لا تحد, وبدوام خلا قيته واستمرارها, وبان الله تعالى قادركلما شا ومتى شا ان يغير المقدرات المرتبطة بالانسان في مجال العمروالرزق وغيرهما, ويحل محل ذلك مقدرات اخرى , وكلا التقديرين موجودان في ((ام الكتاب)) وفي علم الله سبحانه .
ب : ان اعمال القدرة والسلطة من جانب الله تعالى , واقدامه على احلال تقدير مكان تقدير آخر لا يتم من دون حكمة ومصلحة , وان قسمامن هذا التغيير يرتبط في الحقيقة بعمل الانسان وسلوكه , وانتخابه ,واختياره , وبنمط حياته الصالح او السي , فهو بهذه الامور يهيئ ارضية التغيير في مصيره .
ولنفترض ان انسانا لم يراع ـ لا سمح الله ـ حقوق والديه , فان من الطبيعي ان هذا العمل غير الصالح سيكون له تاثير غير مرغوب في مصيره .
فاذا غير من سلوكه هذا في النصف الاخر من حياته , واهتم برعاية حقوق والديه فانه في هذه الحالة يكون قد هيا الارضية لتغيير مصيره ,وصار مشمولا لقوله تعالى :
(يمحوا الله ما يشا ويثبت).
وينعكس هذا الذي ذكرناه اذا انعكس الامر.
ان الايات والروايات في هذا المجال كثيرة نذكر بعضها هنا:
1 (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم)348.
2 (ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)349.
3 يروي السيوطي في تفسيره ((الدر المنثور)) ان الامام اميرالمؤمنين عليا(ع) سال رسول الله (ص) عن قوله : (يمحوا الله ما يشا).
فقال النبي (ص): ((لاقرن عينك بتفسيرها ولاقرن عين امتي بعدي بتفسيرها: الصدقة على وجهها, وبر

الوالدين واصطناع المعروف يحول الشقا سعادة ويزيد في العمر ويقي مصارع السوْ)) 350.
وقال الامام الباقر (ع): صلة الارحام تزكي الاعمال , وتنمي الاموال , وتدفع البلوى , وتيسر الحساب , وتنسئ في الاجل 351.
وبالنظر الى هذين الاصلين يتضح ان الاعتقاد بالبدا عقيدة اسلامية قطعية , وان جميع الفرق الاسلامية تعتقد به بغض النظر عن التعبيروالتسمية , واستخدام لفظ ((البدا)).
وفي الختام نذكر بنقطتين لنعرف لماذا اطلقت لفظة ((البدا)) على هذه المسالة في الروايات فجا التعبير عن هذه العقيدة الاسلامية بقولهم :((بدا لله)).
الف : ان استخدام هذه اللفظة في هذه المسالة جا تبعا للنبي الاكرم (ص),فقد روى البخاري في صحيحه ان النبي قال في شان ثلاثة اشخاص :ابرص واقرع واعمى : ((بدا لله عز وجل ان يبتليهم)).
ثم ذكر بعد ذلك قصتهم بصورة مفصلة وبين كيف ان اثنين منهم سلبت منهما سلامتهما بسبب كفران النعمة , واصابهما ما اصيب به اسلافهم من الامراض 352.
ب : ان هذا النوع من الاستعمال من باب المشاكلة , والتحدث بلسان القوم حتى يفقهوا, ويفهموا الموضوع .
فقد تعارف في العرف الاجتماعي انه اذا غير احد قرارا قد اتخذه ان يقول بدا لي .
وقد تحدث ائمة الدين بلسان القوم ليمكنهم تفهيم مخاطبيهم , وقداستعملوا مثل هذه اللفظة في حق الله تعالى .
والجدير بالذكر ان القرآن الكريم استخدم في شان الله تعالى الفاظاوصفات مثل المكر والكيد, والخداع والنسيان , في حين اننا نعلم ان الله تعالى منزه عن مثل هذه الامور (بمعانيها ومفاهيمها الرائجة بين البشر)قطعا ويقينا, ومع ذلك كرر القرآن الكريم هذه الصفات واستعمل الالفاظفي حق الله سبحانه .
1 (انهم يكيدون كيدا # واكيد كيدا).353
2 (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا).2
3 (ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم)354.
4 (نسوا الله فنسيهم)4.
وعلى كل حال فان لمحققي الشيعة حول استعمال لفظ البدا,بالنظر الى امتناع حصول التغير, والتبدل في علم الله تعالى دراسات وتحقيقات قوية وشيقة لامجال لذكرها هنا, ونحن نحيل من يحب الاطلاع عليها الى الكتب والمؤلفات التي تتضمن هذه الابحاث 355.

الاصل التاسع والعشرون بعد المائة : الرجعة

((الرجعة)) في اللغة تعني العودة , والمقصود منها في الثقافة الشيعية هوعودة جماعة من الامة الاسلامية الى الحياة بعد ظهور الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف , وقبل قيام القيامة .
ويشهد القرآن الكريم قبل اي شي بوجود مسالة الرجعة في الثقافة الاسلامية .
فقد قال سبحانه وتعالى في سورة النمل الاية 83:
(ويوم نحشر من كل امة فوجا ممن يكذب بياتنا فهم يوزعون).
وفي الاية 87 من سورة النمل يقول :
(ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الارض الا من شا الله وكل اتوه داخرين).
اي بعد النفخ يفزع كل الناس جميعا ومن دون استثنا.
ان الاية الاولى تتحدث عن احيا فريق خاص في اليوم الاول بينماتتحدث الاية الثانية عن احيا جميع الناس مما يكشف عن ان اليوم الاول هو غير يوم القيامة وانهما يختلفان .
فالقرآن يتحدث كما نرى بوضوح عن يومين , وقد عطف اليوم الثاني على اليوم الاول , مما يكشف عن ان هناك حشرين واعادتين الى الحياة بعد الموت .
ونذكر ثانية بان الاية الاولى تتحدث عن احيا طائفة من الناس ومن الطبيعي ان مثل هذا اليوم لا يمكن ان يكون يوم القيامة , لان الناس في ذلك اليوم يحشرون باجمعهم , كما قال ايضا في الايات 93 - 95 من سورة مريم :
(ان كل من فى السماوات والارض الا اتي الرحمن عبدا # لقد احصاهم وعدهم عدا# وكلهم آتيه يوم القيامة فردا).
وكما يقول تعالى في آية اخرى في وصف يوم القيامة :
(وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا)356.
فيستنتج من المقارنة بين الاية 83 من سورة النمل وبين الايات 93الى 95 من سورة مريم و 47 من سورة الكهف الاختلاف بينها في المضمون : ان العالم البشري ينتظر يومين يحشر في احدهما بعض الناس , ويحشر في

الاخر جميعهم بلا استثنا.
وروايات الشيعة التي ترتبط بالرجعة , تتعلق بما يقع بعد ظهورالامام المهدي (ع), وقبل يوم القيامة .
ان عـودة جمـاعة من الصالحين , والظالمين قبل يوم القيامة ليس بالامر العجيب ابدا لانه قد وقع مثل ذلك في الامم السالفة حيث عادبعض الناس الى الحياة مرة اخرى ثم ماتوا بعد ذلك ثانية 357 .
ان عـودة الـبعض الى الحياة في هذا العالم (الدنيوي) بعد الموت لاهو مخالف لحكم العقل , ولا هو معارض للنقل , لانه كما اسلفنا مماصرح القرآن الكريم بوقوع نظيره في الامم السالفة , وهذا هو خير دليل على امكان وقوعه .
علـى ان ((الرجعة)) تختلف عن ((التناسخ)), وتشبيه الاول بالثاني تشبيه خاطئ جدا, وذلك لان ((التناسخ)) يعني عودة الروح والنفس الى الحياة بعد الموت مرة اخرى ابتدا من مرحلة النطفة , او تعلقها ببدن آخر,والحال انه لا يحدث مثل هذين الامرين الباطلين في ((الرجعة)) قط.
ان حكم الرجعة ـ من هذه الجهة ـ اشبه ما يكون بعودة الموتى الى الحياة في الامم السابقة وبالمعاد الجسماني الذي يقع في القيامة .

وفي الحقيقة ان ((الرجعة)) هو مظهر مصغر من القيامة النهائية الحقيقية الكبرى التي يحشر فيها الناس اجمعون , وبلا استثنا.
ان البحث المفصل حول ((الرجعة)) والحديث حول جزئياتها,وتفاصيلها, موكول الى : كتب التفسير, والحديث , والكلام , الشيعية , وقدبلغت روايات الشيعة في هذا المجال حد التواتر, وثمت مايفوق ثلاثين حديثا رويت في اكثرمن خمسين مؤلفا358.

الاصل الثلاثون بعد المائة : عدالة الصحابة

ان لصحابة النبي (ص) الذين آمنوا به في حياته , واستفادوا منه المعرفة ,واخذوا عنه العلم , والسنة , احتراما خاصا عندنا نحن الشيعة الامامية ,وذلك من دون فرق بين الذين استشهدوا في معركة ((بدر)) و((احد))و((الخندق)) و((حنين)), او بقوا على قيد الحياة بعد رسول الله (ص).
فكل هؤلا الذين آمنوا برسول الله (ص) وعاشوا معه , وصحبوه محترمون ,ولا يجوز لمسلم في العالم ان يسي الى صحابة رسول الله (ص) (من جهة كونهم صحابة للنبي) او يؤذيهم , ونسبة مثل هذا الموقف الى فريق من المسلمين نسبة ظالمة وافترا مرفوض .
ولكن الى جانب هذه المسالة ثمت مسالة اخرى يجب دراستها من دون تعصب او حب وبغض غير مبررين , وهي : هل ان جميع صحابة النبي (ص) عدول واتقيا, ومنزهون عن الذنوب , او ان حكم الصحابة في هذه النقطة هو عين حكم التابعين الذين لا يمكن ان نعتبر جميعهم عدولااتقيا.
ان من البديهي ان مرافقة رسول الله (ص) ورؤيته وان كانت مبعث فخرواعتزاز لمن يرافقه ويراه الا ان كل هذه الامور لا توجب المصونية لهم من الذنوب , ولا الحصانة من المعاصي , ولا يمكن النظر الى جميع الصحابة بنظرة واحدة ومساوية , واعتبارهم جميعا عدولا اتقيا, مبراين عن كل زلل وخطل , ذلك لانهم - بشهادة القرآن - من حيث الايمان والنفاق , ومن حيث الطاعة والعصيان , والتسليم وعدم التسليم امام الله ونبيه (ص) على اصناف مختلفة , وفي هذا التصنيف لا يمكن اعتبارهم جميعا في مرتبة واحدة , ولا اعتبارهم جميعا عدولا اتقيا.
انه مما لاشك فيه ان القرآن الكريم مدح اصحاب النبي (ص) في مواقع مختلفة359 , وللمثال قد ذكر القرآن ان الله رضى عن الذين بايعواتحت الشجرة في حالة صلح الحديبية , اذ قال سبحانه :
(لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا)360.
فالاية تعكس رضى الله سبحانه عن المؤمنين , لكنها لا تعني انهم صاروا بذلك عدولا اتقيا الى آخر عمرهم وان عصوا وخالفوا امره سبحانه , نعم ثبت رضاه سبحانه عنهم في فترة خاصة وهو حال المبايعة بشهادة قول : (اذ يبايعونك) وهو ظرف للرضا فهذا المدح لهم لا يدل على ضمان صلاحهم واستقامتهم حتى آخر لحظة من حياتهم .
ولهذا اذا سلك شخص او اشخاص منهم طريق الخلاف فيما بعدلم يكن رضا الله تعالى عنهم في طرف المبايعة دليلا على تقواهم المستمر, ولا شاهدا على فلاحهم الابدي , لان شان هذا الفريق , ومقامهم ليس اعلى ولا اسمى من شان ومقام رسول الله (ص) الذي قال الله مخاطباياه :
(لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)361.
ان الايات المادحة للمهاجرين والانصار تبين ما حصل عليه هؤلاالاشخاص من الكمال في تلك الحالة , ومن البديهي انهم سيكونون مفلحين دائما اذا حافظوا على هذا الكمال الى آخر لحظة من حياتهم .
وعلى هذا الاساس لو دلت الدلائل القاطعة من الكتاب والسنة على انحراف فرد, او افراد لا يصح في هذه الحالة الاستناد الى المدائح المذكورة لهم .
ولنضرب مثلا على ذلك ما جا في القرآن الكريم في حق احدالصحابة .
فان القرآن الكريم وصف احد الصحابة بانه ((فاسق))362 اذ قال :
(ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا)363.
وقال في آية اخرى :
(افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون)3.
ان هذا الفرد بشهادة التاريخ القطعي هو ((الوليد بن عقبة)) وكان من اصحاب رسول الله (ص) رغم كونه صحابيا ومهاجرا وهما فضيلتان سامقتان الا انه لم يتمكن من المحافظة على هاتين الفضيلتين , بل تسبب كذبه على طائفة ((بني المصطلق)) بان يذكر بلفظ ((الفاسق)).
ومع الالتفات الى هذه الاية ونظائرها364 وكذا ملاحظة الاحاديث التي وردت في ذم بعض الصحابة في كتب

الحديث 365, وكذا في ضؤمطالعة التاريخ الاسلامي والوقوف على سيرة بعضهم366 لا يمكن اعتبار جميع صحابة النبي (ص) الذين يتجاوز عددهم المائة الف شخص عدولا اتقيا جميعا.
علـى ان مـا نحن بصدد بحثه ودراسته هنا هو ((عدالة جميع الصحابة))لا سب الصحابة , وان من الـمؤسـف انـه لم يفرق البعض بين المسالتين ,وانما عمد الى اتهام المخالفين في المسالة الاولى والايقاع فيهم في غيرما حق .
وفي الخاتمة نؤكد على ان الشيعة الامامية لاترى احترام صحبة النبي (ص) مانعا من مناقشة افعال بـعض صحابته (ص) والحكم عليها وتعتقدبان معاشرة النبي لا تكون سببا للمصونية من المعاصي الى آخر العمر.
علـى ان موقف الشيعة , في هذا المجال ينطلق من الايات القرآنية ,والاحاديث الصحيحة , والتاريخ القطعي , والعقل المحايد الحصيف .

الاصل الواحد والثلاثون بعد المائة : محبة النبي وآله (ص)

ان مـحـبة النبي واهل بيته الطاهرين صلوات اللّه عليهم اجمعين ومودتهم من اصول الاسلام التي اكد عليها القرآن والسنة , فقد قال القرآن الكريم في هذا الصدد:
(قل ان كـان آبـاؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونـها احب اليكم من اللّه ورسوله وجهادفى سبيله فتربصوا حتى ياتي اللّه بامره واللّه لا يهدي القوم الفاسقين)367.
وقال في آية اخرى :
(فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون)368.
فان اللّه تعالى يعد ـ في هذه الاية ـ اربع خصوصيات للمفلحين وهي :
1 الايمان بالنبي : (آمنوا به).
2 تكريمه وتوقيره : (وعزروه).
3 نصره وتاييده : (ونصروه).
4 اتباع النور (القرآن) الذي انزل معه : (واتبعوا النور الذي انزل معه).
ونـظـرا الـى ان ((نصرة)) النبي الاكرم جات في الخصيصة الثالثة لذا لامناص من ان يكون المراد بـلفظة ((عزروه)) في الخصيصة الثانية هو تكريم النبي الاكرم (ص) وتعظيمه ولاشك ان تعظيمه وتكريمه لا يختص بزمان حياته , كما ان الايمان الذي ورد ذكره في الاية ليس محدودا كذلك .
وفـي مـجـال لـزوم مـحبة اهل بيته ومودتهم يكفي ان القرآن الكريم اعتبرهااجرا للرسالة (اي انه بمنزلة الاجر لا الاجر الواقعي), اذ يقول تعالى :
(قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى)369.
ان الدعوة الى محبة النبي , ومودته والحث عليها لم يرد في القرآن الكريم وحده بل جا التاكيد عليها حتى في الاحاديث الشريفة التي نذكر منها نموذجين على سبيل المثال لا الحصر:
1 قال رسول اللّه (ص) : ((لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده والناس اجمعين))370.
2 وقـال (ص) في حديث آخر: ((ثلاث من كن فيه , ذاق طعم الايمان :من كان لا شي احب اليه من اللّه ورسـولـه , ومن كان لئن يحرق بالنار احب اليه من ان يرتد عن دينه , ومن كان يحب للّه ويبغض للّه)) 371.
كـمـا ان مـحبة اهل بيت النبي (ص) ومودتهم جا التاكيد والحث عليهافي الاحاديث الشريفة ايضا ونود ذكر بعض تلك الاحاديث على سبيل النموذج :
1 قـال رسـول اللّه (ص): ((لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وتكون عترتي احب اليه من عترته ويكون اهلي احب اليه من اهله))372.
2 وقال (ص) في حديث آخر: ((من احبهم احبه اللّه , ومن ابغضهم ابغضه اللّه))2.
الى هنا تعرفنا على ادلة هذا الاصل (وهو لزوم محبة النبي وعترته ومودتهم) والان ينطرح السؤالان التاليان :
1 ما هي الثمرة التي تجنيها الامة من مودة النبي وعترته ؟.
2 ما هي كيفية مودة النبي وعترته ؟.
لابد في هذا المجال ان نذكر ان محبة الانسان الفاضل الكامل ومودته توجب بنفسها صعود الانسان فـي مـدارج الـكـمـال , فان الانسان اذااحب شخصا من صميم قلبه سعى الى التشبه به في حركاته وسكناته ,وتحصيل ما يسر ذلك الشخص في نفسه وذاته , وترك ما يؤذيه ويزعجه .
ومن الواضح ان وجود مثل هذه الروحية في الانسان توجب التحول فيه , وتبعثه على سلوك طريق الطاعة

واجتناب طريق المعصية دائما.
ان الذي يظهر التعلق باحد ويتظاهر بمودته بينما يخالفه في مقام العمل يفتقد المحبة الحقيقية .
وقد نسب بيتان من الشعر الى الامام جعفر الصادق (ع) جات الاشارة فيهما الى هذه النقطة , اذ يقول :
تعصي الاله وانت تظهر حبه ـــ هذا لعمري في الفعال بديع .
لو كان حبك صادقا لاطعته ـــ ان المحب لمن يحب مطيع373 .
والان - وبعد ان تبين بعض ثمرات مودة النبي وعترته - يجب ان نشير الى اسلوب اظهار تلك المودة .
لاشك ان المقصود من ((الحب)) ليس هو الحب الباطني العاري عن اي عمل يناسبه , بل المقصود هو المودة التي تظهر آثارها المناسبة على قول الانسان وفعله .
ومن احد الاثار البارزة لمحبة النبي وآله الطاهرين هو اتباعه العملي كما مرت الاشارة الى ذلك , ولكن الحديث هنا هو عن الاثارالاخرى لهذه الحالة الباطنية , وتتمثل في كل ما يعده الناس من الاقوال والافعال , علامة للحب والمودة تحت هذه القاعدة , شريطة ان يكون تكريم النبي (ص) بعمل مشروع لا بعمل حرام .
وعلى هذا فان تكريم النبي (ص) واهل بيته (ع) في كل زمان , وبخاصة في مواليدهم او وفياتهم ,يتحقق باظهار المودة لهم وابراز التكريم لشخصياتهم .
فالاحتفال بمواليدهم واشعال المصابيح ونصب الاعلام والرايات الملونة , ونشر معالم الزينة , واقامة مجالس تعرض فيها فضائل النبي اواهل بيته يعد آية المودة وعلامة المحبة لهم , وعلى هذا الاساس كان تكريم النبي في يوم مولده سنة مستمرة بين المسلمين .
يقول القسطلاني في كتابه ((المواهب اللدنية)): ولا يزال اهل الاسلام يحتفلون بشهر مولده (ع), ويعملون الولائم , ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات , ويظهرون السرور, ويزيدون في المبرات , ويعتنون بقراة مولده الكريم , ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم 374.

الاصل الثاني والثلاثون بعد المائة : اقامة مجالس العزا

من البيان السابق اتضحت فلسفة وحكمة اقامة مجالس العزا, والمتم لائمة الدين , لان اقامة مثل هذه المجالس من اجل ذكر مصائبهم وبيان ماجرى عليهم من المحن في سبيل الدين , هو نوع من انواع اظهار المودة والمحبة لهم فاذا ما بكى يعقوب لفراق ولده العزيز ((يوسف)) سنيناعديدة , وذرف دموعا كثيرة375 فان ذلك نابع من محبته وعلاقته القلبية بابنه .
واذا ما بكى محبو اهل البيت في مصابهم بسبب علاقتهم القلبية بهم , وحبهم العميق لهم , فانهم يتبعون في هذا العمل النبي يعقوب (ع).
ان اقامة مجلس في مصاب الاحبة والبكا لفقدانهم هي في الاساس عمل اسسه رسول الله (ص), وذلك عندما سمع نسا الانصار يبكين قتلاهن في معركة ((احد)), فقال وهو يذكر عمه ((حمزة)) سيد الشهدا: ((ولكن حمزة لا بواكي له))376.
وعندما عرف اصحاب رسول الله (ص) برغبته في اقامة مجلس العزا لعمه ((حمزة)) امروا ازواجهم بان يبكين على قتلاهم الشهدا وعلى ((حمزة))ويقمن مجلس العزا له , فاقيم مجلس لذلك الغرض فلما بلغ رسول الله (ص) ما فعله الانصار وازواجهم شكرهم على ذلك , ودعا في حقهم قائلا: ((رحم الله الانصار)), ثم طلب من اصحابه من الانصار بان يامروازواجهن بان يعدن الى منازلهن377 .
وثمة روايات عديدة تكاد تبلغ حد التواتر تعرب عن ان رسول الله (ص) بكى على الحسين سبطه الاصغر لما يلم به وباهله وانصاره على ايدي الفئة الباغية , في وقعة كربلا, كما يلاحظ ذلك من يراجع كتاب ((الصواعق المحرقة)) لابن حجر و((نور الابصار)) للشبلنجي الشافعي , و((المستدرك على الصحيحين)) للحاكم النيسابوري 3: 176.
كما رثاه وبكاه طائفة من علما الاسلام من سنة وشيعة وانشاوا في مصابه القصائد المطولة .
فهذا الامام الشافعي يقول :
تاوب قلبي فالفؤاد كئيب ـــ وارق نومي فالسهاد غريب .
الى ان يقول :
فمن مبلغ عني الحسين رسالة ـــ وان كرهتها انفس وقلوب .
ذبيح بلا جرم كان قميصه ـــ صبيغ بما الارجوان خضيب 378 ـــ هذا مضافا الى ان لاقامة المتم ومجالس العزا للشهدا في سبيل الحق فلسفة هامة اخرى وهي ان احيا ذكراهم يوجب الحفاظ على عقيدتهم التي قتلوا من اجلها

تلك العقيدة التي يتكون جوهرها من التفاني في سبيل الدين وعدم الخضوع للذل , والهوان وهم يرددون شعار ((الموت في عز خير من الحياة في الذل)) ويجددون في كل يوم عاشورا هذاالمنطق العظيم ويتعلم الشعوب والامم دروسا حيوية من نهضتهم وثورتهم الكبرى .

الاصل الثالث والثلاثون بعد المائة : صيانة الاثار الاسلامية

يسعى كل العقلا في العالم في حفظ آثار عظمائهم , واسلافهم ,ويحمونها من الاندثار والزوال بحجة كونها ((تراثا فكريا)) وآثارا حضارية ,وتجتهد الامم المتحضرة والراقية في حفظ الاثار الوطنية القديمة وماخلفه اسلافها من مفاخر جديرة بالاعتزاز, لان آثار الاسلاف هي في الحقيقة حلقة الوصل بين القديم والجديد, والماضي والحاضر, وهي ترسم حركة الشعوب والامم في مسار التقدم والرقي , وتضي لها الطريق ,والسبيل .
ثم ان الاثار القديمة اذا كانت ترتبط بالرسل والانبيا فان الحفاظعليها وحراستها ـ مضافا الى ما ذكر من الفائدة ـ تساعد بصورة قوية في المحافظة على اعتقاد الناس وايمانهم باولئك الرسل والانبيا, ويكون لها ابلغ الاثر في تقوية دعائمها, وتجذيرها وتاصيلها, بينما يؤدي زوالها, واندثارها بعد مدة الى انقداح روح الشك , والريب في نفوس اتباعهم , ويعرض اصل الموضوع لخطر الغموض , والابهام , والنسيان والضياع .
وللمثال نشير الى المجتمع الغربي , فان الناس في هذا المجتمع وان اصطبغت حياتهم بالصبغة الغربية , واخذوا بدابها واخلاقها تماما,ولكنهم في مجال العقيدة مدوا ايديهم نحو الشرق , واعتنقوا الدين المسيحي وخضعوا لسلطانه ردحا من الزمن بيد انهم مع تغير الاوضاع ,وتنامي روح البحث والتحقيق لدى الشباب الغربي بدا الشك والترديديدب في نفوسهم , وباتوا يشكون في اصل وجود السيد ((المسيح)) الى درجة انهم على اثر عدم وجود آثار ملموسة من السيد ((المسيح)) عادوايعتبرونه اسطورة تاريخية .
في حين ان المسلمين ظلوا في منای عن مثل هذه الحالة , فقدحافظوا على طول التاريخ وبكل فخر واعتزاز على الاثار المتبقية من رسول الله (ص) وابنائه من خطر الاندثار, والزوال بسبب الحوادث .
فالمسلمون يدعون ان شخصية نبيلة طاهرة اختيرت قبل اربعة عشر قرناللنبوة وللرسالة , وقام ذلك النبي بمعونة برنامجه الراقي جدا باصلاح المجتمع , واوجد في ذلك المجتمع تحولا عظيما, وانقلابا عميقا,واسس حضارة كبرى لا يزال المجتمع يستفيد من معطياتها, وثمارها,ولا سبيل للشك قط في وجود مثل هذه الشخصية المصلحة , ولا في الحضارة التي اسسها وارسى قواعدها, لبقا آثاره الى هذا اليوم , فمحل ولادته , ومكان عبادته ومناجاته , والنقطة التي بعث فيها, والنقاطالاخرى التي القى فيها خطبه , والاماكن التي دافع فيها عن عقيدته ورسالته , والرسائل التي تبودلت بينه وبين ملوك العالم وحكام الدول في عصره , والعشرات بل المئات من آثاره , والعلائم الدالة عليه , باقية من دون ان تمسها يد التغيير, ومن دون ان تطالها معاول الزوال , فهي محسوسة ومشهودة للجميع .
وهذا البيان يمكن ان يوضح اهمية حفظ الاثار من جهة التفكيرالاجتماعي ودورها في هدايته وقيادته .
وهو امر ايدته النصوص القرآنية وسيرة المسلمين , فقد قال تعالى في القرآن الكريم :
(في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والاصال # رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايت الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) 379.
وليس المراد من لفظ ((البيوت)) الوارد في هذه الاية ((المساجد)) لان البيوت جا في القرآن الكريم في مقابل المساجد, لان ((المسجد الحرام))غير ((بيت الله الحرام)) فالبيوت في هذه الاية يراد منها بيوت الانبيا,وخاصة بيت الرسول الاكرم محمد(ص), وذريته الطاهرة .
فقد روى السيوطي في تفسيره ((الدر المنثور)): عن انس بن مالك ,وبريدة , قال : قرا رسول الله (ص) هذه الاية , فقام اليه رجل فقال : اي بيوت هذه يا رسول الله ؟ قال : ((بيوت الانبيا)).
فقام اليه ابو بكر فقال : يارسول الله هذا البيت منها؟ مشيرا الى بيت علي وفاطمة , قال : ((نعم من افاضلها))380.
والان ـ بعد ان اتضح المراد من ((البيوت)) ـ لابد من توضيح المراد من ((ترفيع البيوت)).
ان هناك احتمالين في هذا المجال :
1 الترفيع : بمعنى بنا البيوت وتشييدها, كما جا بهذا المعنى في قوله تعالى :
(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل)381.
2 الترفيع : بمعنى احترام تلك البيوت وحراستها, والمحافظة عليها.
فعلى المعنى الاول , حيث ان بيوت الانبيا قد بنيت قبل ذلك , لهذالا يمكن ان يكون المراد من الترفيع في الاية

الحاضرة هو ايجاد البيوت ,بل المراد هو حفظها من الانهدام والزوال .
وبنا على المعنى الثاني , يكون المراد من حفظ تلك البيوت هو مضافا الى صيانتها من الخراب والانهدام - حفظها من اي نوع من انواع التلوث المنافي لقداستها وحرمتها.
وعلى هذا الاساس يجب على المسلمين السعي في تكريم ,وحراسة البيوت المرتبطة بالرسول الاكرم (ص), وعليهم ان يعتبروا هذاالعمل امرا قربيا, اي مقربا الى الله سبحانه .
ثم انه يستفاد من الاية التي تدور حول اصحاب الكهف انه عندماكتشف موضع اختفائهم , اختلف الناس في كيفية تكريمهم فصاروافريقين :
فريق قالوا: يجب البنا على قبرهم بغية تكريمهم .
وفريق آخر قالوا: يجب بنا مسجد على مرقدهم , وقد اخبرالقرآن الكريم بكلا الاقتراحين , وكلا الرايين , ولو كان هذا العمل , او ذلك مخالفا لاصول الاسلام لاخبر بهما بنحو آخر, ولتناولهما بالنقد ولكنه رواهما من دون نقد, اذ قال :
(اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبواعلى امرهم لنتخذن عليهم مسجدا)382.
ان هاتين الايتين (مع ملاحظة سيرة المسلمين المستمرة من عصررسول الاسلام الى هذا اليوم والمستقرة على حفظ هذه الاثار,والمحافظة على البيوت المرتبطة برسول الله واهل بيته المطهرين وحراستها) دليل واضح وبرهان قاطع على كون هذا الموقف موقفااسلاميا, واصلا شرعيا.
ولهذا تقوم مسالة تعمير مراقد الانبيا - وبصورة خاصة مراقدرسول الله وعترته الطاهرة صلوات الله عليهم - وبنا المساجد عليها, اوالى جانبها, على اساس هذا الاصل الاسلامي .

الاصل الرابع والثلاثون بعد المائة : زيارة قبور المؤمنين

تعتبر زيارة قبور المؤمنين , وبخاصة قبور الاقربا والابنا منهم , من الاصول الاسلامية التي تنطوي على آثار تربوية في نفس زائريها, وذلك لان مشاهدة تلك الديار الصامتة التي يرقد فيها اناس كانوا قبل ذلك يعيشون في الدنيا, ويقومون بمختلف النشاطات , ولكنهم اصبحوا بعدحين اجداثا خامدة , وجثثا هامدة , جديرة بان تهز الضمير, وتوقظالقلوب , وتنبه الغافلين , وتكون درس عبرة لا ينسى .
فان من يشاهد هذا المنظر سيحدث نفسه قائلا: وما قيمة هذه الحياة الدنيا التي سرعان ما تنتهي , وتكون ملها موت الانسان ورقوده تحت التراب .
هل يستحق العيش في مثل هذه الدنيا الفانية ان يقوم فيها الانسان من اجله باعمال ظالمة , وممارسات فاسدة ؟.
ان هذا التساؤل الذي يواجهه ضمير الانسان المفكر في مصيرالبشر, سيدفع به الى اعادة النظر في سلوكه وممارساته , وسيؤدي ذلك الى حصول تحول كبير في روحه ونفسه .
وقد اشار رسول الله (ص) الى هذا الاثر الهام , اذ قال في حديث شريف : ((زوروا القبور فانها تذكركم بالاخرة))383.
ثم انه مضافا الى هذا تعتبر زيارة مراقد ائمة الدين وقادته نوعا من الترويج للقيم الدينية , والمعنوية , كما ان اعتنا الناس بمراقد اولئك الشخصيات سيقوي لديهم الفكرة التالية , وهي ان الحالة المعنوية التي كانت تلك الشخصيات تتمتع بها هي التي جذبت قلوب الناس اليهم ,وهي التي رفعتهم الى تلك المنزلة العظيمة التي حازوا بها احترام الناس وتكريمهم لهم , اذ رب رجال من اصحاب السلطان والقوة يرقدون تحت التراب دون ان يحظوا بمثل هذه العناية والاحترام من قبل الناس .
ولقد كان رسول الله (ص) يذهب في اخريات حياته الى البقيع ,ويستغفر لاصحاب القبور, ويقول :
((امرني ربي ان آتي البقيع واستغفرلهم)) ثم قال : اذا زرتموهم فقولوا:
((السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين , وانا ان شا الله بكم لاحقون))384.
وقد اعتبرت زيارة قبور اوليا الله وائمة الدين - في كتب الحديث من الاعمال المستحبة المؤكدة , وكان ائمة اهل البيت يذهبون دائمالزيارة رسول الله (ص) وغيرهم من الائمة المتقدمين عليهم , وكانوا يحثون اتباعهم على هذا العمل .

الاصل الخامس والثلاثون بعد المائة : المنع عن الغلو

((الغلو)) في اللغة هو التجاوز عن الحد, وقد خاطب القرآن الكريم اهل الكتاب قائلا:
(يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق)385.
ولقد خاطبهم القرآن بهذا الخطاب لانهم كانوا يغالون في حق السيد ((المسيح)) ويتجاوزون الحد, اذ يقولون انه اله , او ابن الله , او رب .
وقد ظهرت بعد وفاة رسول الله (ص) فرق وطوائف غالت فيه (ص) اوفي الائمة المعصومين , من بعده وتجاوزت الحد, ووصفوهم بمقامات مختصة بالله وحده , ومن هنا سمي هؤلا بالغلاة , لتجاوزهم حدود الحق .
يقول الشيخ المفيد (ره): ((الغلاة من المتظاهرين بالاسلام هم الذين نسبوا امير المؤمنين الى الالوهية والنبوة , ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا, الى ما تجاوزوا فيه الحد, وخرجوا عن القصد))386.
ويقول العلا مة المجلسي : ان الغلو في النبي والائمة (ع) انما يكون بالقول بالوهيتهم , او بكونهم شركا لله تعالى في المعبودية , او في الخلق , والرزق , او ان الله تعالى حل فيهم , او اتحد بهم , او انهم يعلمون الغيب بغير وحي او الهام من الله تعالى , او بالقول في الائمة انهم كانواانبيا, او القول بان معرفتهم تغني عن جميع الطاعات , ولا تكليف معهابترك المعاصي387 .
ولقد تبرا الامام علي وابناؤه الطاهرون صلوات الله عليهم من الغلاة , وكانوا يلعنونهم على الدوام , ونحن هنا نكتفي بادراج حديث واحد في هذا المجال .
يقول الامام جعفر الصادق (ع): ((احذروا على شبابكم الغلاة لايفسدوهم , فان الغلاة شر خلق الله , يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله))388.
ولهذا لاقيمة لتظاهر الغلاة بالاسلام , فهم عند ائمة الدين كفار ضلا ل .
هذا ومن الجدير بالذكر هنا ان يقال : كما يجب الاجتناب حتما عن الغلو, يجب ان لا نعتبر كل تصور واعتقاد في حق الانبيا, واوليا الله غلوا, ويجب الاحتياط في هذا المجال كبقية المجالات الاخرى , وتقييم العقائد بشكل صحيح .

امور في الفروع

الفصل العاشر

الحديث والاجتهاد والفقه

الاصل السادس والثلاثون بعد المائة : مصادر التشريع والحديث

يعمل الشيعة الامامية في العقائد والاصول باحاديث مروية عن رسول الله (ص) عن طريق ثقات يعتمد عليهم , سوا اكانت هذه الروايات والاحاديث في كتب الشيعة ام في كتب اهل السنة .
من هنا ربما استند الشيعة في كتبهم الفقهية الى روايات منقولة عن طريق رواة من اهل السنة ايضا, ويسمى هذا النوع من الحديث الذي تصنف اقسامه على اربعة اقسام , بالموثق .
وعلى هذا فان ما يرمي به البعض من المغرضين ((الشيعة الامامية))في هذا المجال لا اساس له من الصحة مطلقا.
ان الفقه الشيعي الامامي يقوم ـ اساسا ـ على الكتاب والسنة ,والعقل , والاجماع .
والسنة عبارة عن قول المعصومين وفعلهم وتقريرهم وعلى راسهم رسول الله (ص).
وعلى هذا اذا روى شخص ثقة حديثا عن رسول الله (ص) واشتمل ذلك الحديث على قول النبي , او فعله , او تقريره , كان معتبرا في نظرالشيعة الامامية وتلقوه بالقبول وعملوا وفقه .
وما نجده في مؤلفات الشيعة ومصنفاتهم شاهد صدق على هذاالقول , ويجب ان نقول : انه ليس هناك اي فرق بين كتب الشيعة في الحديث , وكتب اهل السنة في الحديث , في هذا المجال , انما الكلام هوفي تشخيص من هو الثقة , وفي درجة اعتبار الراوي .

الاصل السابع والثلاثون بعد المائة : حجية الاحاديث المروية عن ائمة اهل البيت (ع).

ان الاحاديث والروايات التي تنقل عن ائمة اهل البيت المعصومين باسناد صحيحة , حجة شرعية , ويجب العمل بمضمونها, والافتا وفقها.
ان ائمة اهل البيت (ع) ليسوا بمجتهدين او ((مفتين)) - بالمعنى الاصطلاحي الرائج للفظتين - بل كل ما ينقل عنهم حقائق حصلوا عليهامن الطرق التالية :

الف - النقل عن رسول الله (ص)

ان الائمة المعصومين (ع) اخذوا احاديثهم من جدهم رسول الله (ص) (خلفا عن سلف وكابرا عن كابر) ثم رووها للناس .
وان هذا النوع من الاحاديث والروايات التي رواها كل امام لاحق عن الامام السابق الى ان يصل السند الى رسول الله (ص) كثيرة في احاديث الشيعة الامامية .
ولو ان هذه الاحاديث التي وردت عن اهل البيت واتصل سندها برسول الله (ص) جمعت في مكان واحد لحصل منها مسند كبير يمثل كنزا عظيماللمحدثين , والفقها المسلمين , لان مثل هذه الاحاديث والروايات بهذه الاسانيد المحكمة القوية لا نظير لها في عالم الحديث , ونشير الى نموذج واحد من هذه الاحاديث , ويسمى بحديث ((سلسلة الذهب)) ويقال ان السامانيين كانوا يحتفظون بنسخة منه في خزانتهم حبا منهم للادب والعلم .
روى الشيخ الصدوق , عن ابي سعيد محمد بن الفضل النيسابوري ,عن ابي علي الحسن بن علي الخزرجي الانصاري السعدي , عن ابي الصلت الهروي , قال : كنت مع علي بن موسى الرضا(ع) حين رحل من ((نيسابور)) وهو راكب بغلة شهبا, فاذا محمد بن رافع , واحمد بن حرب ,ويحيى بن يحيى , واسحاق بن راهويه , وعدة من اهل العلم , قد تعلقوابلجام بغلته في المربعة فقالوا: بحق آبائك المطهرين , حدثنا بحديث قدسمعته من ابيك , فاخرج راسه من العمارية , وعليه مطرف خز ذووجهين , وقال : ((حدثني ابي العبد الصالح موسى بن جعفر قال : حدثني ابي الصادق جعفربن محمد قال : حدثني ابي ابو جعفر محمد بن علي باقر علم الانبيا قال : حدثني ابي علي بن الحسين زين العابدين قال : حدثني ابي سيد شباب اهل الجنة الحسين قال : حدثني ابي علي بن ابي طالب قال : سمعت النبي (ص) يقول : قال الله جل جلاله : لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي)).
فلما مرت الراحلة , نادانا: ((بشروطها, وانا من شروطها)) 389.

ب : الرواية من كتاب علي (ع)

لقد صاحب علي (ع) رسول الله (ص) في فترة بعثته كلها, ولهذااستطاع ان يحفظ ويدون قدرا عظيما من احاديث رسول الله (ص) في كتاب (وفي الحقيقة كان ذلك الكتاب من املا رسول الله (ص) وكتابة علي (ع)).
ولقد ذكرت خصوصيات هذا الكتاب الذي صار بعد استشهادالامام علي (ع) الى اهل بيته في احاديث اهل البيت (ع).
يقول الامام الصادق عن هذا الكتاب : ((طوله سبعون ذراعا, املارسول الله (ص) قاله من فلق فيه , وخط علي بن ابي طالب (ع) بيده , فيه والله جميع ما تحتاج اليه الناس الى يوم القيامة))390.
ومن الجدير بالذكر ان هذا الكتاب بقي عند اهل البيت يتوارثه امام من امام , وقد نقل الامام الباقر والامام الصادق (ع) روايات عديدة منه وربما اطلعوا بعض شيعتهم عليه .
ويوجد قسم كبير من احاديثه الان في المجاميع الحديثية الشيعية وبالاخص كتاب ((وسائل الشيعة)).

ج : الالهامات الالهية

ان لعلوم اهل البيت (ع) منبعا آخر يمكن ان نسميه بالالهام .
والالهام ليس مخصوصا بالانبيا, فقد كان في طول التاريخ من الشخصيات المقدسة من كان يحظى بهذا الالهام , مع انهم لم يكونوانبيا, وقد كانت تلقى اليهم بعض الاسرار من عالم الغيب , وقد اشارالقرآن الكريم الى ذلك عندما تحدث عن مرافق النبي موسى (خضر)الذي علم موسى بعض الاشيا فقال :
(آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)391.
كما وانه قال في شان شخص من حاشية النبي سليمان (ع) (وهوآصف بن برخيا) قال :

(قال الذي عنده علم من الكتاب)392.
ان هؤلا الاشخاص لم يتعلموا علومهم , ولم يكتسبوا معلوماتهم من طريق التعلم , بل هو كما يعبر عنه القرآن علم لدني :(علمناه من لدنا علما).
وعلى هذا الاساس لا يكون عدم كون الشخص نبيا, مانعا من ان يحظى بالالهام الالهي , كما يحظى بعض الاشخاص من ذوي الدرجات المعنوية الرفيعة بالالهام الالهي .
وقد اطلق على هذا النمط من الاشخاص في احاديث الفريقين وصف ((المحدث)) يعني الذين تتحدث معهم الملائكة من دون ان يكونوا انبيا.
فقد روى البخاري في صحيحه عن النبي (ص) انه قال : ((لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل يكلمون من غير ان يكونوا انبيا)) 393.
من هنا كان ائمة اهل البيت (ع) ـ لكونهم مراجع للامة في بيان المعارف الالهية , والاحكام الدينية ـ يجيبون على الاسئلة التي لا توجداجوبتها في احاديث النبي (ص) او في كتاب علي (ع), من طريق ((الالهام))والتعليم الغيبي , والعلم اللدني 394.

الاصل الثامن والثلاثون بعد المائة : تدوين الحديث

ان الاحاديث النبوية تحظى باعتبار خاص , مثل القرآن الكريم , فالكتاب والسنة كانا ولا يزالان من مصادر المسلمين الاعتقادية والفقهية .
ولقد احجم فريق من المسلمين بعد رحلة النبي الاكرم (ص) وتحت ضغط من السلطات الحكومية بعد النبي , من كتابة وتدوين الحديث , ولكن اتباع اهل البيت (ع) لم يغفلوا ـ ولحسن الحظ ـ ولا لحظة واحدة عن تدوين الحديث , فدونوا, وضبطوا الحديث بعد رحيل النبي الاكرم (ص).
ولقد قلنا ـ في الاصل السابق ـ بان قسما من احاديث ائمة اهل البيت ماخوذ عن الرسول الاكرم نفسه .
ولقد قام علما مدرسة اهل البيت وعلى طول التاريخ , بتاليف مجاميع حديثية كبيرة , ومدونات تضم الروايات والاخبار, جا ذكرها في كتب الرجال , خاصة في القرن الرابع والخامس الهجريين , مستفيدين ـ في هذا الصعيد ـ من الكتب التي تم تاليفها وتدوينها في عصر الائمة (ع),وعلى ايدي اصحابهم وتلامذتهم العديدين .
والكتب الحديثية الجامعة المدونة التي تعتبر اليوم محورا للعقائدوالاحكام الشيعية هي عبارة عن :
1 ((الكافي)) تاليف محمد بن يعقوب الكليني (المتوفى عام 329 ه)في ثمانية اجزا.
2 ((من لا يحضره الفقيه)), تاليف محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالصدوق (306 - 381 ه) في اربعة اجزا.
3 ((التهذيب)) تاليف محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (385- 460 ه) في عشرة اجزا.
4 ((الاستبصار)), تاليف المؤلف السابق , في اربعة اجزا.
وهذه هي ثاني مجموعة من المجاميع الحديثية التي دونها ونظمهاالشيعة , طوال التاريخ , بجهودهم الحثيثة حتى القرن الرابع والخامس الهجريين , وقد الفت ـ كما ذكرنا ـ في عصر الائمة اي القرن الثاني والثالث جوامع حديثية تسمى بالجوامع الاولية , بالاضافة الى ((الاصول الاربعمائة)) وقد انتقلت محتوياتها الى الجوامع الثانوية .
وحيث ان علم الحديث كان دائما موضع اهتمام الشيعة , لذلك الفت في القرن الحادي عشر, والثاني عشر مجاميع حديثية اخرى نترك ذكر اسمائها لعلة الاختصار.
الا ان اكثر هذه المجاميع شهرة هو ((بحار الانوار)) للعلامة محمدباقر المجلسي , ووسائل الشيعة لمحمد بن الحسن الحر العاملي .
هذا ومن البديهي ان الشيعة لا تعمل بكل حديث , ولا تعمل باخبارالاحاد, في العقائد, او التي تخالف في مضمونها القرآن او السنة القطعية , وليست بحجة عندهم , على ان مجرد وجود الرواية في كتب الحديث عندهم لا يدل على اعتقاد المؤلف بمفاده , بل الاحاديث تتنوع عند هذه الطائفة الى صحيح وحسن , وموثق , وضعيف , ولكل واحد من هذه الانواع احكام خاصة , ودرجة خاصة من الاعتبار, وقد جا بيان ذلك على وجه التفصيل في علم الدراية .

الاصل التاسع والثلاثون بعد المائة : الاجتهاد

اشرنا فيما سبق الى مصادر الفقه الشيعي الامامي (وهي عبارة عن الادلة الاربعة : الكتاب والسنة والعقل والاجماع), وتسمى عملية استنباطالاحكام الشرعية من هذه الادلة بشروط خاصة مذكورة في علم الاصول

ب((الاجتهاد)).
ان الشريعة الاسلامية حيث انها شريعة سماوية , ولا شريعة بعدهاقط, وجب ان تلبي كل الحاجات البشرية في مختلف مجالات حياتهاالفردية والاجتماعية .
ومن جانب آخر حيث ان الحوادث والوقائع لا تنحصر فيما كان في زمن رسول الله (ص) فالتطورات المتلاحقة في الحياة تطرح احتياجات وحالات جديدة , تحتاج كل واحدة منها طبعا الى حكم شرعي خاص .
وبالنظر الى هذين المطلبين يكون فتح باب الاجتهاد في وجه الفقها على طول التاريخ امرا ضروريا, اذ هل يمكن ان يكون الاسلام الذي هو شريعة الهية كاملة ودين جامع ان يسكت في الحوادث الجديدة الظهور, وان يترك البشرية حائرة في منعطفات التاريخ والحياة , امام سيل الحوادث الجديدة .
كلنا نعلم بان علما ((الاصول)) قسموا ((الاجتهاد)) الى قسمين ((الاجتهاد المطلق)) و ((الاجتهاد في مذهب خاص)).
فاذا اجتهد شخص في مسلك ابي حنيفة الفقهي , وسعى الى ان يحصل على رايه في مسالة ما, سمي عمله ب((الاجتهاد في المذهب)).
واما اذا لم يقيد المجتهد نفسه بمذهب معين وخاص في المذهب وسعى الى ان يفهم الحكم الالهي من الادلة الشرعية (سوا وافق مذهباومسلكا معينا او خالفه) دعي ذلك بالاجتهاد المطلق .
ولقد اغلق باب الاجتهاد المطلق ـ وللاسف ـ في وجه علما اهل السنة395 , وانحصر اجتهادهم في اطار المذاهب الاربعة خاصة , وهولاشك نوع من تقييد عملية الاجتهاد, وتضييق لدائرته .
ان فقها الشيعة اجتهدوا على اساس الكتاب والسنة والعقل والاجماع , وسعوا الى ان لايتقيدوا لادراك الحقائق والمعارف الدينية بشي , الا اتباع الادلة الشرعية .
ومن هنا انتج اجتهادهم الحي المتحرك فقها جامعا, منسجما مع الاحتياجات البشرية المختلفة , المتنوعة , المتطورة باستمرار, وخلف كنزا علميا عظيما.
ان ما ساعد على اثرا هذا الفقه العميق المتحرك هو المنع من تقليدالميت , والحكم بتقليد المجتهد الحي , الذي يعرف بالمجتمع وبالزمان واحتياجاتهما, ومستجداتهما.
ان الفقه الشيعي يوافق في اكثر المسائل نظريات الفقها من المذاهب الاخرى , وان مطالعة كتاب ((الخلاف)) للشيخ الطوسي شاهدصدق على ذلك , فقلما توجد مسالة فرعية في الفقه الشيعي لا توافق راي احد مؤسسي المذاهب الاربعة , او من سبقهم من الفقها, ومع ذلك فثمت مسائل للفقه الشيعي فيها راي خاص , نشير الى بعضها ضمن عدة اصول تالية , وسنذكرها مع ادلتها, لانه قد يتصور ان هذه الفروع الخاصة لا يدل عليها شي او هي تخالف الكتاب والسنة , والحال ان الامر على عكس ذلك .

بعض الاحكام الفقهية المختلف فيها

ان الدين الاسلامي تركيبة مزيجة من العقيدة والشريعة (اي من الرؤية والنظرة الى الوجود, ومما يجب وما لا يجب) واللذين يعبر عنهماباصول الدين وفروعه ايضا.

ولقد وقفنا في الابحاث السابقة على اصول عقائد الشيعة بصورة برهانية , كما تم بيان موقف الشيعة ونظريتهم حول اعتبار احاديث النبي (ص) واهل البيت (ع) ايضا.
والان يجب ان نشير باختصار الى الاسلوب والمنهج الفقهي للشيعة والى بعض المسائل الفقهية التي للشيعة فيها آرا خاصة ,وموقف خاص .

الاصل الاربعون بعد المائة : حجية قول الصحابي وروايته

لقد رويت ونقلت السنة النبوية الى الاجيال اللاحقة عن طريق فريق من صحابته , وما روي من قوله , وفعله , وتقريره (ص) حجة الهية يجب اتباعها,والعمل بموجبها.
فاذا روى صحابي السنة النبوية وحازت تلك الرواية على كل شرائط الحجية تلقاها الجميع بالقبول ولزم العمل وفقها.
وهكذا اذا فسر احد الصحابة لغة من لغات القرآن ولفظا من الفاظه ,او روى شيئا من الحوادث والوقائع المرتبطة بعصر الرسالة , او غيرها,قبلت روايته اذا توفرت فيها الشروط المذكورة .
ولكن اذا ذكر الصحابي رايه او استنباطه من آية قرآنية , او حديث نبوي , او نقل عنه قول , ولم يتبين ان ذلك المنقول هل هو من سنة رسول الله (ص), او انه راي ذلك الصحابي واجتهاده الخاص , لم يكن في هذه الحالة حجة , لان راي المجتهد ليس حجة على غيره من المجتهدين .
ولهذا يجب التفريق في مجال العمل بقول الصحابي بين رايه واجتهاده , وبين ما ينقله للسنة النبوية والشيعة الامامية انما تعمل بقول الصحابي اذا روى السنة النبوية .

الاصل الواحد والاربعون بعد المائة : التقليد

يجب على كل مسلم ان يحصل على اليقين في المسائل التي يجب ان يعتقدها, ولا يجوز له اتباع الاخرين في هذه المسائل من دون ان يحصل له اليقين .
وحيث ان امهات الاصول وكليات المسائل الاعتقادية محدودة ومعدودة ولكل منها ادلة عقلية واضحة , لهذا فان تحصيل اليقين للاشخاص في اصول الدين واساسيات العقيدة , قضية سهلة , في حين ان نطاق الفروع والاحكام الفقهية لما كان واسعا جدا, والعلم بها يحتاج الى مقدمات كثيرة , لا يقدر اغلب الافراد على تحصيلها, لهذا فان على اولئك الاشخاص ـ بحكم الفطرة , وتبعا لسيرة العقلا ـ ان يرجعوا في احكام الشريعة الى العلما والمجتهدين , ليقوموا في ضوء ذلك بواجباتهم الدينية , ووظائفهم الشرعية .
ان الانسان ـ في الاساس ـ فاعل علمي اي انه يقوم باعماله على اساس العلم والمعرفة , فاذا تيسر له ان حصل بنفسه على تلك المعلومات اخذ بها وعمل على ضوئها, والا استعان بغيره .
وهنا لا بد من ان نعلم بان التقليد للمجتهد الجامع للشرائطوالرجوع اليه لمعرفة الوظيفة الشرعية , هو نوع من الرجوع الى المتخصصين , ولا علاقة له بالتقليد الاعمى الناشئ من العصبية القومية ,او العرقية او ما شاكل ذلك .

الاصل الثاني والاربعون بعد المائة : الوضوء

اتفق المسلمون على ان الاسلام عقيدة وشريعة .
اما الاولى فقد تعرفت عليها في الفصول الماضية .
اما الشريعة فاصولها اربعة :
1 العبادات .
2 المعاملات .
3 الايقاعات .
4 الاحكام .
واصول العبادات عبارة عن الامور التالية :
1 الصلاة ونوافلها.
2 الصوم الواجب والمستحب .
3 الزكاة .

4 الخمس .
5 الحج .
6 الجهاد.
7 الامر بالمعروف .
8 النهي عن المنكر.
هذه امهات العبادات والامور القربية عند الامامية طبق الشريعة الاسلامية اكتفينا بالاشارة اليها , واما المعاملات والايقاعات والاحكام فبيانها على عاتق الكتب الفقهية .
نعم هناك احكام ربما لا تتفق الشيعة فيها مع الاخرين ونشير الى مهماتها وهي في الوقت نفسه امور فقهية .

مسح الارجل مكان غسلها

كلنا نعلم بان الوضوء هو احد مقدمات الصلاة فاننا نقرا في سورة المائدة قوله تعالى :
(يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا بروسكم وارجلكم الى الكعبين)396.
وللفظة ((الايدي)) وهي جمع ((يد)) التي جات في جملة (فاغسلواوجوهكم وايديكم الى المرافق) استعمالات مختلفة في اللغة العربية فربماتطلق ويراد منها الاصابع الى الرسغ , وربما يراد منها الاصابع الى المرافق , وربما تطلق ويراد منها من رؤوس الاصابع الى الكتف هذا اولا.
وثانيا: حيث ان المقدار الواجب غسله في الوضوء هو ما بين رؤوس الاصابع والمرافق , لذلك استعمل القرآن الكريم لفظة (الى المرافق) ليعرف المقدار الواجب غسله من هذين العضوين في الوضوء.
وعلى هذا الاساس فان كلمة ((الى)) في قوله تعالى : (الى المرافق) تبين مقدار ((المغسول)) من اليدين لا كيفية غسل اليدين (اي ان الغسل من الاعلى الى الاسفل او من الاسفل الى الاعلى) بل كيفية الغسل متروكة للعرف ولعادة الناس الذين يغسلون الاعضا والجوارح عادة من الاعلى الى الاسفل , وهو امر موافق للطبيعة كذلك.
وللمثال : ان الطبيب حينما يامر بغسل رجلي المريض الى الركبة نجدهم يغسلونهما من الاعلى الى الاسفل .
ولهذا فان الشيعة الامامية تعتقد بان غسل الوجه واليدين في الوضوء يجب ان يكون من الاعلى الى الاسفل , ولا يصححون عكس ذلك .
وثمت مطلب آخر في الوضوء وهي مسالة مسح الارجل فان الفقه الشيعي يقول : يجب المسح لا الغسل , ويدل على ذلك بايجاز, ظاهرالاية السادسة من سورة المائدة التي تبين ان هناك وظيفتين في الوضوءاحداهما ((غسل)) والاخرى ((مسح)) والغسل للوجه واليدين , والمسح للراس وللرجلين .
1 (فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق).
2 (وامسحوا بروسكم وارجلكم الى الكعبين).
ولو اننا عرضنا هاتين الجملتين على اي عربي اصيل غير عارف بمذهب فقهي خاص , ولا مطلع على موقف اجتهادي معين , وطلبنا منه ان يبين المراد منها, لقال من دون تردد: ان وظيفتنا وفق هذه الاية عملان ,احدهما: الغسل وهو للوجه واليدين , والاخر: المسح وهو للراس والرجلين .
ومن حيث القواعد العربية فان لفظة (ارجلكم) يجب ان تعطف على كلمة (روسكم) فتكون النتيجة هي مسح الارجل ولا يجوز عطفها على الجملة الاسبق وهي (واغسلوا وايديكم) التي تكون نتيجته غسل الارجل لان العطف على ايديكم يستلزم الفصل بين المعطوف وهو (ارجلكم)والمعطوف عليه وهو (وايديكم) بجملة معترضة وهي (فامسحوابروسكم) وهو غير صحيح من حيث القواعد النحوية العربية , ويوجب الالتباس في المقصود.
كما انه لا فرق في هذه المسالة بين قراة (ارجلكم) بالجر اوالنصب , فعلى كلتا القراتين يجب عطف (ارجلكم) على (روسكم) مع فارق واحد وهو ان في الاول يكون العطف على اللفظ والظاهر, وفي الثاني يكون العطف على المحل .
وبعبارة اخرى , اذا عطفت ارجلكم على لفظ روسكم قرئت بالجر, واذا عطفت على المحل (وهو المفعولية) قرئت بالنصب .
والروايات المتواترة الواردة عن اهل البيت (ع) تحكي عن ان ((الوضوء)) يتالف من شيئين هما:
((غسلتان)) و ((مسحتان)) وقد روى الامام الباقر(ع) في حديث بين فيه وضوء رسول الله (ص) ان النبي (ص) كان يمسح على رجليه .
هذا والجدير بالذكر انه لم يكن ائمة اهل البيت (ع) هم وحدهم الذين يمسحون على الارجل عند الوضوء, بل كان

فريق من الصحابة والتابعين يرون هذا الراي ويذهبون هذا المذهب ايضا.
وليست ائمة اهل البيت (ع) منفردين في هذا القول بل وافقهم فيه لفيف من الصحابة والتابعين .
اما الصحابة , فمنهم :
1 الامام علي بن ابي طالب (ع).
2 عثمان بن عفان .
3 عبد الله بن عباس الصحابي .
4 النزال بن سبرة الهلالي .
5 رفاعة بن رافع بن مالك البدري .
6 انس بن مالك بن نضر خادم رسول الله (ص).
7 تميم بن زيد المازني الذي له صحبة .
8 ابو مالك الاشعري : الصحابي .
واما من التابعين , فنذكر منهم :
9 الامام الباقر محمد بن علي بن الحسين (ع).
10 بسر بن سعيد المدني .
11 حمران بن ابان مولى عثمان بن عفان .
12 عبد خير بن يزيد الكوفي التابعي .
13 عباد بن تميم الخزرجي .
14 اوس بن ابي اوس الثقفي .
15 عامر شراحيل بن عبد الشعبي .
16 عكرمة مولى ابن عباس .
17 عروة بن الزبير القرشي .
18 قتادة بن عزير البصري .
19 موسى بن انس بن مالك قاضي البصرة .
20 حصين بن جندب الكوفي التابعي .
21 جبير بن نفير بن مالك بن عامر الحضرمي .
22 اسماعيل بن ابي خالد البجلي الاحمصي .
23 عطا القداحي .
الى غير ذلك ممن ذكرنا اسماهم في رسالة مخصصة بحكم الارجل في الوضوء 397.
ولكن سنة مسح الارجل هذه تبدلت الى الغسل فيما بعد لاسباب خاصة جا ذكرها في الكتب الفقهية .
وقد قال ابن عباس الوضوء غسلتان ومسحتان398 .

الاصل الثالث والاربعون بعد المائة : ما يصح السجود عليه

تعتقد الشيعة بانه يجب السجود في حال الصلاة على الارض وما ينبت منها بشرط ان لا يكون ماكولا ولا ملبوسا, وانه لا يصح السجود على غيرذلك في حال الاختيار.
فقد روي في حديث عن رسول الله (ص), ونقله اهل السنة انه قال :((وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا))399.
وكلمة ((الطهور)) التي هي ناظرة الى التيمم تفيد ان المقصود من الارض هو الارض الطبيعية التي تتمثل في التراب والصخر والحصى وماشابهها.
ويقول الامام الصادق (ع) ايضا: ((السجود لا يجوز الا على الارض او على ما انبتت الارض الا ما اكل او لبس))400.
ولقد كانت سيرة المسلمين في عصر الرسول الاكرم (ص) هي السجودعلى ارض المسجد التي كانت مفروشة بالحصى , وعندما كان الجو حاراجدا بحيث كان السجود على الحصى امرا عسيرا, كان يسمح لهم بان ياخذوا الحصى في اكفهم لتبريدها, حتى يمكنهم السجود عليها.
يقول ((جابر بن عبد الله)) الانصاري : كنت اصلي مع رسول الله (ص)الظهر فخذ قبضة من حصى في كفي لتبرد حتى اسجد عليه من شدة الحر 401.
وتجنب احد الصحابة عن تتريب جبهته عند السجود, فقال له النبي (ص): ((ترب وجهك))402.

كما انه اذا كان احد من الصحابة يسجد على كور العمامة ازاح النبي (ص) بيده عمامته عن جبهته 403.
ان هذه الاحاديث كلها تشهد بان وظيفة المسلمين في عصرالنبي (ص) كانت في البداية هي السجود على التراب والحصى , ولم يسجدوا على الفراش او اللباس او على طرف العمامة , ولكن النبي (ص)ابلغ عن طريق الوحي الالهي فيما بعد انه يمكنه السجود على الحصيروالخمرة ايضا وثمت روايات عديدة وكثيرة تحكي عن سجود النبي على الحصير والخمرة 404.
ان الشيعة الامامية كانوا لا يزالون مقيدين بهذا الاصل , فهم كانوا ولايزالون يسجدون فقط على الارض , او ما ينبت من الارض من غيرالماكول والملبوس كالحصير المصنوع من سعف النخل , او القصب ,ويرجع اصرارهم على السجود على التراب او الحصى والصخر اوالحصير الى هذه الادلة الساطعة .
ثم ان من الافضل ان تكون المساجد في البلاد الاسلامية على نحويمكن لاتباع جميع المذاهب المختلفة العمل بوظائفهم دون حرج .
وفي الخاتمة , لابد ان نذكر بهذه النقطة وهي ان التراب والحجرهو في الحقيقة ((مسجود عليه)) وليس ((مسجودا له)) فالشيعة يسجدون على التراب والحجر لا انهم يسجدون لهما.
وربما يتصور احد خطا ان الشيعة يسجدون للتراب والحجرفي حين انهم انما يسجدون لله تعالى تماما مثل جميع المسلمين ويضعون جباههم على التراب تذللا لله تعالى ويقولون سبحان ربي الاعلى وبحمده .

الاصل الرابع والاربعون بعد المائة : الجمع بين الصلاتين

يجب على كل مسلم ان يصلي لله كل يوم وليلة خمس مرات في الاوقات الشرعية التي بينها الله تعالى ورسوله الكريم في القرآن والسنة .
فوقت صلاة الظهر والعصر يبدا من الزوال الى الغروب , ووقت صلاة المغرب والعشا يبدا من المغرب الى منتصف الليل , ووقت صلاة الصبح يبدا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس .
ان الشيعة تعتقد بان الظهر الى المغرب هو الوقت المشترك بين الصلاتين , الا بمقدار اربع ركعات من اول الوقت , فهو وقت مختص بصلاة الظهر, وبمقدار اربعة ركعات من آخر الوقت فهو وقت مختص بصلاة العصر.
وعلى هذا الاساس يجوز للانسان الاتيان بكلتا الصلاتين : الظهروالعصر في الوقت المشترك (اما في وقت الظهر ووقت العصر فلا يجوزالا الاتيان بالصلاة المختصة به فيه) وان كان الافضل ان يفصل بين الظهرين والعشائين , وياتي بكل واحدة منهما في وقت فضيلتها التي ستذكر فيما بعد405 ولكنه في نفس الوقت يجوز الجمع بينهما, وترك وقت الفضيلة .
يقول الامام الباقر (ع): اذا زالت الشمس دخل الوقتان الظهروالعصر, واذا غابت الشمس دخل الوقتان المغرب والعشاالاخرة406 .
وقال الامام الصادق (ع): ((اذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهروالعصر جميعا, الا ان هذه قبل هذه , ثم انه في وقت منهما جميعا حتى تغيب الشمس))407.
ويخبر الامام الباقر(ع) عن النبي (ص) انه كان يجمع بين الظهروالعصر من دون عذر او علة 408.
ان جواز الجمع بين الصلاتين (الظهرين , والعشائين) موضع اتفاق بين جميع فقها الاسلام , فجميع الفقها يجوزون الجمع بين الصلاتين :الظهر والعصر في عرفة والمغرب والعشا في المزدلفة .
كما ان فريقا كبيرا من فقها اهل السنة يجوزون الجمع بين الصلاتين في السفر.
وما يختلف فيه الشيعة عن الاخرين هو انهم يتوسعون في هذه المسالة استنادا الى الادلة السابقة (مع القبول بافضلية الاتيان بالصلوات الخمس في اوقات فضيلتها والقول به وترجيحه) فيجوزون الجمع بين الصلاتين مطلقا.
وحكمة هذا الامر هي ـ كما جا في الاحاديث ـ التوسعة على المسلمين والتخفيف عنهم , وقد جمع النبي (ص) نفسه في مواضع كثيرة بين الصلاتين من دون عذر (كالسفر, والمرض وغيرهما) ليخفف بذلك عن المسلمين , ويوسع عليهم , حتى يستطيع ان يجمع بينهما كل من شان يجمع , ويفرق بينهما كل من شا ان يفرق .
فقد روى مسلم في صحيحه الحديث الاتي : ((صلى رسول الله الظهر والعصر جميعا, والمغرب والعشا جميعا في غير خوف ولاسفر))409.
وقد اشير في بعض الروايات الى حكمة هذا العمل .
فقد جا في احدى تلك الروايات ما هذا نصه : ((جمع النبي (ص) بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشا.
فقيل له في ذلك .
فقال : صنعت هذا لئلا تحرج امتي))410.

ان الروايات التي تحدثت عن جمع النبي (ص) بين الصلاتين وردت في الصحاح والمسانيد وهي تنص على جواز الجمع بين الصلاتين تربوعلى واحدة وعشرين رواية , بعضها يرتبط بالسفر, والبعض الاخر يكون في غير السفر والمرض والمطر.
وفي بعضها اشير الى حكمة الجمع بين الصلاتين وهو التوسعة والتخفيف عن المسلمين , وقد استفاد فقها الشيعة من هذا التسهيل تجويز الجمع بين الصلاتين (الظهرين والعشائين) مطلقا, واما كيفية الجمع فهي على النحو الذي كان المسلمون جميعا يجمعون في عرفة والمزدلفة .
وقد يتصور ان المقصود من الجمع هو ان يؤتى بالصلاة الاولى من الصلاتين في آخر وقت الفضيلة (مثلا عندما يبلغ ظل الشاخص الى مقداره) ويؤتى بالصلاة الثانية في اول وقت العصر, وبهذا العمل يكون المصلي ـ في الحقيقة ـ قد اتى بكلتا الصلاتين في وقتهما وان كان احداهما في نهاية وقتها والاخرى في بدايته .
ولكن هذا التصور مخالف لظاهر الروايات لان كيفية الجمع بين الصلاتين كما اسلفنا ـ هي على غرار ما يفعله المسلمون جميعا في عرفة والمزدلفة , يعني انهم في عرفة ياتون بكلتا الصلاتين (الظهر والعصر) في وقت الظهر, وفي المزدلفة ياتون بكلتا الصلاتين (المغرب والعشا) في وقت العشا.
وعلى هذا الاساس يجب ان يكون الجمع بين الصلاتين الذي جافي لسان رسول الله (ص) ناظرا الى هذا النمط من الجمع , وليس الجمع الذي يؤتى فيه باحدى الصلاتين في آخر وقته , وبالاخرى في اول وقتها.
هذا مضافا الى ان حكمة الجمع بين الصلاتين وصفت في بعض الروايات بانها التوسعة والتخفيف وفي بعض الروايات وصفت بانها لرفع الحرج , وهذا انما يتحقق اذا كان المصلي في الجمع بين الصلاتين على خيار كامل يعني ان يجوز له ان ياتي بالظهر والعصر, والمغرب والعشامتى شا.
هذا مضافا الى انه على اساس هذا التفسير للمقصود يجب ان يقال ان النبي لم يات بشي جديد, لان مثل هذا الجمع كان جائزا حتى قبل ان يفعله النبي , فان اي مسلم كان يجوز له ان يؤخر صلاة الظهر الى آخرالوقت , وياتي بالعصر كذلك في اول وقته .
ولقد كتب فقها الشيعة الامامية حول الجمع بين الصلاتين وادلته رسائل مفصلة يمكن لمن يحب التوسع مراجعتها.

الاصل الخامس والاربعون بعد المائة : الزواج المؤقت (المتعة)

ان الفقه الشيعي تبعا للكتاب والسنة يصحح نوعين من الزواج : ((الزواج الدائم)) وهو لا يحتاج الى توضيح .
((والزواج المؤقت)) او المتعة وكيفيتها كالتالي :
يجوز للرجل والمراة بان يقيما علاقة زوجية بينهما لمدة معينة شريطة ان لا يكون هناك مانع شرعي (من نسب او رضاع) في طريق زواجهما, وذلك بعد ان يعينا مبلغا من المال , ثم انهما بعد انقضا المدة ينفصلان من دون اجرا صيغة الطلاق .
ولو نشا من هذا الزواج (المؤقت) ولد كان ولدهما شرعا وورثهما.
وعلى المراة ـ بعد انقضا المدة ـ ان تعتد عدة شرعية , ولو كانت حاملا وجب الاعتداد الى ان يولد الطفل , ولا تتزوج في حال كونها في حبالة الرجل , وكذا في حال عدتها, برجل آخر.
ان الزواج المؤقت مثل الزواج الدائم ماهية وحقيقة , واكثر الاحكام الثابتة للزواج الدائم , ثابتة كذلك للنكاح المؤقت , وغاية ما هناك من تفاوت مهم بين هذين الزواجين هو امران :
1 تعيين المدة في النكاح المؤقت .
2 عدم وجوب النفقة في هذا النكاح .
ولو اننا تجاوزنا هذين المطلبين البارزين تكون الفوارق الاخرى فوارق جزئية لا توجب افتراقا كبيرا بين النكاحين .
هذا وحيث ان الاسلام دين خاتم وشريعة جامعة فجوز هذه الاطروحة لحل المشكلة الجنسية .
ولو اننا اخذنا وضع الشاب الذي يدرس او يعمل خارج البلاد,ويفتقد القدرة على الزواج الدائم فماذا يفعل في هذه الحالة ؟ وما هي وظيفته في هذه الصورة ؟ فان الشاب لا يجد امامه الا ثلاثة خيارات :
الف : كبح الرغبة الجنسية وان يحرم النفس من التلذذ الجنسي .
ب : ايجاد العلاقة الجنسية غير الشرعية مع النسا الفاسدات اوالمريضات .
ج : الاستفادة من الزواج المؤقت مع امراة طاهرة ضمن شروطخاصة , من دون تحمل مشكلة النفقة والتي توجدها رابطة الزوجية الدائمة .
ان من الواضح انه ليس هناك طريق رابع يستفيد منه الشاب المذكور, على انه لا يعني هذا ان الزواج المؤقت

خاص بمثل هذه الشروط ولكن في نفس الوقت تستطيع ملاحظة مثل هذه الموارد ان تكشف عن حكمة تشريع هذا النمط من الزواج .
ولابد من الالتفات ـ ضمنا ـ الى ان فقها الاسلام قد ايدوا نوعا من الزواج الدائم الذي هو في حقيقته الزواج المؤقت وهو ان يتزوج رجل وامراة زواجا دائميا ولكنهما او احدهما يعلمان بانهما سينفصلان , بعدمدة بالطلاق .
ان تـجـويـز هذا النوع من الزواج يشبه تماما تجويز الزواج المؤقت فهمامتشابهان جوهرا وان اختلفا اسما.
ان الكتاب والسنة النبوية حاكيان عن مشروعية الزواج المؤقت (المتعة) فالقرآن الكريم يقول :
(فما استمتعتم به منهن فتوهن اجورهن فريضة)411.
ان الاغـلـبـيـة الساحقة من المفسرين يعتبرون هذه الاية مرتبطة بالزواج المؤقت واساسا لا مجال لـلـترديد في تشريع مثل هذا النكاح في الاسلام , انما الخلاف لو كان هو في نسخ هذا الزواج او عدم نسخه , اي بقاه على مشروعيته .
وروايـات الـفـريـقـين حاكية عن ان هذا الحكم لم ينسخ انما منع عن العمل بهذا الحكم في عصر الـخـلـيـفة الثاني , والجدير بالذكر ان هناك كلاما للخليفة في هذا المجال يكشف ايضا عن ان هذا النمط من النكاح كان جائزا بل رائجا في عصر النبي الاكرم (ص) ويفيد ان هذا المنع لم يكن ناشئا الا مـن راي شـخـصـي لـيس الا , لانه قال : ((ايها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله انا انهى عنهن واحرمهن واعاقب عليهن , وهي : متعة النسا, ومتعة الحج , وحي على خير العمل))412.
والعجيب ان نهي الخليفة عن الشق الاول والشق الاخير من هذه الشقوق بقى الى الان ولكن متعة الحج بقيت معمولا بها عند جميع المسلمين خلافا لراي الخليفة الثاني (والمقصود من متعة الحج هو ان الحاج بعد ان انتهى من عمرة الحج يخرج من حالة الاحرام , وتحل له محرماته وهذه نهى عنها عمر وامر بعدم الخروج من الاحرام وبقا محرمات الاحرام حتى حلول موعد الحج).
والـدليل الواضح على ان النبي (ص) لم يمنع عن المتعة ما رواه البخاري عن عمران بن حصين انه قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات , قال رجل برايه ما شا (والمقصود هو تحريم الخليفة الثاني لنكاح المتعة) 413.

الاصل السادس والاربعون بعد المائة : وضع اليد اليمنى على اليسرى في القراة

يـعتبر التكفير او القبض وهو وضع اليد اليمنى على اليسرى في حال الصلاة بدعة , وحراما في فقه الامامية .
يـقـول امـيـر المؤمنين (ع): ((لا يجمع المسلم يديه في صلاته وهوقائم بين يدي الله يتشبه باهل الكفر من المجوس))414.
وقـد حـكـى الصحابي الكبير ابو حميد الساعدي لجماعة من صحابة النبي (ص) كان من بينهم ابو هريـرة الـدوسـي , وسهل الساعدي , وابو اسيدالساعدي , وابو قتادة والحارث بن ربعي , ومحمد بن مـسلمة ايضا, كيفية صلاة النبي الاكرم (ص) وذكر كل ما فيها من مستحبات صغيرة وكبيرة , ولكن لم يذكر فيها هذا العمل (اي التكفير قط)415.
ومـن الـبـديـهي ان هذا العمل لو كان من سيرة النبي (ص) لذكره عند ذكرصلاته (ص) او لذكره الحاضرون في ذلك المجلس .
وقـد ورد فـي كـتبنا الحديثية ما يشابه حديث الساعدي على لسان الامام جعفر الصادق (ع) برواية حماد بن عيسى ايضا 416.
ويـسـتفاد من حديث سهل بن سعد ايضا ان وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة حدث بعد رسول الله (ص) لانـه يقول : ((كان الناس يؤمرون))417 لانه اذا كان النبي (ص) هو الامر بهذا العمل لقال :
كان النبي (ص) يامر الناس .
اي كان ينسبه الى شخص النبي (ص).

الاصل السابع والاربعون بعد المائة : لاتجوز صلاة التطوع جماعة

تعتبر صلاة ((التراويح)) من المستحبات المؤكدة اتباعا لرسول الله (ص).
فـقـد جـا فـي الفقه الشيعي انه يستحب ان يصلي الانسان طول شهررمضان الف ركعة زائدا على الـنـوافـل الـمرتبة في سائر الشهور, وتصلى هذه الصلاة فرادى , والجماعة فيها بدعة ويقول الامام الباقر(ع): ((ولايجوز ان يصلي

التطوع جماعة))418.
وقد ذكر الامام الرضا(ع) في رسالته التي كتب فيها عقائد المسلم ,واعماله بان هذه النوافل لا يجوز الاتيان بها جماعة , وان الاتيان بهاكذلك بدعة حيث قال : ((ولا يصلى التطوع في جماعة لان ذلك بدعة وكل بدعة ضلا لة وكل ضلالة في النار))419.
من دراسة تاريخ صلاة ((التراويح)) جماعة كما هو متداول بين اهل السنة , يتضح ان الاجتهاد الشخصي كان ورا تشريع هذا الامر الى درجة انهم سموه بدعة حسنة .
ويمكن لمن يحب الوقوف على هذا ان يراجع المصادر التالية420 .

الاصل الثامن والاربعون بعد المائة : الخمس

اتفق فقها الاسلام على ان غنائم الحرب تقسم بين المجاهدين ما عداخمس الغنائم , فانه يجب صرفه في موارد خاصة جا ذكرها في قوله تعالى :
(واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)421.
والفرق الوحيد بين فقها الشيعة وبين غيرهم من الفقها هو ان الفريق الثاني يخصون ((الخمس)) بغنائم الحرب , ولا يقولون بفرض ((الخمس)) في غير ذلك , مما يكتسبه الانسان ويستحصله ويستدلون لهذاالموقف بهذه الاية المباركة التي ذكرت فيها غنيمة الحرب والقتال .
ولكن هذا الموضوع غير صحيح لسببين :
اولا: ان الغنيمة تطلق في لغة العرب على كل مايفوز به الانسان , ولاتختص بما يحصل عليه من العدو في الحرب , وبالقتال .
يقول ابن منظور: ((الغنم الفوز بالشي من غير مشقة))422.
كما ان القرآن الكريم يستعمل هذه اللفظة في نعم الجنة , اذ يقول :(فعند الله مغانم كثيرة)423.
واساسا: ((الغنيمة)) في مقابل ((الغرامة)) فكلما حكم على الشخص بان يدفع مبلغا من دون ان يستفيد من شي سمي ذلك المبلغ ((غرامة)), واذافاز بشي وحصل عليه سمي ذلك ((غنيمة)).
وعلى هذا الاساس لا تختص لفظة الغنيمة بغنائم الحرب ,ونزول الاية في غنيمة معركة ((بدر)) لايدل على اختصاصها بغنيمة الحرب ,وقانون تخميس الارباح قانون شامل وكامل , ومورد الاية غير مخصص لهذا لحكم العام .
وثانيا: لقد ورد في بعض الروايات ان النبي الاكرم (ص) فرض ((الخمس)) على كل ربح , فعندما حضر عنده وفد من قبيلة عبد القيس وقالوا: ان بيننا وبينك المشركين , وانا لا نصل اليك الا في الاشهر الحرم فمرنا بجمل الامر, ان عملنا به دخلنا الجنة وندعوا اليه من ورانا؟.
فقال (ص): ((آمركم باربع : وانهاكم باربع : شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتا الزكاة وتعطوا الخمس من المغنم))424.
ان المراد من الغنيمة في هذه الرواية , غير غنيمة القتال لان وفد عبدالقيس قالوا: ان بيننا وبينك :
المشركين , يعني اننا نخاف ان نصل اليك في المدينة لوجود المشركين بيننا وبينك , وهذا يفيد انهم كانوا محاصرين من قبل الكفار والمشركين ولم يكن في مقدورهم مقاتلة المشركين حتى يحصلوا على غنيمة منهم , ثم يقوموا بتخميسها.
هذا مضافا الى ان الروايات الصادرة عن اهل البيت (ع) تصرح بوجوب دفع ((الخمس)) من كل ربح يحصل عليه الانسان , وهذا مما لايدع مجالا للشك والغموض 425.
هذه بعض الفروع الفقهية التي اتخذ فيها الشيعة مواقف خاصة .
وللمثال ثمت خلاف بينهم وبين غيرهم في ابواب الخمس ,والوصية والارث , ولكن لابد من القول بانه مضافا الى اشتراك الشيعة مع غيرهم في كليات الاحكام , فان تدريس الفقه بصورة مقارنة وبخاصة مع الاخذ بنظر الاعتبار كل ما ورد عن اهل البيت من آرا واحكام مدعومة بالدليل , يمكنه ان يقلل من شقة الخلاف بين اهل السنة والشيعة في هذاالمجال 426.

الاصل التاسع والاربعون بعد المائة : دور الشيعة في بنا الحضارة الاسلامية

ان الحضارة الاسلامية ثمرة الجهود المتواصلة للامة الاسلامية منذانبثاق الدعوة المحمدية المباركة , فهم بشعوبهم المتنوعة وفي ظل الايمان والعقيدة ذابوا في بوتقة الاسلام , ووظفوا كل قواهم وامكانياتهم وركزوا كل مساعيهم وجهودهم لخدمة الاسلام , وتحقيق اهدافه واغراضه السامية , وبذلك ارسوا دعائم حضارة لاتزال البشرية مدينة لهاومستفيدة منها.

ولقد كان للشيعة دور مؤثر في بنا صرح الحضارة الاسلامية الكبرى , ويكفي تصفح الكتب المؤلفة في العلوم والحضارة الاسلامية لنرى كيف تلمع فيها اسما علما الشيعة ومفكريهم .

ففي مجال الاداب العربية والعلوم الانسانية يكفي ان نعرف ان الامام عليا امير المؤمنين (ع) هو مؤسسها الاول , وان تلميذه ابا الاسودالدؤلي هو الذي عمل على توسعتها وتدوينها وقد واصل علما الشيعة بعد ذلك الجهود الحثيثة في سبيلها, وذلك نظرا المازني (المتوفى 248ه) وابن السكيت (المتوفى 244 ه) وابي اسحاق النحوي (من اصحاب الامام الكاظم) وخليل ابن احمد الفراهيدي مؤلف كتاب ((العين))(المتوفى 170 ه) وابن دريد مؤلف كتاب ((الجمهرة)) (المتوفى 321 هـ)والصاحب بن عباد مؤلف كتاب ((المحيط)) (المتوفى 386 ه) وغيرهم من آلاف الادبا الشيعة الذين كان كل واحد منهم قطبا من اقطاب اللغة ,والنحو, والصرف , او الشعر, وعلم العروض في عصره .

وفي علم التفسير فالمرجع الاول لتفسير القرآن بعد رسول الله (ص)هو الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب وائمة اهل البيت (ع) ومن بعدهم عبد الله بن عباس (المتوفى 68 ه) وغيرهم من تلامذة اهل البيت ,وقد الف علما الشيعة طوال اربعة عشر قرنا مئات التفاسير المتنوعة حجما وكيفا ومنهجا, وقد كتبنا مقالا مفصلا حول تاليف الشيعة في مجال التفسير عبر التاريخ , نشر في مقدمة الطبعة الجديدة لتفسير((التبيان)) للشيخ الطوسي .

وفي علم الحديث تقدمت الشيعة على غيرهم من الفرق الاسلامية في تدوين السنة وكتابتها ودراستها على حين كان ذلك ممنوعا في عصرالخلفا.

ويمكن الاشارة في هذا الصعيد الى ((عبيد الله بن ابي رافع)) و ((ربيعة بن سميع)) و ((علي بن ابي رافع)) من اصحاب الامام علي (ع), ثم الى اصحاب وتلامذة الامام السجاد والباقر والصادق (ع).

ان تنامي علم الحديث في عصر الامام جعفر الصادق (ع) بلغ الى درجة ان الحسن بن علي الوشا قال : رايت في مسجد الكوفة تسعمائة محدث كلهم يقول : حدثني جعفر بن محمد(ع) 427.

وفي مجال الفقه تخرج من مدرسة اهل البيت (ع) علماومجتهدون كبار نظرا: ابان بن تغلب (المتوفى 141 ه) وزرارة بن اعين (المتوفى 150ه) ومحمد بن مسلم (المتوفى 210 ه) ومئات المجتهدين الكبار والعلما المحققين كالشيخ المفيد والسيد المرتضى , والشيخ الطوسي , وابن ادريس الحلي والمحقق الحلي , والعلا مة الحلي الذين خلفوا آثارا علمية وفكرية في غاية الاهمية .

على ان جهود الشيعة لم تتركز على هذه العلوم حسب ولم تقتصرخدماتهم على هذه المجالات بل خدموا الاسلام والعالم في غيرها من العلوم كالتاريخ والمغازي والرجال , والدراية , والشعر, والادب وغيرذلك مما لا يسع هذا المختصر لسرد اسمائها.

هذا كله في مجال العلوم النقلية , ولقد تقدموا على غيرهم من الطوائف والفرق في العلوم العقلية كعلم الكلام والفلسفة لان الشيعة يمنحون العقل دورا اكبر واهمية اكثر مما يعطيه غيرهم من الفرق الاسلامية .

فهم بالاستلهام من احاديث الامام امير المؤمنين وابنائه المعصومين (ع) سعوا اكثر من غيرهم في بيان وشرح العقائد الاسلامية ,وبهذا قدمت الشيعة للامة الاسلامية جيلا عظيما من المتكلمين القديرين ومن الفلاسفة الكبار, ويعد الكلام الشيعي من اغنى واثرى المدارس الكلامية الاسلامية , وهو يحتوي ـ مضافا الى ادلة من الكتاب والسنة ـعلى براهين قوية من العقل .

ان احد اسس الحضارة الاسلامية هو معرفة عالم الطبيعة وقوانينهاوقد تخرج من مدرسة الامام جعفر الصادق (ع) اشخاص معروفون مثل ((جابر ابن حيان)) برعوا في مجال العلوم الطبيعية الى درجة ان جابرا دعي في هذا العصر بابي الكيميا الحديثة .

وفي علم الجغرافيا كان احمد بن ابي يعقوب المعروف باليعقوبي (المتوفى حوالي 290 ه) اول عالم جغرافي ساح في البلاد الاسلامية العريضة , والف كتابا باسم ((البلدان)) وهو من علما الشيعة .

ان هذه الجهود الكبرى التي بذلت في سبيل العلم والثقافة وابتدات من القرن الهجري الاول وحتى هذا اليوم , واسست من اجلهاالحوزات والمدارس , والجامعات والمعاهد العديدة تمت على ايدي علما الشيعة , ورجالهم الذين لم يفتاوا لحظة واحدة عن تقديم الخدمة للعالم البشري , وللحضارة الاسلامية والانسانية .

وان ماذكر هنا في هذه العجالة ليس الا اشارة عابرة الى دور الشيعة في مجال العلم والحضارة الاسلامية وللتوسع ومزيد الاطلاع لابد من مراجعة المصادر المرتبطة بهذا المجال 428.

الاصل الخمسون بعد المائة : الوحدة بين المسلمين

ان الشيعة لاترى الاختلاف في الفروع مانعا من الاخوة الاسلامية ,ومن توحد صفوف المسلمين امام الاستعمار الغاشم .
كما انهم يعتقدون بان عقد جلسات الحوار العلمي في جو هادئ ,كفيل بان يحل الكثير من المشاكل والاختلافات الفكرية والفقهية (التي تمنع احيانا عن توحيد الصفوف ووحدة الكلمة).
على ان الاختلاف في الراي والمنهج امر غريزي عند البشراساسا, كما ان سد باب المناقشة والبحث العلمي في وجه العلماوالمفكرين والفقها يوجب ضمور الفكر, وموت العلم والقضا على روح التفكر.
من هنا سعى علما الشيعة الامامية في كل العصور الى ان يوضحواالحقائق بطرح الابحاث العلمية والعقيدية على طاولة البحث والنقاش ,وبذلك قاموا بكل خطوة من شانها توحيد صفوف المسلمين وتاليف قلوبهم ضد اعدا الاسلام الذين اقسموا على محو هذا الدين واطفاجذوته .

1- جات الاشارة في الاحاديث الاسلامية الى من وصف بالمحدث وسياتي الكلام عنه مستقبلا.
2- النحل / 78.
3- النحل / 43.
4- الكافي الاصول : ج 1, ص 16, الحديث 12.
5- الاخلاص / 3 2 ابراهيم / 48 3 البقرة / 156.
6- البقرة / 22 2 الاعراف / 58.
3 للتوسع ومزيد الاطلاع في هذا المجال تراجع كتب التفسير والكلام (العقائد) منها:
تفسيرالميزان : 1 / 74 طبعة بيروت , والالهيات : 2 / 51 - 54.
7- النازعات / 5.
8- الانعام / 61.
9- طه / 50.
10- السجدة / 7.
11- الاحقاف / 3.
12- نهج البلاغة , الخطبة 190.
13- المؤمنون / 14.
14- المؤمنون / 100.
15- الروم / 30 2 الانسان / 3.
16- الكهف / 29.
17- النازعات / 18 - 19.
18- الزمر / 53.
19- الاسرا / 34.
20- القيامة / 36.
21- مسند احمد: 2 / 54 , وصحيح البخاري : 3 / 284 (كتاب الجمعة , الباب 11, الحديث 2).
22- الحجرات / 13.
23- الرحمن / 60 2 التوبة / 91.
3 يوسف / 490 النحل / 90.
24- النازعات / 5.
25- الاعراف / 96.
26- فاطر / 42 - 43.
27- آل عمران / 139 - 140.
28- الانبيا / 105 2 النور / 55 3 الانبيا / 18.
29- الاسرا / 70.
30- نهج البلاغة , قسم الكتب , الكتاب رقم 38.
31- وسائل الشيعة : 11 / 424 (كتاب الامر بالمعروف الباب 12, الحديث 4).
32- آل عمران / 191.
33- البقرة / 179.
34- وسائل الشيعة : 11 / 407, (كتاب الامر بالمعروف).
35- البقرة / 256.
36- ابراهيم / 10.
37- الروم / 30.
38- العنكبوت / 65.
39- آل عمران / 190.
40- التوحيد, للصدوق ص 84 , الباب 3, الحديث 3.
41- التوحيد, للصدوق , ص 139 الباب 211, الحديث 1.
42- نهج البلاغة , الخطبة 1.
43- سمى بعض من لا المام له بالمسائل الكلامية هذه النظرية بالتعطيل والمعتقدين بها بالمعطلة , في حين ان المعطلة انما يطلق على من لا يثبت الصفات الجمالية للذات الالهية ,ويستلزم موقفهم هذا خلو الذات الالهية من الكمالات الوجودية , وهذه العقيدة الخاطئة لاعلاقة لها مطلقا بنظرية (عينية الصفات للذات الالهية ووحدتهما خارجا) بل نظرية العينية هذه في عين كونها تثبت الصفات الجمالية والكمالية لله , منزهة من الاشكالات والاعتراضات الواردة على نظرية زيادة الصفات على الذات .
44- الرعد / 16.
45- غافر / 62.
46- الروم / 48.
47- السجدة / 7.
48- راجع الانعام / 76 - 78.
49- يوسف / 39.
50- مريم / 81.

51- يس / 74 - 75.
52- راجع : يونس / 18, والفرقان / 55.
53- البقرة / 165.
55- الشعرا 97 - 98 4 يونس / 31.
56- المؤمنون / 84 - 87.
57- الرعد / 2 2 الانبيا / 22.
58- النازعات / 5.
59- النسا / 80.
60- النسا / 64.
61- المائدة / 44.
62- البقرة / 255.
63- آل عمران / 135.
64- النحل / 36.
65- الفاتحة / 5.
66- الاسرا / 23.
67- يونس / 101.
68- الحشر / 23 - 24.
69- العنكبوت / 62.
70- الملك / 14.
71- التوحيد للصدوق ص 137, الباب 10, الحديث 9.
72- الاحزاب / 27 4 الكهف / 45.
73- التوحيد للصدوق الباب 9 الحديث 15.
74- التوحيد للصدوق : ص 130, باب القدرة .
75- الفرقان / 58.
76- اصول الكافي ج1 , ص 109 باب الارادة انها من صفات الفعل وسائر صفات الفعل ,الرواية3 .
77- النسا / 164.
78- الشورى / 51.
79- الشورى / 51.
80- الكهف / 109.
81- النسا / 171.
82- نهج البلاغة , الخطبة 186.
83- التوحيد للصدوق : ص 223 باب القرآن ما هو, الحديث 2.
84- النمل / 88.
85- ص / 27.
86- نهج البلاغة : الخطبة 179 2 الاعراف / 143 3 القيامة / 22 - 23.
87- البقرة / 55 2 النسا / 153 3 الاعراف / 143.
88- الفتح / 10 2 البقرة / 115.
89- هود / 37 4 طه / 5.
90- الرحمن / 26.
91- الرحمن / 27.
92- يونس / 3.
93- يراجع في هذا الصدد الايات : 2 / الرعد, 4 / السجدة , 54 / الاعراف .
94- النسا / 40.
95- يونس / 44.
96- آل عمران / 18.
97- التوحيد للصدوق ص 396 - 397.
98- كشف المراد ص 305.
99- وعبارة المحقق الطوسي في تجريد الاعتقاد تشير الى هذا البرهان حيث قال :
((ولانتفائهمامطلقا (اي عقلا وشرعا) لو ثبتا شرعا)) اي لو انحصر اثبات الحسن والقبح في اخبار الشرع لانتفى حسن الافعال وقبحها بالكلية , ولم يثبتا لا شرعا ولا عقلا.
100- القلم / 35 - 36 3 الرحمن / 60 4 الانبيا / 23.
101- طه / 50.
102- النحل / 90.
103- البقرة / 286.
104- الاسرا / 15.
105- الانبيا / 47.

106- القمر / 49 2 الحجر / 21.
107- البقرة / 117 4 الانعام / 2.
108- نهج البلاغة , الكلمات القصار / 287.
109- اصول الكافي ج 1, ص 158.
110- اصول الكافي ج 1, ص 158.
111- بحار الانوار: 5 / 96, الحديث 20.
112- الانسان / 3.
113- الانعام / 148.
114- التوحيد للصدوق : الباب 59 الحديث 8.
115- الانفال / 17.
116- النحل / 36.
117- نهج البلاغة , الخطبة 147 2 الجمعة / 2.
118- الحديد / 25 4 البقرة / 213.
119- النسا / 165.
120- آل عمران / 37.
121- النمل / 40.
122- لاحظ القصص / 31.
123- لاحظ القصص / 32.
124- الشعرا / 193 - 194.
125- البقرة / 2.
126- السيد محمد رشيد رضا, الوحي المحمدي ص 66.
127- الانبيا / 5.
128- و 3 النجم / 11 و 17.
129- الجن / 26 - 28.
130- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد 217.
131- الانعام / 87.
132- الزمر / 37.
133- يس / 62.
134- ان حكم العقل في هذا المجال حكم قطعي , ولهذا فان بعض الروايات التي وردت حول النبي ايوب وهي تحكي عن ابتلائه بامراض منفرة , مضافا الى كونها مخالفة للحكم القطعي للعقل تنافي الروايات المعارضة التي وردت عن اهل البيت في هذا المجال .
فقد قال الامام الصادق (ع) : ((ان ايوب مع جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة , ولا قبحت له صورة , ولا خرجت منه مدة من دم , ولا قيح , ولا استقذره احد رآه , ولا استوحش منه احدشاهده ولادود شي من جسده , وهكذا يصنع الله عز وجل بجميع من يبتليه من انبيائه ,واوليائه المكرمين عليه , وانما اجتنبه الناس لفقره , وضعفه في ظاهر امره , لجهلهم بما له عندربه تعالى ذكره , من التاييد والفرج)).
(الخصال ج 1, ابواب السبعة , الحديث 107) ولهذا فان الرواية المخالفة لهذا الموضوع , لااساس لها من الصحة فهي مرفوضة .
135- تنزيه الانبيا للسيد المرتضى , وعصمة الانبيا للفخر الرازي , ومفاهيم القرآن لجعفرالسبحاني ج5 فصل عصمة الانبيا.
136- بحار الانوار 70 / 22.
137- المصدر السابق : 70 / 18 ضمن الحديث 9.
138- قال الامام علي بن ابي طالب (ع) عن هذا الفريق : ((هم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون , وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون)) نهج البلاغة , الخطبة رقم 193 الموجهة الى همام .
139- آل عمران / 42.
140- آل عمران / 33.
141- ((فاشارت اليه)) مريم / 29.
142- الاسرا / 88.
143- هود / 13.
144- البقرة / 23.
145- مستدرك الحاكم 2 / 50.
146- العنكبوت / 48.
147- النحل / 103.
148- النحل / 103.
149- النسا / 82.
150- الكافي : 1 / 59.
151- الرعد / 2.
152- الذاريات / 49.
153- الروم / 2 - 4.
154- السيرة النبوية لابن هشام , ج 1, ص 209.
155- راجع الكتب التاريخية في هذا المجال .

156- السيرة النبوية لابن هشام ج 1, ص 359 - 360.
157- البقرة / 146.
158- الصف / 6.
159- وقد دونت كتب تجمع بشارات العهدين بمجي رسول الاسلام , وتبحث حولها وللمثال راجع في الصدد كتاب ((انيس الاعلام)).
160- انظر سورة الاسرا / 101.
161- انظر آل عمران / 49.
162- القمر / 1 - 2.
163- انظر الاسرا / 1, والنجم / 7 - 18.
164- آل عمران / 61.
165- انظر آل عمران / 49.
167- انظر الفتح / 27.
168- سبا / 28.
169- الانبيا / 107.
170- النسا / 170.
171- السجدة / 3.
172- الانعام / 19.
173- ابراهيم / 4.
174- الاحزاب / 40 لا تنحصر الايات الدالة على خاتمية رسول الاسلام في هذه , بل هناك ست آيات قرآنية في هذا المجال تدل على خاتميته راجع كتاب مفاهيم القرآن : 3 / 130 - .139
175- الحج / .78
176- وسائل الشيعة : 17, الباب 12 من احيا الموات , الحديث .3
177- حضارة العرب تاليف غوستاف لوبون .
178- الحجر / .9
179- فصلت / 42.
180- نهج البلاغة , الخطبة 176.
181- رجال النجاشي : 1 / 211 رقم الترجمة 190.
182- رجال النجاشي : 1 / 96 رقم الترجمة 689.
183- الطبرسي : مجمع البيان : 1 / 28.
184- تهذيب الاصول : 2 / 96.
185- فرق الشيعة , ص 17.
186- مقالات الاسلاميين : 1 / 65.
187- الملل والنحل : 1 / 131.
189- البينة / 7.
190- الدر المنثور, سورة البينة .
191- الشفا, الالهيات , المقالة العاشرة , الفصل الخامس , 564.
192- الشعرا / 214.
193- مسند احمد: 1 / 159, تاريخ الطبري : 2 / 406, تفسير الطبري (جامع البيان): 19 / 74 -75, تفسير الشعرا, الاية 214.
194- صحيح البخاري : 6 / 3 طبع 1312 ه , باب غزوة تبوك , صحيح مسلم : 7 / 120, باب فضائل الامام علي (ع), سنن ابن ماجة : 1 / 55 باب فضائل اصحاب النبي , مسند الامام احمد: 1 / 173, 175, 177, 179, 182, 185 و 230, والسيرة النبوية لابن هشام : 4 / 163(غزوة تبوك).
195- (ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا) (مريم / 53).
196- (وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي) (الاعراف / 142).
197- (واجعل لي وزيرا من اهلي) (طه / 29).
198- مستدرك الحاكم : 3 / 351, الصواعق المحرقة , ص 91, ميزان الاعتدال : 1 / 224, تاريخ الخلفا, ص 573, الخصائص الكبرى : 2 / 266, ينابيع المودة , ص 28, فتح القدير, ص 113, وكتب اخرى .
199- مستدرك الحاكم : 3 / 149.
200- النحل / 16.
201- صحيح مسلم : 7 / 122, سنن الترمذي : 2 / 307 , سنن الدارمي : 2 / 432, مسند احمد: 3/ 14, 17, 26, 59, و ج 4 / 59, 366 و 371, و ج 5 / 182 و 189, الخصائص العلوية ,للنسائي ص 20, مستدرك الحاكم : 3 / 109, 148, و 533, وغيرها.
ويمكن مراجعة رسالة ((حديث الثقلين)) من منشورات ((دار التقريب بين المذاهب الاسلامية))القاهرة , مطبعة مخيمر, في هذا المجال ايضا.
202- المائدة / .67
203- اشار المحدثون والمفسرون المسلمون الى نزول هذه الاية في حجة الوداع , يوم الغدير,انظر:
كتاب ((الدر المنثور)) للسيوطي 2 / 298, و ((فتح القدير)) للشوكاني 2 / 57, وكشف الغمة للاربلي , ص 94, ((ينابيع المودة)) للقندوزي , ص 120, المنار: 6 / 463 وغيرها.
204- الطور / 30.

205- المائدة / 3.
206- ولقد اعتبر فريق من الصحابة والتابعين الاية المذكورة مرتبطة بواقعة ((غدير خم)) وذلك مثل : ابي سعيد الخدري , وزيد بن الارقم , وجابر بن عبد الله الانصاري , وابي هريرة , ومجاهدالمكي .
وللوقوف على روايات الاشخاص المذكورين حول الواقعة المذكورة راجع : كتاب ((الولاية)) لابي جعفر الطبري , والحافظ ابن مردويه الاصفهاني برواية ابن كثير في ج 2, من تفسيره , والحافظابا نعيم في كتاب ((ما نزل من القرآن في علي)) والخطيب البغدادي في ج 8 من تاريخه , والحافظابا سعيد السجستاني في كتاب ((الولاية)) والحافظ ابا القاسم الحسكاني في ((شواهد التنزيل)),وابن عساكر الشافعي برواية السيوطي في ((الدر المنثور)) 2 / 295, والخطيب الخوارزمي في كتاب ((المناقب)) وعباراتهم موجودة في الغدير 1 / 23-236.
وقال الفخر الرازي في تفسيره (ج 3 ص 529) انه لما نزلت هذه الاية على النبي (ص) لم يعمربعد نزولها الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ , ولا تبديل البتة .
فعلى هذا الاساس لابد من القول ان هذه الاية نزلت يوم غدير خم اي اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع وحيث ان النبي (ص) حسب راي اهل السنة توفي في الثاني عشر من ربيع الاول , وكانت الاشهر الثلاثة (ذي الحجة , ومحرم وصفر) 29 يوما صح انه توفي (ص) بعدنزول الاية المذكورة ب 81 يوما (تفسير الفخر الرازي سورة المائدة , الاية الثالثة).
207- سيرة ابن هشام : 2 / 422.
208- الانعام / 124.
209- الامامة والسياسة : 1 / 24 - 25.
210- الامامة والسياسة : 1 / 28.
211- حلية الاوليا: 1 / 44.
212- النحل / 44.
213- الوحي المحمدي ص 212, الطبعة السادسة .
214- راجع كتاب ((النص والاجتهاد)) تاليف العلا مة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي .
215- راجع كتاب الالهيات , تاليف صاحب هذه الرسالة : 2 / 146 - 198.
216- الاحزاب / 33.
217- (ولكن يريد ليطهركم) (المائدة / 6).
218- مستدرك الحاكم : 2 / 151, والخصائص الكبرى للسيوطي : 2 / 266.
219- للاطلاع على بقية الاحاديث في هذا المجال يراجع كتب الحديث مثل اصول الكافي , كفاية الاثر , اثبات الهداة , ومنتخب الاثر, وغيرها.
220- صحيح البخاري , 9 / 81 , باب الاستخلاف , وصحيح مسلم 6 / 3 , كتاب الامارة , ومسنداحمد 5 / 86 - 108 , ومستدرك الحاكم 3 / 81.
221- قد وقع بعض الاختلاف في تواريخ وفيات ومواليد بعض الائمة وقد اخترنا احدها, كما ان التاريخ يثبت ان اغلب هؤلا الائمة قضوا شهدا.
222- الشورى / 23.
223- مسند احمد بن حنبل : 1 / 99 و 3 / 17 و 70.
224- الكهف / 65 - 66.
225- راجع سورة الكهف , الايات 71 - 82.
226- كمال الدين , للشيخ الصدوق , الباب 45, الحديث 4, ص 485.
227- لاحظ الاعراف / 142.
228- لاحظ النسا / 158.
229- لاحظ الصافات / 140.
230- كمال الدين للشيخ الصدوق , ص 481, الباب 44, الحديث 8.
231- راجع بحار الانوار: 52 / 102 , 113 - 114, باب التمحيص والنهي عن التوقيت .
232- وقد اشار المحقق نصير الدين الطوسي الى هذه الحقيقة في كتابه تجريد الاعتقاد (مبحث الامامة) حيث قال : وجوده (اي الامام) لطف وتصرفه لطف آخر وغيبته منا.
233- الانعام / 91 2 لاحظ العنكبوت / 14.
234- لاحظ سورة الصافات / 143 - 144.
235- الاحتجاج للطبرسي , احتجاجات الامام المهدي (ع).
236- المؤمنون / 115.
237- ص / 28.
238- يونس / 4.
239- المؤمنون / 14 - 16.
240- هود / 4.
241- الاسرا / 51.
242- الحج / 5 - 7.
243- يس / 81 2 ق / 4.
244- السجدة / 10 4 السجدة / 11.
245- يس / 79 2 التوبة / 72.

246- مريم / 39.
247- المؤمنون / 99 - 100.
248- المؤمنون / 100.
249- غافر / 46.
250- البقرة / 154.
251- آل عمران / 170.
252- اعتقادات الصدوق , الباب 17, ص 37.
253- تصحيح الاعتقاد للمفيد: ص 45 - 46.
254- كشف المراد: المقصد 6, المسالة 14.
255- راجع كتاب ((السنة)) لاحمد بن حنبل , و ((الابانة)) لابي الحسن الاشعري , وشرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي .
256- كشف المراد للعلامة الحلي المقصد الثاني , الفصل الرابع المسالة الثامنة , والاسفار صدرالمتالهين : 9 / 10.
257- المائدة / 60 لاحظ سورة الاعراف : الاية 166.
258- (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) (البقرة / 66).
259- شرح المقاصد, للتفتازاني : 3 / 337.
260- الميزان , للطباطبائي , 1 / 209.
261- فجر الاسلام , لاحمد امين المصري ص 377.
262- لاحظ آل عمران / 49 , والبقرة / 259.
263- لاحظ الاصل التاسع والعشرين بعد المائة ص 286.
264- لاحظ محمد / 18.
265- لاحظ الكهف / 98 - 99.
266- لاحظ الدخان / 10 - 16.
267- لاحظ الزخرف / 57 - 61.
268- لاحظ النمل / 82.
269- لاحظ سور: التكوير, والانفطار, والانشقاق , والقارعة .
270- ابراهيم / 48.
271- الزمر / 8 6 2 القمر / 7.
272- لاحظ الاسرا / 13 - 14.
273- لاحظ آل عمران / 98 2 لاحظ النحل / 89.
3 لاحظ النسا / 41 4 لاحظ البقرة / 143.
5 لاحظ ق / 618 لاحظ الزلزلة / 4 - 5.
7 لاحظ النور / 24, فصلت / 20 - 21 8 لاحظ التوبة /34 - 35.
9 الانبيا / 47.
274- (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا # ثم ننجي الذين اتقوا ونذرالظالمين فيها جثيا) (مريم / 71 - 72).
275- الاعراف / 46.
276- بحار الانوار, ج 8 , الباب 18, الاحاديث 1 - 12, ومسند احمد 1 / 281, 295 و 3 / 144.
277- الانبيا / 28.
278- النجم / 26.
279- الاسرا / 79.
280- الشيخ الصدوق , من لا يحضره الفقيه , 3 / 376.
281- لاحظ النسا / 31.
282- الخصال للشيخ الصدوق , باب ((الخمسة)) , صحيح البخاري , 1 / 42, مسند احمد, 1 /301.
283- اوائل المقالات للشيخ المفيد ص 54 وكتب اخرى .
284- صحيح مسلم : 3 / 54.
285- صحيح الترمذي : 4 / 42, باب ما جا في شان الصراط.
286- يوسف / 97 - 98.
287- النسا / 64.
288- المنافقون / 5.
289- لاحظ الاصل 126 و 127 و ص 279 - 286.
290- الزمر / 44.
291- النور / 31.
292- الانعام / 54.
293- الزلزلة / 7.
294- النجم / 40 - 41.
295- البقرة / 217.
296- كشف المراد, ص 413, المقصد 6, المسالة 7.

297- النسا / 31 3 لاحظ التحريم / 8.
298- لاحظ البقرة / 271 5 النسا / 48.
299- اوائل المقالات ص 141.
300- النجم / 13 - 15.
301- آل عمران / 133.
302- آل عمران / 131.
303- الذاريات / 22.
304- المجادلة / 22.
305- الحجرات / 14.
306- النمل / 14.
307- صحيح البخاري : كتاب الايمان , 10 , صحيح مسلم : ج 7, باب فضائل علي , 121.
308- بحار الانوار: 69 / 16, كتاب الايمان والكفر, نقلا عن معاني الاخبار للشيخ الصدوق ,وسند الحديث صحيح .
309- العصر / 3.
310- الكافي : 2 / 33.
311- الكافي : 2 / 33 , الحديث 2.
312- عيون اخبار الرضا: 1 / 226.
313- صحيح البخاري : 1 / 16, كتاب الايمان شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله , واقامة الصلاة , وايتا الزكاة , والحج , وصوم رمضان .
314- وهي الاصول التي يرتبط تحقق ((الايمان)) و ((الكفر)) بقبولها او رفضها وهي : الشهادة بوحدانية الله , والايمان بنبوة خاتم الانبيا محمد(ص)والمعاد في يوم القيامة .
315- النسا / 94 3 كنز العمال : ج 1, الحديث 30.
316- البقرة / 117.
317- بحار الانوار: 2 / 263, مسند احمد: 4 / 126, .127
318- بحار الانوار: 74 / .202
319- فتح الباري : 5 / 156, و 17 / .9
320- الانفال / .60
321- جامع الاصول 1 / .238
322- الشورى / .23
323- المائدة / .114
324- الاعراف / .157
325- آل عمران / .31
326- يونس / .59
327- النحل / 106.
328- آل عمران / 28.
329- لاحظ غافر / 28.
330- تفسير الرازي : 8 / 13.
331- محاسن التاويل : 4 / 82.
332- تاريخ الطبري : 7 / 195 - 206.
333- الكهف / 95.
334- المائدة / 35.
335- قال الراغب الاصفهاني في مفرداته (في مادة وسل): الوسيلة التوصل الى الشي برغبة ,وحقيقة الوسيلة الى الله سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة .
336- الاعراف / 180.
337- النسا / 64.
338- المنافقون / 5.
339- يوسف / 97 - 98.
340- صحيح البخاري , ج 5, باب قتل ابي جهل , والسيرة النبوية لابن هشام : 2 / 292 وغيره .
341- صحيح مسلم , ج 2, باب ما يقال عند دخول القبر.
342- صحيح البخاري ج 2 كتاب الجنائز ص 12, والسيرة النبوية لابن هشام 4 / 305 - .306
343- نهج البلاغة قسم الخطب , الرقم .235
344- المائدة / .64
345- الرحمن / .29
346- الرعد / .39
347- التوحيد للصدوق , ص 167, الباب 25, ح 1.
348- الرعد / 11.
349- الاعراف / 96.

350- الدر المنثور 4 / 66.
351- الكافي , 2 / 470, الحديث 13.
352- صحيح البخاري : 4 / 172.
353- الطارق / 15 - 16 2 النمل / 50.
354- النسا / 143 4 التوبة / 67.
355- كتاب التوحيد للصدوق , ص 331 - 336, تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد 24, عدة الاصول 2 / 29, كتاب الغيبة , ص 262 - 264 طبعة النجف .
356- الكهف / 47.
357- مثل احيا فريق من بني اسرائيل , كما في سورة البقرة الايات 55 - 56, واحيا المقتول من بني اسرائيل بواسطة بقرة بني اسرائيل , كما في سورة البقرة الايات 72 و 73, وموت جماعة من الناس واحيائهم كما في سورة البقرة الاية 243, واحيا عزير بعد مائة عام , كما في سورة البقرة الاية 259, واحيا الموتى باعجاز من السيد المسيح كما في سورة آل عمران الاية 49.
358- لاحظ بحار الانوار: 53 / 136.
359- لاحظ سورة التوبة / 100, وسورة الفتح / 18 و 29, وسورة الحشر / 8 و 9.
360- الفتح / 18.
361- الزمر / 65.
362- راجع التفاسير عند توضيح هاتين الايتين .
363- الحجرات / 6 3 السجدة / 18.
364- لاحظ آل عمران / 153 - 154, الاحزاب / 12, التوبة / 45 - 47.
365- جامع الاصول , ج 11, كتاب الحوض , الحديث رقم 7972.
366- صحيح البخاري , ج 5, تفسير سورة النور, ص 118 - 119.
367- التوبة / 24.
368- الاعراف / 157.
369- الشورى / 23.
370- كنز العمال ج 1 / 37, ح 70.
371- كنز العمال : ج 1, ح 72 , وجامع الاصول ج 1, ص 238.
372- و 2 مناقب الامام امير المؤمنين تاليف الحافظ محمد بن سليمان الكوفي ج 2 ح 619 و700 , وبحار الانوار ج 17 ص 13 , وعلل الشرائع الباب 117 ح 3.
373- سفينة البحار: 1 / 199.
374- المواهب اللدنية , ج 1 ص 27, وفي تاريخ الخميس ج 1 ص 223 مثله .
375- لاحظ يوسف / 184.
376- سيرة ابن هشام : 1 / 99.
377- المصدر السابق , وامتاع الاسماع : 11 / 164.
378- ديوان الامام الشافعي قافية البا وراجع للوقوف على المزيد في هذا المجال : سيرتناوسنتنا للعلا مة الاميني .
379- النور / 36 - 37.
380- تفسير الدر المنثور ج 5, ص 50.
381- البقرة / 127.
382- الكهف / 21.
383- سنن ابن ماجة ج 1, باب ما جا في زيارة القبور, ص 113.
384- صحيح مسلم , ج 2, باب ما يقال عند دخول القبور, ص 64.
385- النسا / 171.
386- تصحيح الاعتقاد ص 131.
387- بحار الانوار ج 25, ص 364.
388- المصدر السابق , ص 365.
389- التوحيد للشيخ الصدوق : الباب 1, الاحاديث 21, 22, 23.
390- بحار الانوار ج : 26 / 18 - 66.
391- الكهف / 65.
392- النمل / 40.
393- صحيح البخاري : 2 / 149.
394- راجع حول المحدث وتعريفه كتاب ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري : 6 / 99 وغيره .
395- المقريزي : الخطط: 2 / 344.
396- المائدة / 6.
397- لاحظ رسالة حكم الارجل في الوضوء, ص 61 - 68.
398- تفسير الطبري : الجز 6 / 82.
399- صحيح البخاري : 1 / 91 , كتاب التيمم , الحديث 2.
400- وسائل الشيعة , ج 3, الباب 1 من ابواب ((ما يسجد عليه)) الحديث الاول , ص 591.
401- مسند احمد: 3 / 327, حديث جابر, سنن البيهقي : 1 / 439.

402- كنز العمال : 7 / 465, رقم الحديث 19810.
403- راجع سنن البيهقي : 2 / 105.
404- مسند احمد : 6 / 179, 309, 331, 377, و 2 / 192 - 198.
405- وقت فضيلة صلاة الظهر من اول زوال الشمس الى الوقت الذي يصير فيه ظل الشاخص بمقدار نفسه , ووقت فضيلة صلاة العصر كذلك عندما يصير ظل الشاخص ضعفي مقداره .
406- وسائل الشيعة : ج 3, ابواب المواقيت الباب 4, الرواية 1.
407- وسائل الشيعة : ج 3, ابواب المواقيت , الباب 4, الرواية 4 و 6.
408- نفس المصدر.
409- صحيح مسلم : 2 / 151, باب الجمع بين الصلاتين في الحضر.
410- شرح الزرقاني على موطا مالك , ج 1, باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر ص 294.
411- النسا / 24.
412- شرح التجريد للقوشجي , مبحث الامامة , ص 464, وغيره .
413- صحيح البخاري , 6 / 37, قسم التفسير عند تفسير الاية 196 من سورة البقرة .
414- وسائل الشيعة , ج 4, الباب 15 من ابواب قواطع الصلاة , الحديث 7.
415- البيهقي , السنن : 2 / 72, 73, 101, 102 , وابو داود: السنن : 1 / 194, باب افتتاح الصلاة ,الحديث 730, 736, الترمذي : السنن : 2 / 98 باب صفة الصلاة .
416- وسائل الشيعة : 4, باب 1 من ابواب افعال الصلاة , الحديث 81.
417- فتح الباري : 2 / 224, وسنن البيهقي : 2 / 28.
418- الصدوق , الخصال , ص 606.
419- الصدوق , عيون اخبار الرضا: ج 2 ص 124.
420- القسطلاني , ارشاد الساري : 3 / 226, عمدة القارئ : 11 / 126, الشاطبي , الاعتصام : 2 /291.
421- الانفال / 41.
422- لسان العرب , كلمة غنم , ويقرب من هذا المعنى ما ذكره ابن الاثير في النهاية , والفيروزآبادي في قاموس اللغة .
423- النسا / 94.
424- صحيح البخاري , ج 2 ص 250.
425- وسائل الشيعة , ج 6, كتاب الخمس , الباب الاول .
426- وصية الوارث نافذة في نظر الشيعة ولكنها غير نافذة في نظر السنة , والعول والتعصيب في احكام الارث باطلان في نظر الشيعة وفقههم ويجب معالجة المشكلة في مورد العول بطريق آخر, مذكور في كتب الفقه .
427- رجال النجاشي , الرقم 79.
428- فهرست ابن النديم , رجال النجاشي , فهرست الشيخ الطوسي , تاسيس الشيعة لعلوم الاسلام , الذريعة الى تصانيف الشيعة , اعيان الشيعة , والمجلد السادس من بحوث في الملل والنحل , وغيرها من الكتب .